

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 89 - EIGHTH YEAR - AUGUST 1984.

العدد (٨٩) ـ ذو القعدة ١٤٠٤هـ ـ السنة الثامنة ـ آب (أغسطس) ١٩٨٤م.

عربون محبة.. ورباط صداقة
عطر يذوب رقة في زجاجة صنعت بجمال ودقة

PERFUME

PRINCESS CHAMSY



باقة من أثمن الورود النادره جمعت بيد ماهره
نضعها بين يديك لتقدمها لأحب الناس إليك.



تباع في جميع محلات العطور الكبرى



ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE — مجلة ثقافية شهرية

PUBLISHED BY AL-FAISAL CULTURAL HOUSE — تصدر عن دار الفيصل الثقافية

ISSUE 89 - EIGHTH YEAR - AUGUST 1984. — العدد (٨٩) ـ ذو القعدة ١٤٠٤هـ ـ السنة الثامنة ـ آب (أغسطس) ١٩٨٤م.

رئيس التحرير

علوي طه الصافي

ALAWI TAHA ALSAFI

Editor-in-Chief

المراسلات : — All Correspondence To:

مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣)
الرياض ١١٤١١ . المملكة العربية السعودية
هاتف : ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧
تلكس : ٢٠٢٦٠٠ DRFATH SJ

AL-FAISAL MAGAZINE
P.O.BOX 3
RIYADH 11411-Saudi Arabia
Tel: 4653026-4653027, TELEX 202600 DRFATH SJ

أسعار بيع النسخ في البلاد العربية

المملكة العربية السعودية	٨ ريالات	الأردن	٤٠٠ فلس	تونس	٥٠٠ مليم
الكويت	٦٠٠ فلس	ج . ع . اليمنية	٦ ريالات	الجزائر	٥ دنانير
الإمارات العربية المتحدة	٧ دراهم	ج . اليمن الديمقراطية الشعبية	٨٠٠ فلس	العراق	٤٠٠ فلس
قطر	٦ ريالات	مصر	٣٠٠ مليم	سورية	٥ ليرات
البحرين	٥٠٠ فلس	السودان	٣٠ قرشاً	لبنان	٥ ليرات
سلطنة عمان	٦٠٠ بيسة	المغرب	٥ دراهم	ليبيا	٨٠٠ درهم

● أسعار الاشتراكات السنوية :

للأفراد ١٥٠ ريالا سعودياً لغير الأفراد ٢٥٠ ريالا سعودياً

ترسل قيمة الاشتراك باسم مجلة الفيصل

EUROPE – AMERICA – ASIA

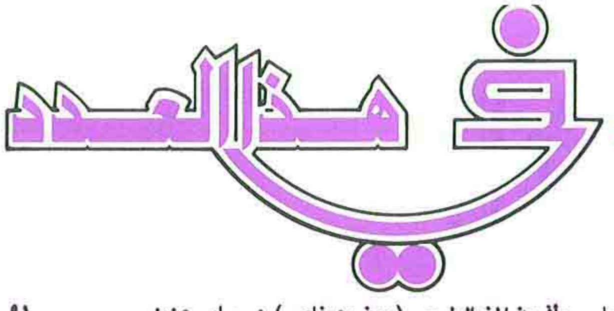
Belgium	BF	200	Italy	L	4000	Sweden	SKR	30
Denmark	DKR	30	Netherlands	DFL	10	Switzerland	SF	6
Finland	FMK	30	Norway	NKR	30	United Kingdom	£	2
France	FF	15	Pakistan	RS	10	U.S.A.	$	5
F.R.G.	DM	10	Portugal	ESQ	100			
Greece	DR	100	Spain	PTS	150			

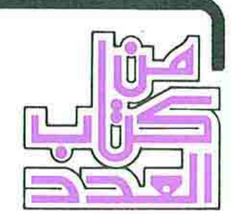
ANNUAL SUBSCRIPTION RATES

Personal Subscription S.R. 150 Others S.R 250

PAYABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

طبع في : شركة الطباعة العربية السعودية (المحدودة)
ص . ب ٦٤٦٣ ـ الرياض ، هاتف ٤٦٣٣٤٥٢ ، العمارية ٤٦٥٨٩٩٠





د . سيد فرج راشد

★ من مواليد القاهرة عام ١٩٣٨ م .

★ دكتوراه في اللغات السامية (تخصص آرامي ــ عبري) .

★ يجيد الإنجليزية والفرنسية والعبرية .

★ عمل أستاذاً مساعداً للغات السامية بالكلية الحربية بالقاهرة .

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً للغات السامية بكلية الآداب ــ قسم الآثار والمتاحف ــ جامعة الملك سعود بالرياض .

★ له بعض المؤلفات (تحت الطبع) ، وله بعض البحوث .



د . يحيى أبو ريشة

★ من مواليد شويكة ــ الضفة الغربية ــ فلسطين عام ١٩٣٣ م .

★ دكتوراه في الأدب الإنجليزي .

★ يجيد الإنجليزية ، إلى جانب الإلمام ببعض اللغات الأخرى .



★ عمل مستشاراً في المفوضية الشيلية ، ورئيساً لقسم اللغة الإنجليزية بالجامعة الأردنية ، ورئيساً لقسم اللغة الإنجليزية لغير المختصين ، ومذيعاً ومترجماً في إذاعة لندن .

★ يعمل حالياً أستاذاً في قسم اللغة الإنجليزية ــ كلية الآداب ــ جامعة حلب ــ سورية .

★ شارك في عدد من المؤتمرات .

★ له عدد من الأعمال المطبوعة ترجمة ودراسة وشعراً وقصصاً قصيرة ومسرحيات .

★ عضو اللجنة المشرفة على القاموس العلمي بجامعة حلب ، وعضو جمعية أصدقاء الآثار الأردنية ، وعضو المجلة الأمريكية MLA .



د . جلال مدبولي محمد

★ من مواليد القاهرة عام ١٩٣٩ م .

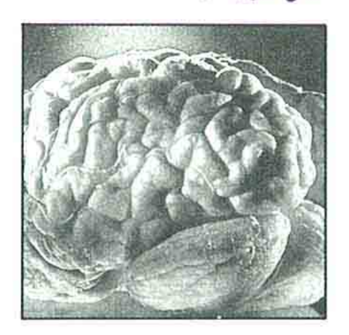
★ دكتوراه في الاجتماع .

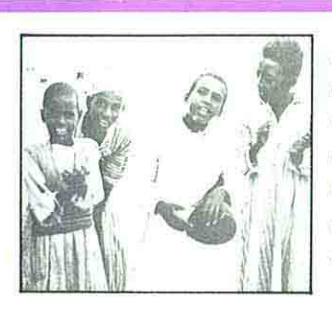
★ يجيد الإنجليزية والفرنسية .

★ عمل باحثاً بمركز البحوث بالجامعة الأمريكية بالقاهرة ،

●● يفرز المخ مادة الأفيون الطبيعي .. تقوم بتصنيفه خلايا خاصة في أجسامنا ، ولولاه لما استطعنا أن نتحمل شكة الدبوس.

يفرز المخ هذه المادة في وقت الألم ، وفي وقت الأزمات النفسية !! طالع ص (٩١) .





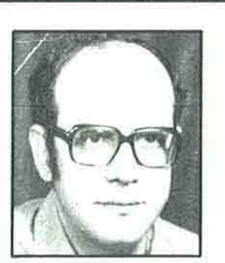
●● قام «شارلز كالندر» ـ قبل إجرائه للدراسة التي ظهرت في كتابه : «شعائر دورة الحياة عند الكنوز» ـ ببحث أولي عن المهاجرين من النوبيين المقيمين في القاهرة والإسكندرية ، الذين ينتمون إلى جماعة الكنوز! طالع ص (٨٣) .



●● بعد مرور أربعة عشر عاماً على «حركة مايو» في فرنسا ، ومع مطلع العام الخامس عشر ، يتكلم أول من أطلق مصطلح «الفلسفة الجديدة» ، والناشر الذي تحمس لإصدار مؤلفات «الفلاسفة الجدد» .. إنه برنار هنري ليفي ، مؤلف كتاب «الهمجية بوجه إنساني» . طالع ص (٥١) .

●● حين يموت شخص (في قرى ريف اليونان) يُغسّل ، ثم يلبس ثيابه الرسمية الكاملة ، وإذا كان أعزب ، يلبس ثياب الزفاف ، ثم ينثر على جسده الأزهار والنقود .. وأخيراً يهال عليه التراب ، ولكن ليس لآخر مرة !! . طالع ص (٣٢) .





ومحاضراً بجامعة قسنطينة بالجزائر ، ثم مدرساً بجامعة القاهرة ـ فرع الخرطوم بالسودان .

★ يعمل حالياً أستاذاً مساعداً لعلم الاجتماع ـ كلية الآداب ـ جامعة الملك سعود ، إلى جانب الاشراف على وحدة البحوث والإحصاء في الجامعة نفسها .

★ شارك في بعض الندوات .

★ له عدد من المؤلفات المطبوعة ، وبعض البحوث .



د . رشدي أحمد طعيمة

★ من مواليد بني سويف ـ مصر عام ١٩٤٠م .

★ دكتوراه في طرق تعليم العربية للناطقين بلغات أخرى .

★ عمل مدرساً بكلية التربية ـ جامعة المنصورة ، ومستشاراً لليونسكو في سلطنة عُمان ، ثم مستشاراً للبنك الدولي ، فخبيراً لتعليم العربية للاتحاد العالمي للمدارس العربية والإسلامية الدولية ، ثم خبيراً للمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (بالخرطوم) .

★ يعمل حالياً أستاذاً مشاركاً (معاراً) لمعهد اللغة العربية ـ جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

★ شارك في بعض المؤتمرات العربية .

★ له عدد من الكتب المطبوعة في حقل تخصصه ، ومجموعة من البحوث والمقالات .



نعمة عبد الكريم أحمد



★ من مواليد الإسكندرية ـ مصر عام ١٩٥١م .

★ تمهيدي ماجستير علم النفس .

★ تجيد الإنجليزية والألمانية .

★ عملت معيدة في جامعتي أسيوط والإسكندرية .

★ تعمل حالياً معيدة في كلية الآداب ـ قسم علم النفس ـ جامعة الزقازيق .

★ لها بعض الدراسات والأبحاث نشرتها في الصحف المصرية .

★ عضو الجمعية المصرية للدراسات النفسية .





بنوك المصطلحات الآلية

إذا كان الإنسان يقف اليوم مبهوراً أمام هذا الكم الهائل من المعلومات الناتجة عن التطور المذهل في مجالات العلم والتقنية «التكنولوجيا».

وإذا كان تصوره قد دفعه إلى تخيل هذا الكم من المعلومات على أنه نوع من «الانفجار» تعبيراً عن ضخامة ما بين يديه ومن خلفه ومن تحته ومن فوقه من معلومات هائلة بحيث يعجز أي عقل بشري عن استيعابها.

إذا كان هذا هو موقفه اليوم فماذا سوف يكون عليه حاله إذا علم أن هذا الكم من المعلومات المنتجة ستصير بحلول عام ١٩٨٧ م، (أي بعد ثلاث سنوات وأشهر) ستة أضعاف ما هي عليه الآن؟.

بل: ماذا سيكون عليه الحال عام ٢٠٠٠ مثلاً؟.

كيف يستطيع الإنسان متابعة وتصنيف هذه المعلومات للاستفادة منها عند الحاجة في بعض اللغات الرئيسية.. ولا نقول اللغات البشرية كلها؟.

سؤال، لم يقف الإنسان أمامه عاجزاً، بل سعى ـ كعادته ـ لإعداد العدة وتهيئة الوسائل والقنوات اللازمة لاستيعاب «الانفجار الكبير للمعلومات» القادم!.

من هذا الشعور بالحاجة عرف الإنسان «الكمبيوتر» أو العقل الآلي، وبواسطته أنشأ مجموعات من «بنوك المعلومات»، وهو مستمر في توسيع قاعدة استخدام بنوك المعلومات بنجاح أعطى ثماره الجيدة.

ثم وجد نفسه أمام قضية جديدة هي قضية «المصطلحات العلمية» التي أصبحت تمثل مشكلة أمام العلماء والباحثين والدارسين الذين يعرفون لغات عديدة. فاهتدى إلى استخدام «الكمبيوتر» لحل هذه المشكلة.. وكانت النتيجة ظهور ما يسمى بـ«بنوك المصطلحات».. فما هذه البنوك.. وكيف تعمل؟.

في هذا العدد تنشر المجلة ـ لأول مرة ـ موضوعاً يجيب على هذين السؤالين.. وغيرهما من الأسئلة التي قد تدور في أذهان القراء.

ولتبسيط الأمر نقول: إن بنك المصطلحات هو معجم آلي لعدد من اللغات يتكون من:

١ ـ مخزن معلومات لمصطلحات علمية بلغات عديدة.

٢ ـ برامج مختلفة للوصول إلى هذه المعلومات المخزونة بسهولة ويسر.

وقد أنشئ عدد من بنوك المصطلحات في العالم مثل: بنك كويبك للمصطلحات، وبنك لكسيس الألماني، وبنك نورماتيرم الفرنسي.. وغيرها.

وبنوك المصطلحات هذه متعددة فهناك بنوك للمصطلحات العلمية والتقنية، وبنوك للمصطلحات الاقتصادية.. ومستقبلاً سوف تكون هناك بنوك للمصطلحات الفنية، وأخرى للمصطلحات التربوية، والأدبية.

ومن فوائد هذه البنوك واستخداماتها تزويدنا بالمعلومات التي نطلبها عن أي مصطلح، وإنتاج معاجم للاستعمال العام.. وغيرها.. وعلى رأس هذه الفوائد تزودنا هذه البنوك ـ وخاصة رجال الترجمة ـ بالمصطلحات المناسبة التي نحتاجها.

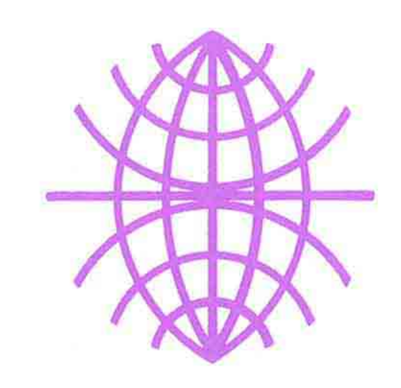
فإذا صادف مترجم ما مصطلح باللغة الفرنسية ـ مثلاً ـ فإنه يستطيع أن يحصل على ما يقابله بأية لغة يريد الترجمة إليها فوراً، على شرط أن تكون اللغة المطلوبة هي إحدى لغات البنك، وبهذا الأسلوب يوفر المترجم على نفسه الكثير من الوقت الضائع في البحث عن هذا المصطلح في المعاجم التقليدية المعروفة.

ومستقبلاً سوف تساعد بنوك المصطلحات على توحيد المصطلحات نتيجة اشتراك أفراد أو هيئات في بنك واحد.

ونحن ـ في الوطن العربي ـ لو نظرنا إلى قضية المصطلحات وما نعانيه من تعددها سواء المصطلحات العلمية أو العسكرية أو غيرها بحيث أصبح لكل بلد عربي مصطلحاته الخاصة التي تتبع إحدى بلدان الدول المتقدمة المرتبطة بمصالحها.. لو نظرنا إلى واقع هذه القضية لوجدنا أننا في أمس الحاجة لمثل هذه البنوك التي يمكن أن تحل صورة من صور اختلافنا وخلافاتنا رغم أننا نتحدث ونكتب بلغة واحدة.

فهل لنا أن نشمر عن سواعدنا ونتكاتف لاستخدام بنوك المصطلحات حتى نتمكن من متابعة ما يحدث ويجد في عالم التكنولوجيا والعلوم وغيرها من المعارف الإنسانية؟.

رئيس التحرير



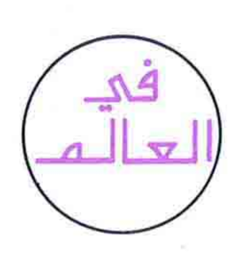


* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهريا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا . والله الموفق **



- يوم للمعلم في السعودية .
- أمسيات شعرية وندوات ومسابقات ثقافية .
- مخيم للكمبيوتر في طنجة بالمغرب .
- كشوف أثرية في مصر والعراق .
- ندوة عن التعليم التقني في تونس .
- تعريب أسماء المؤسسات في الإمارات العربية المتحدة .



- متحف لتأثير الحروب في ألمانيا .
- مسابقة دولية في القرآن الكريم .
- صدور كتاب يضم مجموعة من اللغات .
- بحوث عربية في كندا .
- ندوة عن الشعر العربي في بريطانيا .



السعودية

يوم للمعلم

بهدف رفع معنوية المعلم، والعمل على تقديره، والتعريف بأهمية مهنة التعليم وتدريسها، وإلقاء مزيد من الضوء على دور المعلم في تنشئة الأجيال، وحفز المعلمين على بذل المزيد من الجهد ومواصلة العطاء، وإثراء الحقل التربوي للمكتبة العربية بما يكتب عن المعلم ودوره في هذه المناسبة، وبهدف توثيق الصلة بين الطالب والمعلم من جهة، وبين المعلم والمجتمع من جهة أخرى، وتشجيع القطاع الخاص على الاحتفاء بالمعلم وتقديره.

لهذا كله، قررت **وزارة المعارف** إقامة يوم للمعلم سيتحدد وتبلغ إدارات التعليم به، وعلى إثره سيكرم المعلم من قبل القطاع الخاص وهيئات المجتمع المختلفة، وذلك بدعوة من وزارة المعارف ووسائل الإعلام الأخرى التي سيكون لها دور رائد في هذا المجال.

مسابقة ثقافية

أعلن المركز الصيفي بالأحساء التابع **لجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية** عن تنظيم **ثلاث مسابقات ثقافية في مجال:**

★ «**القصة القصيرة**»، بشرط أن تكون مكتوبة باللغة العربية الفصحى، ولا تتجاوز عشر صفحات، وأن تتحدث عن نواح واقعية أو أفكار بناءة مفيدة.

★ «**التأليف المسرحي**»، بشرط أن تكون المسرحية مكونة من فصل واحد أو اثنين أو ثلاثة، وأن تكتب باللغة الفصحى، وأن يجتنب فيها العنصر النسائي، وأن تعالج فكرة هادفة أو مشكلة اجتماعية مع وضع الحلول المناسبة.

★ «**المعارف العامة**»، وهي عبارة عن سبعة أسئلة ثقافية تتم الإجابة عليها، من هذه الأسئلة:

● أن يتحدث المتسابق عن المحن التي تعرض لها اثنين من هؤلاء:

أبو حنيفة، مالك، ابن حنبل؟

● كم عدد الجامعات في المملكة؟ مع ذكر اسم كل جامعة ومقرها.

● الكتابة عن شخصين من هؤلاء:

الملك عبد العزيز، عبد العزيز بن باز، أبو الأعلى المودودي، الشيخ محمد إبراهيم آل الشيخ.

● الكتابة عن اثنين من الكتب التالية في حدود خمسة أسطر فقط عن كل واحد:

فتح الباري، جامع الأصول لأحاديث الرسول، الطبقات الكبرى، شارح الأمم والملوك، بدائع الفوائد، وحي القلم، إحياء علوم الدين.

مع أن المركز قد حدد آخر موعد للمسابقة يوم ١٥/١٠/١٤٠٤هـ.

وقد اشترك فيها العديد من الشباب المهتمين بالثقافة وكذا طلبة المدارس نظراً لوجود الوقت الكافي لمحاولة تطبيق ما جاء في هذه المسابقة، وكذا المسابقات الأخرى التي نظمتها، بل وأعلنت عنها المراكز الصيفية الأخرى المنتشرة في مناطق متفرقة من المملكة.

كتب جديدة

صدر الكتابان التاليان عن جهاز تليفزيون الخليج:

★ «**أقمار الفضاء... غزو جديد**»، تأليف **الدكتور محمد عبده يماني**.

★ «**أخبار التليفزيون**»، تأليف **الدكتور محمد نصر**.

● «**مجلس الوزراء في المملكة العربية السعودية بين الشريعة الإسلامية والاتجاهات الدستورية المعاصرة**»، تأليف **الدكتور عيد مسعود الجهني**، صدر عن **تهامة**.

● «**سيكولوجية العمل والعلاقات الإدارية**»، تأليف **الدكتور صبحي عبد الحفيظ قاضي**، صدر في **الدمام**.



★ د. عبد العزيز الخويطر ★

● «**فهد بن عبد العزيز ومسيرة دولة**»، تأليف **كمال الكيلاني**، صدر في الرياض.

● «**الرياضة... والهدف**»، تأليف **إبراهيم أمين فودة**، صدر عن **نادي مكة المكرمة الثقافي**.

● «**حياة الأرض في نيجيريا في القرن التاسع عشر الميلادي**»، تأليف **عبد الرحمن عبد الله الشيخ**، صدر عن **دار العلوم بالرياض**.

● «**خلافة أبي بكر الصديق**»، تأليف **حسين عبد الله باسلامة**، صدر عن **تهامة ضمن سلسلة الكتاب العربي السعودي**.

● «**بستان رمضان**»، إعداد **محمد مبارك**، صدر عن **الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون ضمن سلسلة «المكتبة السعودية»**.

● «**مقدمة في شؤون الخدمة المدنية بالمملكة العربية السعودية**»، إعداد **عبد الله راشد السنيدي**، صدر عن **معهد الإدارة العامة بالرياض**.

● «**سنة خامسة سجن**»، تأليف **مصطفى أمين**، صدر عن **الشركة السعودية للأبحاث والتسويق** في سلسلة «**كتاب الشرق الأوسط**».

● «**النفحة القدسية والتحفة الأنسية**»، نظم المرحوم **أحمد عبد القادر الحفظي**، صدرت عن **دار المعلمي بالرياض** في طبعتها الثانية.

● «**الموت والابتسام**»، **مجموعة قصص قصيرة للقاص د. عبد الله أحمد باقازي**، صدرت في **جدة** عن **دار البيان العربي للنشر**.



★ إبراهيم فودة ★ ★ د. عبد الله باقازي ★

● «بسمات»، ديوان زجل للشاعر الدكتور حسن نصيف، صدر عن تهامة ضمن سلسلة مطبوعاتها.

● «دراسة مقارنة في زكاة المال ـ الزكاة في الميزان»، تأليف الدكتور محمد السعيد وهبة وعبد العزيز ججوم، صدر عن تهامة ضمن مطبوعاتها.

مصـر

كشف أثري

في حملة «هيئة الآثار المصرية» للكشف عن الآثار، تم الكشف عن **الباب الوهمي لمقبرة رئيس المخازن الملكية في عصر الملك تيتي الأول من الأسرة السادسة**.

وقد وجد الباب مصنوعاً من الحجر الجيري ومغطى بطبقات من الجبس، عليها نقوش ملونة تحمل اسم صاحب المقبرة ويدعى (**حفي**).

والجدير بالذكر أن الهيئة تواصل عملها للكشف عن باقي أجزاء المقبرة والبئر التي تقع خلف الباب الوهمي.

زبدة فرعونية مجمدة

عثرت بعثة كلية الآثار بجامعة القاهرة على قوالب من مادة دهنية مجمدة داخل أربعة أوان فخارية بمنطقة **سقارة** جنوب أهرامات الجيزة، وتعليقاً على هذا الاكتشاف فقد رجحت البعثة أن تكون «**الزبدة**» **راجعة للعصر الفرعوني** ويزيد عمرها على ٣٥٠٠ سنة. هذا وقد أرسلت عينات منها إلى معامل كلية العلوم بالجامعة للتأكد منها، والتعرف على قدرة الفراعنة في التوصل لطرق حفظ الطعام لأطول فترة في التاريخ لم يسبقهم إليها أحد.

الأدب المقارن

عرَّف **بندتو كروتشين** الأدب المقارن بأنه «اسم جديد لنوع من الخبرة هي موضوع التبجيل على مر العصور». والواقع أن الدراسات المقارنة من نوع الدراسات الإنسانية التي من شأنها أن تزدهر في عصور النهضات ويقظة الوعي الإنساني.. وقد ظهرت في صورتها البدائية حين نهض **الأدب اللاتيني** على إثر اتصاله **بالأدب اليوناني** في القديم، وتبلورت بذورها الأولى في عصر النهضة الأوروبي فتمثلت في نظرية جديدة أطلق عليها كتَّاب عصر النهضة «**نظرية المحاكاة**» واقترنت بالنزعة الإنسانية لذلك العصر، ثم أصبحت في العصر الحديث علماً أصيلاً ذا فروع كثيرة في جامعات العالم نتيجة حتمية لتأصيل النزعة الإنسانية في هذا العصر.

وقد وقف شاعر الهند **رابندرانات طاغور**، عام ١٩٠٨م، في **جامعة جادافيور** في كلكتا يتحدث عن الرسالة الإنسانية للأدب المقارن نقتطف من حديثه هذه العبارات:

«دعيت لأتحدث في موضوع ما تسمونه بالإنجليزية: **الأدب المقارن** Comparative Literature... وما أحاول أن أقوله ينحصر في أمر واحد: فكما أن الأرض ليست مجموعة قطع من مساحات تمتلكها الشعوب المختلفة والاعتداد بالأرض على أنها كذلك لا يمكن أن يصدر إلا عن إدراك الزراع والفلاحين فكذلك الأدب: ليس مجرد مجموعة أعمال أدبية صاغتها أيدي الكتَّاب المختلفين، على أن كثيراً من بيننا يفكرون في أمر الأدب على الطريقة التي سميتها طريقة الفلاحين في أمر الأرض. ومن هذه الإقليمية الضيقة علينا أن نقوم بتحرير أنفسنا، فعلينا أن نجاهد كي ننظر في عمل كل مؤلف بوصفه كلاً، وننظر في هذا الكل بوصفه جزءاً من إبداع الإنسان العالمي، وننظر إلى هذا الروح العالمي في مظاهره من خلال الأدب العالمي. وهذا هو ما آن لنا أن نفعل».

وللأدب المقارن مدلول تاريخي، ذلك أنه يدرس مواطن التلاقي بين الآداب في لغاتها المختلفة، وصلاتها الكثيرة المعقدة، في حاضرها أو في ماضيها، وما لهذه الصلات التاريخية من تأثير أو تأثر أياً كانت مظاهر ذلك التأثير أو التأثر: سواء تعلقت بالأصول الفنية العامة للأجناس والمذاهب الأدبية أو التيارات الفكرية، أو اتصلت بطبيعة الموضوعات والمواقف والأشخاص التي تعالج أو تحاكي في الأدب، أو كانت تمس مسائل الصياغة الفنية والأفكار الجزئية في العمل الأدبي، أو كانت خاصة بصور البلاد المختلفة كما تنعكس في آداب الأمم الأخرى، بوصفها صلات فنية، تربط ما بين الشعوب والدول بروابط إنسانية تختلف باختلاف الصور والكتاب، ثم ما يمت إلى ذلك بصلة من عوامل التأثير والتأثر في أدب الرحالة من الكتاب.

ولا تقف أهمية الأدب المقارن عند حدود دراسة التيارات الفكرية والأجناس الأدبية والقضايا الإنسانية في الفن بل إنه يكشف عن جوانب تأثر الكتاب في الأدب القومي بالآداب العالمية.. وما أغزر جوانب تأثر الكتاب في الأدب القومي بالآداب العالمية، وما أعمق جوانب هذا التأثر لدى كبار الكتَّاب في كل دولة وهذا هو ما عبَّر عنه **الناقد الفرنسي فيلمان** Villemain في محاضراته في **السوربون** La Sorbone عام ١٨٢٨م، بأنه: «**السرقات الأدبية التي تتبادلها كل الدول**» إلا أن الأدب المقارن أرحب أفقاً وأعمق نظراً وأصدق نتائج في دراسته للصلات الأدبية الدولية من الدراسات القديمة الضيقة الأفق والقليلة الجدوى لما كانوا يسمونه «**السرقات الأدبية**».

وقد كان الباحث الفرنسي «**جون جاك أمبير**» J.J. Ampère من أوائل من نبهوا إلى الأهمية التاريخية لدراسة الأدب المقارن حين قال في محاضراته في السوربون أيضاً عام ١٨٣٢م: «سنقوم ـ أيها السادة ـ بتلك الدراسات المقارنة التي بدونها لا يكمل تاريخ الأدب». فإن الأدب المقارن الذي يزيد تاريخه قليلاً عن نصف قرن، لم يفهم منذ نشأته على نحو ما شرحناه، بل فُهم فهماً خاطئاً حيناً وناقصاً حيناً آخر، وقبل أن يستقل بوجوده علماً، كان يختلط في كتابة الكتاب بغيره من علوم الآداب.. إلا أنه في نهاية المطاف استقر على ما هو عليه الآن علماً مستقلاً له فروعه العديدة.

إيمان أنور عبد الله



كتب جديدة

● «آداب السلوك»، تأليف محمد عبد الحميد، صدر عن المكتبة الثقافية بمصر.

● «باب المجتمع»، مجموعة قصصية للقاص محمد سالم، صدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب ضمن سلسلة «الإبداع العربي».

● «الحب والانتظار»، مجموعة قصصية للقاص شمس الدين موسى، صدرت في القاهرة.

● «ذكرياتي السياسية»، تأليف السيد إبراهيم فرج، صدر في القاهرة.

● «مختارات من الشعر اليوناني المعاصر»، كتاب يضم (٣٠٠) قصيدة شعر يونانية، ترجمها الدكتور نعيم عطية، صدر في القاهرة.

● «هذا ما حدث أولا»، مجموعة قصصية للقاص رفقي بدوي، صدرت ضمن سلسلة «الإبداع العربي» عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● «الشعر الإغريقي ـ تراثاً إنسانياً وعالمياً»، إعداد الدكتور أحمد عثمان، صدر ضمن سلسلة «عالم المعرفة».

● «أحلام في برج بابل»، رواية، تأليف أسامة أنور عكاشة، صدرت عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● «مواقف قرآنية معاصرة»، تأليف فوزية مهران، صدر عن دار المعارف.

● «المسرح وقضايا الحرية»، تأليف نسيم مجلي، صدر ضمن سلسلة «دراسات أدبية» عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● «الحالمة ... والحواجز»، مسرحيتان، تأليف أمير سلامة، صدرتا عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

● «الدين ... والتدين»، تأليف الشيخ أحمد حسن الباقوري، صدر ضمن سلسلة «كتاب اليوم».

● «في قلب امرأة»، رواية، تأليف أحمد حامد، صدرت عن مكتبة سيف بالجيزة.

● «رؤية في تحديث الفكر المصري»، تأليف الدكتور أحمد زكريا الشلق، صدر عن مركز وثائق تاريخ مصر المعاصر.

● «٥ أيام هزت مصر»، تأليف محسن محمد، صدر بالقاهرة.



★ الشيخ الباقوري ★ ★ كاظم جواد ★



كتب جديدة

صدرت الكتب التالية عن المؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر:

★ «أزهار البرواق»، ديوان شعر للشاعر أحمد عاشوري.

★ «السفر إلى القلب»، ديوان شعر للشاعر الأزهر عطية.

★ «تضاريس لوجه غير باريس»، ديوان شعر للشاعر ربيعة الجلطي.

★ «يا أنت... من منا يكره الشمس»، زينب الأعوج.

★ «أرفض أن يدجن الأطفال»، زينب الأعوج.

★ «السائق»، محمد مفلاح.

★ «أحلام الجياد المفجوعة»، مصطفى نطور.

الزاوية الطبية

القلب وأمراضه

لم يعد القلب اليوم المستودع المختار لعواطفنا وانفعالاتنا.. إنه مضخة الجهاز الدموي.. إنه ينبض بمعدل ٧٠ ـ ٨٠ نبضة في الدقيقة. ومن الطرق الحديثة لاستطلاع القلب «الرسام الكهربي» ويقوم بتسجيل النشاط الكهربي للقلب، ويقوم جهاز جلفاني بتسجيل هذا النشاط. كما يوجد أيضاً «الرسام الصوتي»، ويقوم بتسجيل الاهتزازات الصوتية لنبضات القلب. ثم القسطرة وهي إدخال وعاء طرفي (وريد أو شريان) للقسطرة مع مراقبته بالأشعة السينية في تجويف القلب، وعلاوة على أن هذه العملية تساعد على دراسة الضغوط المختلفة يمكن أن تضخ مادة لا تخترقها أشعة X وهي angiocardiogra.. وكل هذه الطرق تساعد على تشخيص حالة القلب وأمراضه.

ومن أمراض القلب الكثيرة الانتشار التشوهات الخلقية وهي التي توجد عند الولادة، فيمكن أن تنفصل الأوردة أو الشرايين المتصلة به أو تنكمش أو تغير موضعها، أو ينفصل جزء من الجدار الفاصل بين الأذينين والبطينين، وكل هذه التشوهات كثيراً ما تكون مجتمعة في مريض واحد مثل مجموعة Fallot الرباعية.

من أبرز نتائج التشوهات اختلاط دم الوريد مع دم الشريان النقي. ولذلك فإن النمو البدني لمرضى التشوهات ضعيف، لأن الدم لا يحمل كفايته من الأكسيجين النقي. وفي بعض الأحيان يزرق لون الشفتين والأنف والأظافر ثم الوفاة نتيجة عجز القلب عن تأدية وظيفته.

★ «خلف الأشعة»، محمد حيدر.

★ «النهار يرتسم في الجرح»، محمد الصالح حرز الله.

★ «رصاص وزنابق»، عمّار بن زايد.

★ «المؤامرة»، الدكتور محمد مصايف.

★ «معزوفة الظمأ»، عمّار بو دهان.

★ «فصول الحب والتحول»، محمد زيتلي.

★ «ثلاثيات العشق الآخر»، سليمان جوادي.

★ «أطفال بورسعيد يهاجرون إلى أول ماي»، عبد العالي رزاقي.

★ «عرس في مأتم الحجاج»، مصطفى محمد الغماري.

★ «قصائد مجاهدة»، مصطفى محمد الغماري.

العراق

مسابقة للقصة القصيرة

دعت دائرة الشؤون الثقافية والنشر بوزارة الثقافة والإعلام العراقية، الأدباء العراقيين والعرب للمشاركة في مسابقة القصة القصيرة، وقد حددت يوم ٣٠ أغسطس (آب) ١٩٨٤م، آخر موعد لاستلام النتاجات القصصية، وذلك بشرط أن تكون مستلهمة من الرصد الميداني للبطولة العراقية، كما يجب أن تكون مكونة من صفحتين فأكثر، ولم يسبق نشرها.

هذا وقد حددت الدائرة جوائز للفائزين.

وفاة شاعر

توفي الشاعر العراقي كاظم جواد في أحد مستشفيات برلين يوم ٦ يونيو (حزيران) ١٩٨٤م، إثر نوبة قلبية.. وكان قد تعرض لبوادر مرض القلب منذ عام ١٩٨١م.

وقد ولد الشاعر في مدينة «الناصرية» جنوب العراق عام ١٩٢٨م، وتخرّج في كلية الحقوق ببغداد.. وتولى عدة مناصب إعلامية في وزارة الثقافة والإعلام.

زامل السياب، وبلند الحيدري، وحسين مردان، وعلي الحلي، وعبد الرزاق عبد الواحد.

تزوج من الشاعرة «سلامة حجاوي»..

صدر ديوانه الوحيد عام ١٩٦٠م، بعنوان «أغاني الحرية» ضم عدداً من قصائده إلى جانب ترجمة لمسرحية الشاعر الإسباني «لوركا» بعنوان «قيثارة غرناطة».

توفي وهو يعد دراسة العلاقات الصهيونية النازية، فقد شغلته القضية الفلسطينية، وكانت همه الكبير.

كشوف أثرية

عثرت البعثات الأثرية التي تعمل تحت إشراف **المؤسسة العامة للآثار والتراث العراقية** في مشروع إنقاذ آثار (**سد حديثة**)، على تشكيلات بنائية من الحجر، وأرضيات سكنى، وأختام أسطوانية، وجرار، وخرز، وأجزاء من الفخار الملون يمثل طيوراً، وكل هذه عائدة للفترة الواقعة بين العصر الأكدي ونهاية العصر البابلي القديم.

كما تم العثور على أجزاء من سور المدينة وعدد من الوحدات التي تعود للعهد **الروماني**، وكذا على بعض النقود، والحلي، والمعادن، والجرار.

وفي موقع **جزيرة بيجان** عثر على مسكوكات نحاسية وقناني زجاجية، ومسارج إسلامية، وعدد من الوحدات البنائية العائدة **للعهد الآشوري**، وفي موقع **خربة الدينية**، تم العثور على بعض المصنوعات الطينية، والأختام الأسطوانية، والأواني الفخارية.

تكريم طه باقر

تكريماً للمرحوم طه باقر المؤرخ والآثاري العراقي، فقد قررت **وزارة الإعلام العراقية إطلاق اسمه على إحدى قاعات المتحف العراقي التي افتتحت مؤخراً.**

ومما يذكر أن الباقر كان من أبرز الاختصاصيين في العالم **بالحضارة السومرية**،

ومن أمراض القلب أيضاً **الأمراض المكتسبة** مثل **الروماتيزم الحاد**. فلا تكاد تمضي أيام على الإصابة بالتهاب الحلق الحاد حتى تظهر في المفاصل، ويمكن أن تشفى بسرعة، لكن الخطورة تكمن في احتمال إصابة أغشية القلب المختلفة مثل التامور، أو غشاء القلب الداخلي الذي يكون **الصمامات** وبذلك يحدث ضمور في الصمامات، وصمام المترال METRAL أكثرها تعرضاً للإصابة وقد يحدث هبوط للقلب.

ويعتبر **تليُّف نسيج القلب العضلي** من كوارث العصر الحديث وهو ينشأ عن إصابة الشرايين برواسب من الدهون فلا تعود عضلة القلب تحصل على كل الأكسيجين الذي يلزمها، وتبدأ أعراض **الذبحة الصدرية**، وقد تسبب وفاة أو تهتك في خلايا القلب.

والعوامل التي تساعد على هذا المرض هي: **نيكوتين السجائر والبدانة وارتفاع ضغط الدم**، وكثيراً ما يتضاعف الانسداد بحدوث اضطرابات في حركة القلب بالنسبة لإصابة **النسيج العقدي** الذي يضمن آلية عمل القلب، وعندئذ يختل انتظام ضرباته فتزيد سرعتها أو تبطئ عن المعدل الطبيعي.

وهكذا نجد أن أمراض القلب تؤدي إلى ضعفه فيهلك المريض لأقل مجهود.. وفي بعض الأحيان يكون زرع القلب هو الحل للشفاء، هذا إذا أمكن التغلب تماماً على المشاكل الفنية، إذ إن ظاهرة رفض الجسم للأجزاء المزروعة لا يمكن تجنبها في كل الأحوال، كما أن التقدم في مجال الطب يرتبط بالتقدم في العلوم الأخرى.

إذن، فهذه المضخة التي تسمى القلب هي جزء من الجهاز الدموي التي تتميز عن باقي عضلات الجسم بأنها تبذل جهداً كبيراً ومع ذلك فهي سريعة العطب.

د. بهاء لطفي عبد المجيد قابيل
مصر - منيا القمح





وقد انتقل إلى رحمة الله تعالى في هذا العام عن (٧٢) عاماً .

سلسلتان جديدتان

أصدر مركز التوثيق والإعلام ببغداد سلسلتين جديدتين هما :

★ **السلسلة الإعلامية .**

★ **والسلسلة التوثيقية .**

وقد صدر من السلسلة الإعلامية كتابان هما :

● **« إعلام العالم الثالث » .**

● **و « نحو تخطيط موحد للإعلام العربي » .**

أما السلسلة التوثيقية فقد صدر منها كتابان أيضاً هما :

● **« مصادر المعلومات في دول الخليج » .**

● **« وموسوعة التوثيق والمعلومات الصغيرة » .**

ومما يذكر أن إصدار مثل هاتين السلسلتين من قبل مركز التوثيق والإعلام قد جاء تنفيذاً لتوجيهات **مؤتمر وزراء الإعلام لدول الخليج العربية .**

السودان

كتب جديدة

● **« حكايات عن الناس والحيوان » ، مجموعة قصص للأطفال** صدرت عن **دار النشر بجامعة الخرطوم .**

● **« الجوهر الناضر في الماضي والحاضر » ، ديوان شعر للشاعر عمر البنا ،** صدر عن **دار النشر بجامعة الخرطوم .**

● **« مزالق في طريق البحث اللغوي والأدبي وتوثيق النصوص » ،** تأليف **عبد المجيد عابدين ،** صدر عن **دار جامعة الخرطوم .**

● **« أطفالنا » ،** تأليف **محمد خوجلي صالحين ،** صدر ضمن سلسلة **« ثقافة المجتمع »** التي تصدر عن **قسم النشر بمصلحة الإرشاد .**

● **« الدبلوماسية السودانية » ،** تأليف **جمال محمد أحمد ،** صدر ضمن سلسلة **« ثقافة المجتمع » .**

● **« التاريخ ... وأثره في المواطن السوداني » ،** تأليف **الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم .**

● **« روّاد الفكر السوداني » ،** تأليف **محجوب باشري ،** صدر عن **دار الفكر بالخرطوم .**

تونس

ندوة عن التعليم التقني

عقدت في تونس ندوة عربية عن التعليم التقني والفني في الوطن العربي ومدى إقبال الطلبة عليه ، وذلك تحت إشراف وتنظيم **الاتحاد العربي للتعليم التقني .**

ومما يذكر أن هذه الندوة التي عقدت في العاشر من شهر شوال الماضي ١٤٠٤ هـ ، قد تناولت عدة أمور منها :

★ تطوير المجال التقني ، والسبل الكفيلة بزيادة الإقبال عليه .

★ الوقوف على جهود الأقطار العربية وكذا المنظمات الدولية في هذا المجال .

هذا وقد شاركت في الندوة وفود من الدول العربية كافة ، والمنظمات العربية والدولية المتخصصة في هذا المجال .

كتب جديدة

● **« فلسفة ميخائيل نعيمة من خلال « اليوم الأخير »** ـ دراسة وتحليل » ، تأليف **الطيب بن عمار وفرج بن حسين ،** صدرت عن **الدار التونسية للنشر .**



★ البشير بن سلامة ★ ★ علي عبد الله خليفة ★

● **« قرطبة الإسلامية في القرن الحادي عشر الميلادي ـ الخامس الهجري » ،** تأليف **الدكتور محمد عبد الوهاب خلاف ،** صدر **في تونس .**

● **« نظرية التطعيم الإيقاعي في الفصحى » ،** تأليف **البشير بن سلامة ،** صدر عن **الدار التونسية للنشر .**

● **« تاريخ الفلسفة في الإسلام » ،** تأليف **ت . ج ، دي بور ،** تعريب **محمد الهادي أبو ريدة ،** صدر عن **الدار التونسية .**

المغرب

مهرجان للفنون الشعبية

أقيم في (مراكش) مهرجان للفنون الشعبية ، وهو المهرجان السابع عشر ، حيث شاركت فيه (٢٢) فرقة من مختلف جهات المغرب . هذا وقد تميزت العروض التي عرضت فيه بالعرض العفوي وبدون أية رتوش حيث لم تتدخل التقنيات الحديثة فيها ، وتكمن أهميتها ، بل وأهمية هذه المهرجانات في أنها تعكس التراث الأصيل للمغرب العربي .

والجدير بالذكر أن هذا المهرجان لا يتوقف فقط على العروض ، بل يتعدى ذلك إلى كونه حدثاً ثقافياً تدور فيه المناقشات حول الأصالة والمعاصرة في مختلف الفنون .

مخيم للكمبيوتر

أقيم بمدينة (طنجة) لأول مرة ، مخيم خاص للتدريب على الكمبيوتر لشباب من مختلف الدول

العربية، وذلك خلال شهر يوليو (تموز) ١٩٨٤م، استمر لمدة ثلاثة أسابيع، وأشرف عليه (٢٠) مدرباً على الكمبيوتر، و (٢٥) مشرفاً اجتماعياً وتربوياً، وذلك بالاتفاق مع **«المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بوزارة التخطيط والشبيبة المغربية»** لتدريب الفتى العربي.

والجدير بالذكر أن الهدف من هذا المخيم تعريف الشباب العربي على النظم الأساسية للعمل على الكمبيوتر واستخدامه بأسلوب يجعلهم يتعاملون معه بسهولة وفعالية بهدف استخدامه في حياتهم اليومية كما يفعلون مع أي جهاز آخر.

معرض للكتاب الإسلامي

أقيم في (الدوحة) معرض للكتاب الإسلامي وذلك تحت إشراف وتنظيم **«دار الكتب القطرية»**.

شارك فيه أكثر من عشرين داراً للنشر والتوزيع المحلية، إضافة إلى عدد كبير من الهيئات والإدارات الحكومية القطرية المعنية بالتراث الثقافي الإسلامي.

ضم المعرض الذي استمر لمدة أسبوعين جناحين رئيسيين، أحدهما لبيع الكتب وضم حوالي (٦٠٠٠) كتاب إسلامي تمثل أحدث ما أنتجته دور النشر المحلية والعربية.

أمسية شعرية

بغرض اكتشاف المواهب وتشجيعها، فقد أقام **نادي الجسرة الثقافي الاجتماعي بالدوحة** أمسية شعرية شارك فيها في مجال الكتابة الشعرية الشباب:

★ أحمد راشد المهندي.

★ محمد إبراهيم الشاعر.

★ علي غريب.

★ عبد الهادي الشادي.

★ عوض القحطاني.

★ سالم المهندي.

ومع هؤلاء شارك **الشاعر علي عبد الله خليفة والشاعر خليفة جمعان.**

كتب جديدة

● **«أمة واحدة»، ديوان شعر للشاعر كمال عبد الكريم الوحيدي**، صدر عن **قسم الدراسات والبحوث في إدارة الثقافة والفنون بالدوحة.**

● **«تاريخ مكة المكرمة»**، تأليف **علي القاضي**، صدر في **الدوحة.**

● **«تاريخ المدينة المنورة»**، تأليف **علي القاضي**، صدر في **الدوحة.**

محاضرات

● «الإسلام يسعى لفصل العاصي عن المعصية لا لفصله عن الجماعة»، محاضرة ألقاها الشيخ سعد بن حامد المطرفي بجدة.

● «القرآن الكريم يحمل في داخله أدلة صادقة»، محاضرة ألقاها الدكتور محمود سلامة وذلك بنادي الشعلة بالخرج.

● «دور الرابطة ... في العالم»، محاضرة ألقاها معالي الدكتور عبد الله نصيف أمين عام رابطة العالم الإسلامي وذلك بجدة.

● «دور الشباب في إصلاح الأمة»، محاضرة ألقاها سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز بالطائف.

● «فضل قراءة القرآن الكريم ... وتعلمه»، محاضرة ألقاها الشيخ عبد الله بن حمود الفراج بحفر الباطن.

● «الزكاة وأثرها في المجتمع»، محاضرة ألقاها الشيخ عبد الرحمن العريني بالجوف

● «ملامح القصة القصيرة في الأدب السعودي»، محاضرة ألقاها الدكتور محمد شحادة عليان بكلية التربية بالطائف.

الإمارات العربية

تعريب أسماء المؤسسات

حفاظاً على اللغة العربية، فقد تقرر إطلاق أسماء عربية على كافة المؤسسات والشركات العاملة بدولة الإمارات العربية المتحدة.

ومما يذكر أن هناك موجة قد شملت معظم دول الخليج تهدف إلى اعتبار الإنجليزية هي اللغة الرسمية في التبادل خاصة في المؤسسات غير الحكومية، إلا أنه لا يزال هناك تيار يحاول المحافظة على **لغة القرآن الكريم** وهو التيار القوي مما جعل هذا الأمر يصدر في الإمارات، الذي سيطبق عما قريب خاصة في مجال الأسماء، أما التعامل فسيأتي فيما بعد.

سورية

كتب جديدة

● **«بالع السكين»، مجموعة شعرية للشاعر نبيه شعار**، صدرت عن **دار الحوار للنشر والتوزيع في اللاذقية.**

● **«خماسيات ... وأغان لها»، مجموعتان شعريتان للشاعر محمد بشير**، صدرت في **دمشق** عن **دار الثقافة.**

● **«أعمال المرحوم القاص فؤاد الشايب»**، صدر **الجلد الأول بدمشق** عن **وزارة الثقافة والإرشاد القومي.**

● **«ضيعتي الحبيبة»، رواية** تأليف **سمير الحاج شاهين**، صدرت في **دمشق.**

● **«سهام الإصابة في الدعوات المجابة»**، تأليف **جلال الدين عبد الرحمن**



السيوطي، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، صدر عن عالم التراث للطباعة والنشر.

● «الغناء فوق اليباس الخصيب»، ديوان شعر للشاعر سعد الدين كليب، صدر في دمشق.

فلسطين :

كتب جديدة

● «مراجعات»، تأليف نادر نصر الله، صدر في فلسطين.

الكويت :

هيئة إسلامية عالمية

عقد في الكويت اجتماع للجنة التأسيسية للهيئة الإسلامية العالمية، وذلك خلال شهر يونيو (حزيران) ١٩٨٤م.

وتشترك في هذه اللجنة (١٥٠) شخصية من العالم الإسلامي من ذوي الخبرة في الدعوة الإسلامية وإنشاء المدارس والمستشفيات، والمساجد، وتقديم الخدمات الاجتماعية والاقتصادية، وخدمات التعلم والثقافة، ويمثلون (٢٨) دولة عربية، وإسلامية.

والجدير بالذكر أن هذه الهيئة تعتبر أكبر مؤسسة إسلامية خيرية غير حكومية.

كتب جديدة

● «البعث والنشور»، تأليف البيهقي، تحقيق الدكتور عبد الفتاح أحمد والدكتور أحمد يوسف سليمان، صدر في الكويت.

الأردن :

مؤسسة أردنية وجائزة دولية

فازت إحدى المؤسسات الأردنية العاملة في مجال الطاقة الشمسية (بالجائزة الدولية للجودة) لعام ١٩٨٤م.

وقد جاء هذا الفوز في المسابقة التي نظمتها هيئة الصناعة الإسبانية، وشارك فيها عدد من المؤسسات الصناعية في الدول النامية.

ومما يذكر أن المؤسسة الفائزة هي «المؤسسة العربية لصناعة الطاقة الشمسية في الأردن».

كتب جديدة

● «نحو ثقافة وطنية معاصرة»، صدر عن الدار الأردنية للثقافة والإعلام.

● «من بُناة النهضة الأردنية...»، إعداد كايد مصطفى هاشم، صدر في عمّان.

● «انعدام الوزن»، مجموعة قصصية للقاص الدكتور عصام سليمان الموسى، صدر في عمّان.

● «أناشيدي»، مجموعة شعرية للأطفال تأليف الشاعر كمال رشيد، صدرت في جزءين عن دار الفرقان بعمّان.

● «مشكلات في العلوم السياسية»، تأليف الدكتور أحمد جمال ظاهر، صدر عن دار ابن رشد في عمّان.

● «النموذج وقضايا أخرى ـ دراسة في القصة القصيرة ١٩٧٠ ـ ١٩٨٠م»، تأليف عبد الله رضوان، صدر عن رابطة الكتّاب الأردنيين.

● «المكاتيب لا تصل أمي»، مجموعة قصصية للقاص الفلسطيني يوسف ضمرة، صدرت عن دار الأفق الجديد بعمّان.

● «المبادئ العامة للدفاع الاجتماعي»، تأليف الدكتور نائل عبد الرحمن والدكتور محمد نجم والدكتورة هيفاء أبو غزالة، صدر في عمّان.



★ د. صالح لمعي مصطفى ★

● «التحالف السياسي في الإسلام»، تأليف منير محمد العضبان، صدر في عمّان.

● «عيون سلمى»، ديوان شعر للشاعر بكر العزازي، صدر عن دار البتراء الأردنية.

لبنان :

كتب جديدة

● «مسرحية السندباد»، تأليف سمير العبادي، صدرت عن دار ابن رشد ببيروت.

● «الولد الشقي في السجن»، تأليف محمود السعدني، صدر عن دار الوحدة اللبنانية ببيروت.

كما صدرت الكتب التالية عن دار الطليعة في بيروت:

★ «التنمية المفقودة»، تأليف جورج قرم.

★ «التطور اللامتكافئ»، تأليف سمير أمين.

★ «مقدمة في علم الاقتصاد الحديث»، تأليف جوان روبنسون.

★ «الاقتصاد السياسي»، ثلاثة أجزاء، تأليف أوسكار لانكه.

★ «مقدمة في القياس الاقتصادي»، تأليف عصام عزيز الشريف.

★ «شركاء في تشويه التنمية»، تأليف مصطفى حسن علي.

★ «المرأة في الإسلام وفي الحضارة الغربية»، تأليف محمد جميل بيهم.

★ «الخطاب العربي المعاصر»، تأليف محمد عابد الجابري.

★ «الفلسفة في معركة الأيديولوجيات»، تأليف ناصيف نصار.

★ «نحن والتراث»، تأليف محمد عابد الجابري.

★ «النهضة والسقوط في الفكر المصري الحديث»، تأليف غالي شكري.

★ «العلوم الإنسانية والأيديولوجيا»، تأليف محمد وقيدي.

★ «الفحص النفساني»، تأليف مصطفى حجازي.

★ «التحليل النفسي للذات العربية»، تأليف علي زيعور.

★ «أصول الطب النفساني»، تأليف فخري الدباغ.

★ «المؤلفات الكاملة لسيغموند فرويد».

★ «مساهمة في نقد النقد الأدبي»، تأليف نبيل سليمان.

★ «سوسيولوجيا النقد العربي الحديث»، تأليف غالي شكري.

★ «نظريات الشعر عند العرب»، تأليف مصطفى الجوزو.

كما صدرت الكتب التالية عن دار النهضة العربية ببيروت:

★ «علم الصحة النفسية»، تأليف الدكتور مصطفى الشرقاوي.

★ «تطور النقد والتفكير الأدبي الحديث»، تأليف الدكتور حلمي مرزوق.

★ «القباب في العمارة الإسلامية»، تأليف الدكتور صالح لمعي مصطفى.

★ «عدم الانحياز بين النظرية والتطبيق»، تأليف الدكتور يحيى أحمد الكعكي.

★ «جغرافية إفريقيا»، تأليف الدكتور محمد فتحي أبو عيانة.

★ «الأسس العامة للتدريس»، تأليف الدكتور رشدي لبيب وآخرون.



●● «القضية الفلسطينية... ومبدأ تقرير المصير»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية آداب جامعة الملك عبد العزيز بجدة، تقدم بها سمو الأمير ممدوح بن عبد العزيز آل سعود.

●● «وضع المدرسة الثانوية التونسية... أمثلة نموذجية وشروط إنتاجية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة باريس خمسة، تقدم بها السيد أحمد شبشوب.

●● «التربية والتنمية الاجتماعية الريفية ـ دراسة ميدانية لقرية الحائر بمنطقة الرياض»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية آداب جامعة الملك سعود بالرياض، تقدم بها السيد إبراهيم عبد المنعم سرحان.

●● «الصورة الشعرية عند أبي القاسم الشابي»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية آداب جامعة القاهرة، تقدم بها السيد مدحت سعد الجيار.

●● «تقويم برامج محو الأمية في السودان»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة مانشستر، تقدمت بها السيدة أفكار محمد الحسين سالم.

●● «رؤيا البطل في مسرحيات ت. س. إليوت»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية آداب جامعة الملك عبد العزيز بجدة، تقدم بها السيد أيوب عبد الحي عثمان.

●● «بيت التمويل الكويتي»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها السيد عبد الرحمن المقيسط.

●● «الدية بين العقوبة والتعويض في الفقه الإسلامي»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية الحقوق التابعة لجامعة الأزهر، تقدم بها السيد عوض أحمد إدريس.

●● «شعر الرثاء في الجاهلية والإسلام»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية آداب جامعة دمشق، تقدم بها السيد حسين جمعة.

●● «عمارة اليمني: حياته وشعره ـ دراسة»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية آداب جامعة دمشق، تقدمت بها السيدة سميرة سلامي.

●● «أمراض النبات»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بكلية العلوم ـ جامعة الملك عبد العزيز بجدة، تقدمت بها السيدة لبنى صالح معتوق نوار.

●● «الولاية في النكاح»، موضوع رسالة ماجستير نوقشت بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، تقدم بها السيد عوض العوضي.

●● «تطور الرواية العربية في مصر بين الهزيمتين الأولى سنة ١٩٤٨م، والثانية سنة ١٩٦٧م»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بكلية آداب جامعة القاهرة، تقدم بها السيد محمد الشنطي.

●● «تطور التعليم في الجزيرة العربية»، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة الإسكندرية، تقدم بها السيد عبد الله الشهيل.

●● «كتاب الفوائد ـ للحافظ تمام الرازي»، دراسة وتحقيق، موضوع رسالة دكتوراه نوقشت بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، تقدم بها السيد عبد الغني أحمد جبر مزهدي.



مـاليـزيا

تلاوة القرآن في مسابقة دولية

عقدت في ماليزيا مسابقة دولية خلال شهر رمضان الكريم ١٤٠٤ هـ ، لتلاوة القرآن الكريم وتجويده .

شارك فيها (٢٠) دولة وهي المملكة العربية السعودية ، ومصر ، وتشاد ، والهند ، وإيران ، والعراق ، والكويت ، وليبيا ، والمغرب ، وعُمان ، وبنجلاديش ، وسلطنة بروناي ، وأندونيسيا ، وماليزيا ، ومالي ، والباكستان ، والفليبين ، وسنغافورة ، وسريلانكا ، وأوغندا .

بريطانيا :

ندوة للشعر العربي

أقيمت في لندن ندوة للشعر العربي وذلك تحت إشراف وتنظيم **جمعية الشعر البريطانية** ، حضرها كل من :

★ الشاعر الفلسطيني **سميح القاسم** .

★ الشاعر اليمني **عبد الله العذري** .

وقد حضرها من الشعراء البريطانيين :

★ الشاعر **جورج ماكبث** .

★ الشاعر **جورج وايتمان** .

إضافة إلى عدد من المهتمين ، وكانت هذه الندوة فرصة للقاء ولتبادل المعلومات عن الشعر في الوطن العربي الواسع وفي بريطانيا .

ومما يذكر أن الندوة قد عقدت في مقر الجمعية الكائن في رقم ٢١ بميدان «إيرلزكورت» في لندن ، وذلك خلال يوم ١٩ يونيو (حزيران) ١٩٨٤ م .

ألمانيا :

برنامج عن شاعر عربي

نظم مركز الدراسات الشرقية بجامعة بون بالتعاون مع **جمعية الصداقة اللبنانية ـ الألمانية الغربية** برنامجاً كاملاً عن الشاعر المهجري الراحل **«جبران خليل جبران»** ، وذلك خلال شهر يونيو (حزيران) ١٩٨٤ م ، نوقشت فيه عدة أمور تتعلق بالشاعر وشعره ، ومن ثم اختتم البرنامج بمحاضرة تحت عنوان «جبران خليل جبران : شاعر من لبنان» ، ألقاها **الدكتور سهيل بشروتي** نائب رئيس لجنة مهرجانات جبران الدولية .

كندا :

بحوث عراقية

قدم مركز بحوث الطاقة الشمسية العراقي أربعة بحوث إلى **المؤتمر العالمي للطاقة الشمسية** الذي عقد بكندا والذي اشترك فيه أكثر من ٥٠٠ عالم .

وتتعلق تلك البحوث بقياسات وتطبيقات **الطاقة الشمسية في العراق** ، وتوزيع طاقة الرياح فيه ، واستخدامات الطاقة الجديدة والمتجددة ، والطاقات الكهربائية والكهرومائية .

النمسا :

مؤتمر أدبي

عقد في فيينا أكبر لقاء دولي ضم العديد من الأدباء من فرنسا وإسبانيا وإيطاليا ، وذلك لمناقشة فكرة أعمال الفيلسوف والناقد الأدبي والفني .. الفرنسي **«ديدرو»** .

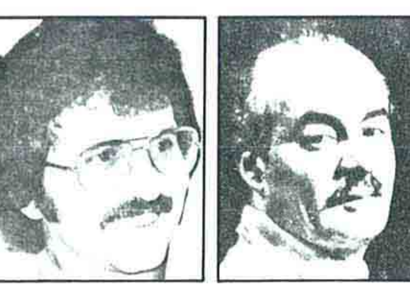
وقد نوقشت في هذا اللقاء عدة أمور منها :

★ طريقة ديدرو في الكتابة .

★ فلسفته ونشأة النقد عنده .

وغيرها من القضايا .

ومما يذكر أن ديدرو ، اسمه **«دنيس ديدرو»** هو من مواليد فرنسا عام ١٧١٣ م ، وتوفي عام ١٧٨٤ م ، **وكان يعرف بصاحب الموسوعات** ، ومن مؤلفاته الفلسفية **«خواطر فلسفية»** ، وتعد مراسلاته صورة واضحة لعصره .


★ جبران خليل جبران ★ ★ سميح القاسم ★

فرنسا :

معرض للمنحوتات الإفريقية

أقيم في قصر «الغران باليه» في باريس معرض ضخم للمنحوتات الإفريقية ، خاصة من دولة **النيجر** .

وتمثل تلك المنحوتات التي عرضت عدة مراحل تاريخية مرّت بها القارة الإفريقية وتتمثل في وجوه من البرونز ، والحجر ، والنحاس عاكسة بخطوطها المستقيمة والملتوية حضارة الأدغال السوداء ، ومعتقدات أبنائها ، وتطور ظروف معيشتهم .

روسيا

مجموعة لغات في كتاب

تمكن «بوريس تسيبرليس» وهو مدرِّس في **الاتحاد السوفييتي** وبالتحديد في **منطقة «لاتفيا»** ، من جمع الأحرف الهجائية ، وكتب ألف باء لما يزيد عن (١٠٨) لغات في (٣٥) بلداً ووضعها في كتب منهجية مطبوعة في **(لتوانيا)** للأطفال البولونيين الذين يعيش أهلهم منذ مدة طويلة في هذه البلدة . من هذه الكتب كتب ملونة باللغة الأم للهنغار الصغار الذين يدرسون في مدارس أوكرانيا ، ولليونانيين الصغار .

ومن بين ما أضيف إلى المجموعة مؤخراً كتاب للأطفال الساميين الذين يقطنون شبه **جزيرة (كولا)** ، كما يعتزم هذا المدرس أن يضم إلى

مجموعته الأحرف الهجائية «للغة الأليوية» التي يتكلم بها (٥٠٠) نسمة من **جزر الكوماندور**.

كشف أثري

عثر رجال الآثار السوفيات عند سفوح سلسلة **جبال كورامين بجمهورية طاجكستان** على متحف كامل للصور مؤلف من رسوم محفورة على الصخور.

ويعتقد العلماء أن هذه الرسوم تعود للقرنين العاشر والثاني عشر قبل الميلاد، وأنها تخص **الإسكينفيين** في آسيا الوسطى، وهم أجداد الطاجكستانيين.

ألمانيا الشرقية

متحف مناهض للحرب

حباً في السلام، وكراهية للحرب والآثار المترتبة عليها فقد **افتتح في برلين متحف مناهض للحرب** يبين الفظائع والجرائم التي ارتكبت قبل وبعد عصر إنتاج **القنبلة الذرية**.

ويقع المتحف في نفس المكان الذي أقيم فيه أول مركز مناهض للحرب في برلين، والذي قام **النازيون** بنهبه وإحراقه بعد تولي **هتلر** السلطة، فكان الافتتاح بمثابة إعادة هذا المتحف في نفس المكان.

ويضم المتحف صوراً وملصقات عديدة تصور مئات آلاف الجثث المبعثرة على الأرض، كما يحتوي على صور لبعض الذين نجوا بحياتهم من ويلات الحرب رغم آثار التعذيب الواضحة على أجسادهم من تلك الجرائم المرتكبة من النازيين خلال الحرب.

كما يحتوي المتحف على أجزاء تصور الغارات الجوية الذرية على **اليابان**.

أما القسم الأخير من المتحف فتعرض فيه صور للحركات المؤيدة للسلام، والمناهضة للحرب والعنف، وكذلك بعض الصور للجيوش الحديثة المتطورة، تقابلها صور تمثل الفقر والمجاعة اللذان تعاني منها بعض دول العالم الثالث.



أخبار الغد

كتاب إعلامي عن الأندية الثقافية

سيصدر عن رئاسة رعاية الشباب كتاب إعلامي عن الأندية الثقافية تقوم بإعداده إدارة الأندية الأدبية، والكتاب الجديد سيتضمن الآتي:

- تعريفاً بالأندية الأدبية والثقافية.
- جهودها منذ نشأتها إلى الوقت الحاضر.
- الإنجازات التي حققتها.
- المراحل التي قطعتها في مجال مسيرة الأدب والثقافة.
- مدى تشجيعها للأدباء.

كما سيتضمن صوراً إضافة لكل ما سبق، ويعتمد إعداد هذا الكتاب بناء على تقارير تصل للإدارة من الأندية المتفرقة في مناطق من المملكة.

كتب جديدة

- **«مشكلات لغوية»**، تأليف **الدكتور شوقي النجار**، سيصدر عن **تهامة ضمن سلسلة مطبوعاتها**.
- **«الطبقات السنية في تراجم الحنفية»**، تأليف **تقي الدين التميمي**، **تحقيق وتعليق الدكتور عبد الفتاح محمد الحلو**، سيصدر عن **دار الرفاعي بالرياض**.
- **«نوادر من التاريخ»**، تأليف المرحوم **صالح محمد الزمام**، سيصدر **الجزء الثاني في الرياض**.
- **«حال المتهم في مجلس القضاء»**، تأليف **الشيخ صالح بن سعد اللحيدان**، سيصدر عن **مسافي للنشر بالرياض**.
- **«شعر الإمام الشافعي»**، **جمع ودراسة وتحقيق الدكتور مجاهد مصطفى بهجت**، سيصدر في **بغداد**.
- **«شعراء العصر العباسي في الفترة من ٢٢٢ إلى ٢٧٤»**، **إعداد عبد الرزاق شاكر البدري**، سيصدر في **بغداد**.
- **«صولة في ميدان قاحل»**، **مجموعة قصصية للقاص عبد الرحمن مجيد الربيعي**، ستصدر في **بغداد**.
- **«ناجي ... شاعر الأطلال»**، تأليف **محمد رضوان**، سيصدر في **القاهرة**.

أحدث الكتب

- **«الصراع من أجل الأمل»**، تأليف **الألمانية بيترا كيلي**، سيصدر في **لندن**.
- **«العالم المجهول»**، تأليف **مايكل آدمز**، سيصدر عن **دار كوارتيت بلندن**.





مخاطر منع الحمل

في الاثنتي عشرة سنة الأخيرة ارتفع معدل وفاة متعاطيات حبوب منع الحمل بـ ٤٠ ٪ بالنسبة للاتي لا يتناولنه، علماً أن معظم الوفيات وقعت نتيجة **أمراض القلب**. وقد ظهر الفرق واضحاً بالنسبة لأعمار النسوة فوق ٣٥ سنة. كما تبين أنه كلما كان **عمر المرأة أكبر كلما كانت المخاطرة أكبر**. والمدهش أن المرأة التي تعاطت هذه الحبوب سنة واحدة تتعرض للخطر نفسه كتلك التي استعملته عدة سنوات. ولعل أعلى نسبة للوفاة كانت بالنسبة لمتعاطيات حبوب منع الحمل من **المدخنات**. وقد تبينت هذه النتائج لدى تحليل ٢٤٩ وفاة وقعت بين ١٩٦٨ م، و ١٩٧٩ م، وشملت ٤٦٠٠٠ امرأة نصفهن من متعاطيات حبوب منع الحمل.

والباحثون غير متأكدين من السبب الذي يجعل المرأة التي توقفت عن تناول الحبوب معرضة للخطر ذاته كالمرأة التي تستمر في تناوله. هل هذه الحبوب ذات تأثير متأخر أم أن مرض القلب أو الإرهاق الذي تولد أثناء تناول الحبوب يتفاقم مع السنين ويتطور؟ ومن المحير أيضاً أن خطر الوفاة يزداد بازدياد عدد الأولاد أيضاً.

❋❋

جرائم الأحداث

أصدرت **وكالة الأمن الداخلي اليابانية** مؤخراً عدة تحذيرات حول تزايد جرائم الشباب والأحداث في **اليابان**. وحسب الإحصائيات فإن عدد المراهقين الذين ألقي القبض عليهم بجرائم مختلفة بلغ ١١٣ ألف شخص في الأشهر الثمانية الأولى من عام ١٩٨١ م. وقد أشارت الإحصائيات أيضاً إلى أن نسبة **جرائم الاغتصاب** قد زادت بـ ٢٢,٧ بالمائة، والشيء الملفت للنظر أن ٢٠ ٪ من الأحداث الجانحين هم **من الفتيات**، أي أنه من بين كل خمسة متهمين هناك فتاة.

ومع أن هذه الأرقام أقل بكثير من مثيلاتها في الدول المتقدمة الأخرى إلا أنها تمثل زيادة قدرها ١٠ بالمائة عن الفترة ذاتها من العام السابق. وقد عزت مصادر الشرطة تزايد هذه الجرائم إلى الأحداث أنفسهم وإلى **مشاهد العنف والإجرام والجنس في التليفزيون الياباني**.

❋❋



للرياضيين

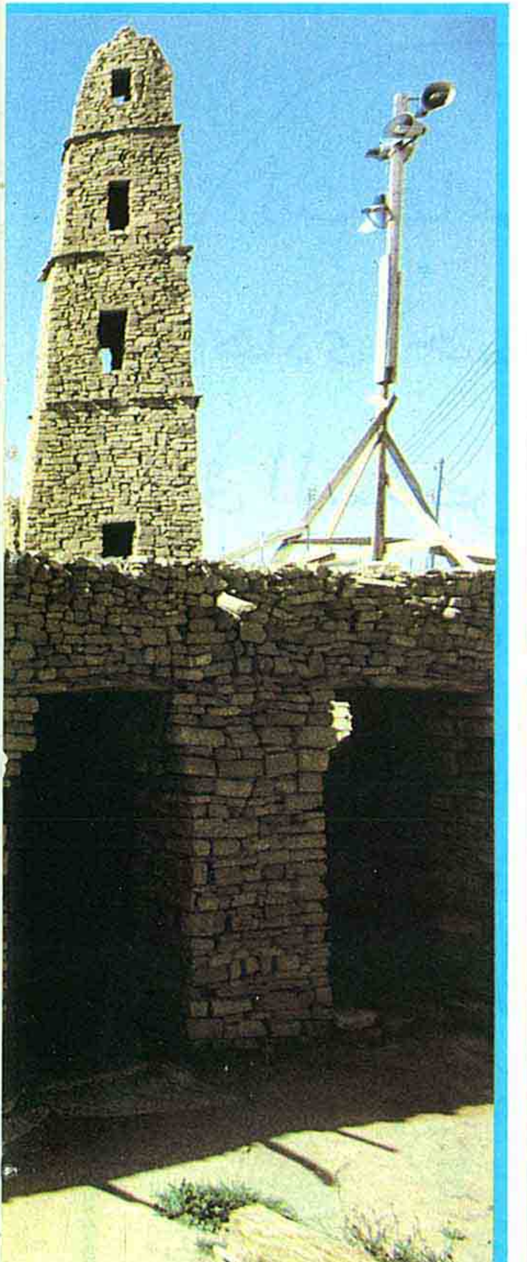
برهن اثنان من الفيزيائيين رياضياً الفكرة التي أعرب عنها كثير من مدربي ألعاب القوى أن الحارة الداخلية في مضمار منحن ليست أسرع حارة. والمشكلة هي عند الدوران، إذ إن الانحناء أشد بالنسبة لمتسابقي **الحارة الداخلية** منه بالنسبة لمتسابقي الحارة الخارجية. ولذلك فإن العداء الأول يضطر إلى بذل طاقات إضافية ليس فقط بالاتجاه الأمامي وإنما بالاتجاهات الجانبية أيضاً كي يحفظ توازنه. وإلا فإن **القوة النابذة** سترغمه على الخروج من حارته. وكلما كانت سرعة العداء أكبر كلما كانت القوة التي يجب التغلب عليها أكبر.

ومع أن المعادلات تبين العوامل المختلفة التي تعمل ضد عدائي الحارة الداخلية وتلك المساعدة لعدائي الحارة الخارجية إلا أن للعدائين رأياً مختلفاً. فعداء الحارة الخارجية غير قادر على رؤية المتسابقين الآخرين، بينما العكس صحيح بالنسبة لعدائي الحارة الداخلية. ويقول أحدهم: «عندما ترى المتسابقين الآخرين أمامك، فإن اهتمامك يتجاوز المعادلات».

❋❋


أنت شاعر عظيم .. هادى أحسن قصيدة فى الشعر الحر قيلت فى هذا القرن
يا أستاذ .. هادى ماهى قصيدة. هادا حل الفوازير كتبها ابنى الصغير
ناقد

★ ثلاث لقطات لمسجد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ... من الداخل ومن الخارج ولمئذنة المسجد ★





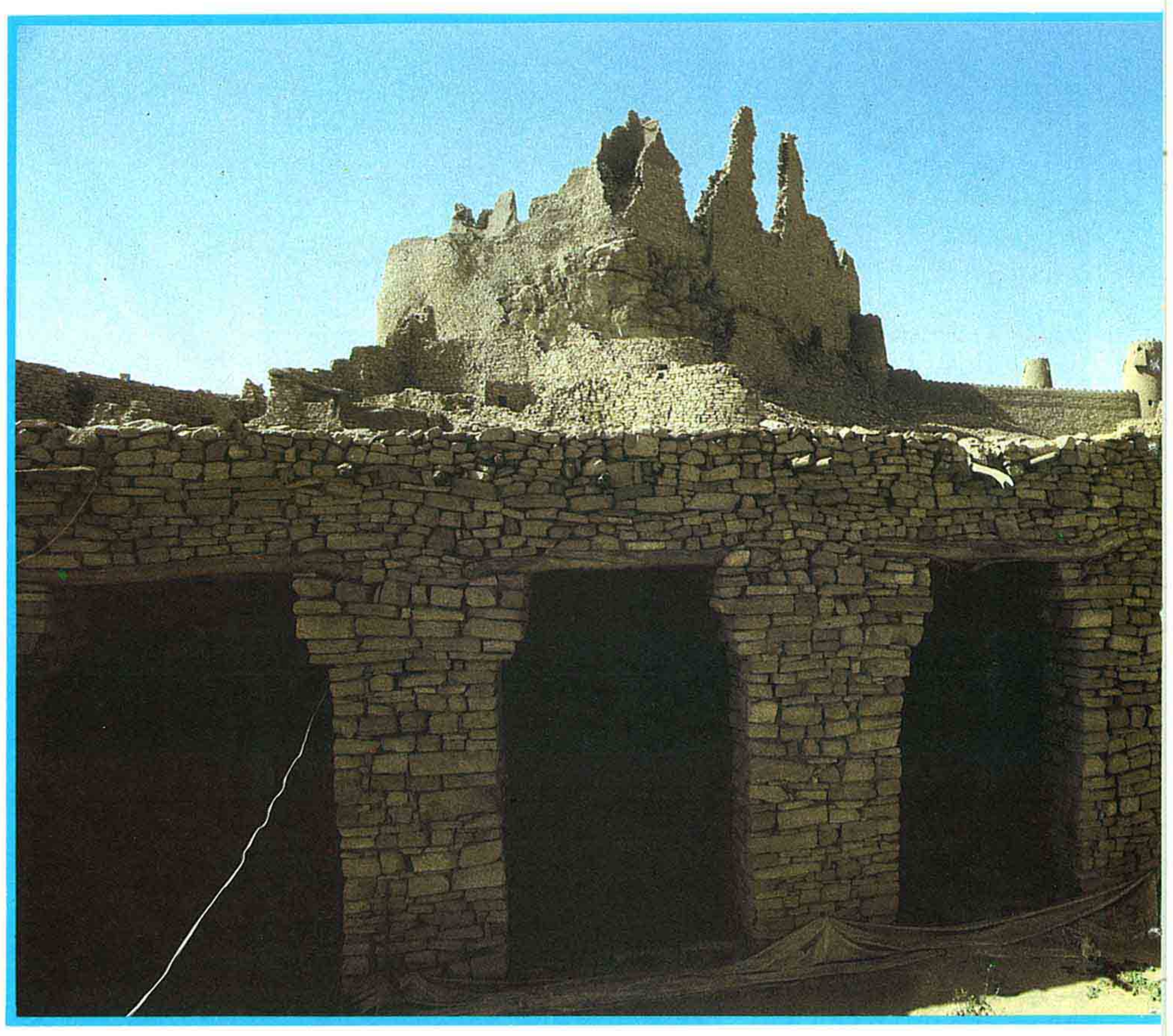
إعداد: يوسف أبو عواد
تصوير: محمد بسير



دومة الجندل



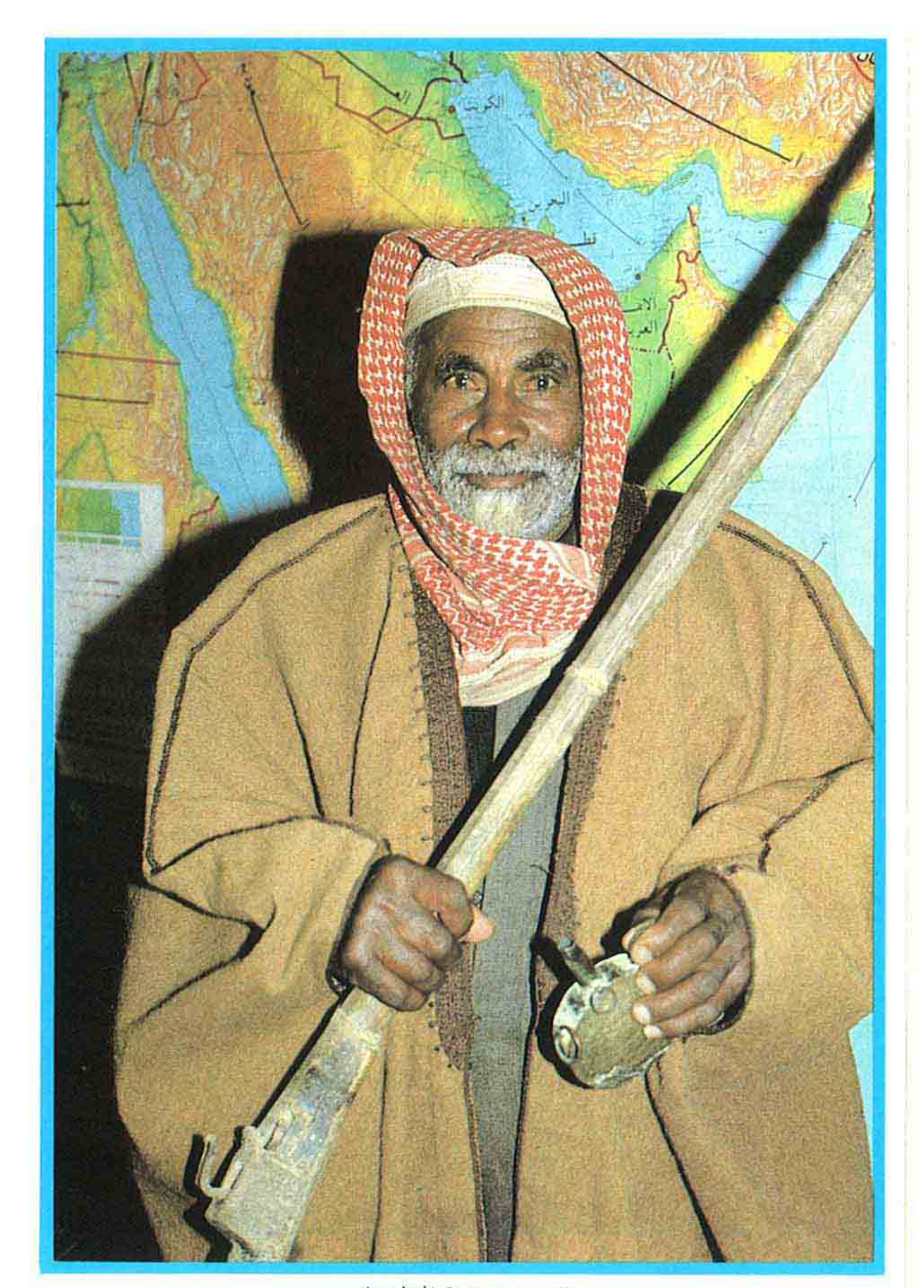
مدينة وتاريخ



التاريخ .. والمارد

في جنوب غربي سكاكا بمنطقة الجوف .. وعلى بعد ٥٥ كيلومتراً ، تقع مدينة دومة الجندل .. هذه المدينة العريقة في تاريخها .. التي وقفت في شموخ وشمم في وجه الغزاة .. وظلت بقلاعها وحصونها قاهرة الطامعين لموقعها الهام .. كطريق للتجارة والحجاج .. هي اليوم تستعيد هذه الأهمية باكتمال الطريق البري الذي يربطها بالقريات والحدود الأردنية من الشمال عبر وادي السرحان ومدينة طبرجل .. لينفذ إلى قلب المملكة بعد اكتمال طريق جبّة الجوف الذي يربطها بحائل والرياض .. تاركة الطريق الساحلي في الغرب على يمينها وطريق خط التابلاين في الشرق على يسارها .

دومة الجندل



★ وجه من « دومة الجندل » ★

الاسم .. والمسمى

تعددت أهميتها .. فتعددت أسماؤها .. قيل عنها (**دوماتا**) .. وقيل (**الجوف**) .. وقيل (**جوف آل عمرو**) .. و (**عقدة الجوف**) .. و (**الخبت**) .

ولعلّ اسم « دومة » نسبة إلى « دوماء » أحد أبناء **إسماعيل عليه السلام** .. **فكما روى ابن الكلبي** أنه لما كثر أبناء إسماعيل عليه السلام بتهامة هاجر ولده ــ دوماء ــ حتى استقر فيها وبنى حصناً .

وكلمة « الجندل » المضافة إلى الاسم اختلف في مناسبتها .. فقائل يرى أنها نسبة إلى الصخر الذي تتميّز به هذه المدينة ، والمعروف بـ ــ الجندل ــ ، وآخر يرى أنه راجع إلى أحد حكامها السفاحين الذي كان يُجَندِل الكثير من خصومه .

و (الجوف) لغة يقصد بها الأرض المنخفضة .. وقد عرفت دومة بهذا الاسم كما عرفت باسم « الجوف » وإن كان يقصد بها حالياً « إمارة منطقة الجوف » التي يتبعها ما يزيد عن ٥٠ مدينة وقرية وهجرة ، ودومة واحدة منها ، فقد كان يقصد بها قديماً دومة الجندل .

و (عقدة الجوف) .. جاءها لكثرة نخيلها . وفي هذا المعنى قال ــ البكري ــ عقدة الأرض هي المعروفة بكثرة نخيلها .. حتى ليقال ــ آلف من غراب عقدة ــ لأنه لا يحتاج للطيران والتنقل لكثرة خصبها . **ووادي السرحان** ــ الذي ــ ما هو حالياً إلا عبارة عن منخفض ليس إلا ، يذكر المؤرخون أنه كان في القديم نهراً صغيراً يصب شتاءً في ــ دومة الجندل ــ فكانت أشبه بمستنقعات لا تصلح للسكن .. وقد كان العرب قبل الإسلام يسمّونها (الخبت) الذي يفهم منه أنها كانت منطقة مستنقعات .. وتجمع مياه .

جغرافيتها

تقول الرحالة **الإنجليزية الليدي آن بلنت** ، التي زارت المدينة سنة ١٨٧٩ م ، في كتابها (**رحلة إلى نجد**) : « بدون شك يبدو أن الجوف كان الحوض الحالي لبحر داخلي .. أما كيف ومتى ولماذا جفّ في الأصل فأمر فوق طاقتي لأخمن .. لكن براهين أصله البحري واضحة في كل مكان » .

ومن قبلها **المستشرق الفنلندي جورج أوغست فالين** الذي زار المدينة سنة ١٨٤٥ م ، قال في كتابه (صور من شمال جزيرة العرب) بما معناه : إن الجوف عبارة عن واد دائري تحيط به سلسلة جبال تسمى (جبال الجوف) ذات ارتفاع واحد تقريباً ، ويساوي ٥٠٠ قدم .. وهناك قمم معزولة ذات ارتفاع متماثل تعترض السلسلة الدائرية جهة الغرب .. وهي متصلة بجبل كلسي أقل منها انخفاضاً



★ قلعة مارد ★

ويتدرّج في انخفاضه حتى نهاية المنخفض الذي تقع فيه دومة الجندل.

تاريخ دومة وأهميتها

يفهم من خلال النقوش التي خلّفها **الآشوريون** ـ لا سيّما في عهد ملكهم **آشوربانيبال** (٦٦٨ ـ ٦٢٢ ق. م) ـ أن دومة الجندل كانت مقراً للملكات عربيات، إحداهن تلقب بـ «**أشتار**»، أو «**أثار سامين**» كان الناس يعبدونها!!! كما تنقل هذه النقوش كذلك وصفاً لبعض الحروب التي خاضتها الملكات مع مملكة آشور. وفي عام **١٩٦٢ م، (١٣٨٢ هـ)** قام العالمان الأميريكيّان اللذان قدما للمنطقة في بعثة أثرية وهما: F.V. Wennt & W.L. Reed Antiont بتأليف كتاب باسم: Records From Arabia يضم الكثير من التفاصيل عن هذه الأحداث التاريخية.

ويذكر أن ـ **الزبّاء ـ ملكة تدمر** قد غزت دومة الجندل لكنها لم تستطع فتح حصنها (**مارد**) وأنها تابعت طريقها إلى **تيماء** للاستيلاء عليها، وفي ذلك قالت عبارتها المشهورة: «تمرد مارد، وعز الأبلق».

وقد كان لمدينة دومة الجندل أهمية كبيرة في **العصر الجاهلي** من خلال سوقها التجاري.

وفي بداية الدعوة للإسلام غزا **النبي صلى الله عليه وسلم** دومة الجندل في ربيع الأول من السنة الخامسة للهجرة، كما يذكر ذلك **الواقدي**، وفرّ أهلها وأصاب النبي عليه الصلاة والسلام ومن معه من أنعامهم ثم عاد للمدينة. وعاد في العام التالي وأرسل في فتحها ودعوة أهلها للإسلام **عبد الرحمن بن عوف** ولمّا أسلم رئيسهم **الإصبع بن عمرو الكلبي**، وأرسل عبد الرحمن بن عوف يخبر النبي بذلك أمره أن يتزوّج ابنته «تماضر» فكانت أول كلبية يتزوجها قرشي. فولدت له **أبا سلمة الفقيه**. وفي السنة التاسعة للهجرة بعد فتح مكة (سنة ٨ هـ) أرسل النبي لها **خالد بن الوليد** من **تبوك**، ففتحها وأسر ملكها «الأكيدر» وقدم به إلى النبي وصالحه على الجزية. لكنه عاد وارتدّ بعد وفاة النبي. ثم عاد خالد بن الوليد (سنة ١٢ هـ) وغزاها ثانية وأعادها لحظيرة الإسلام. وفي زمن الخلفاء الراشدين ظل **امرؤ القيس** بن الإصبع الكلبي والياً عليها حتى **معركة القادسية**، وفي زمن **عثمان بن عفان رضي الله عنه** استلم مروان بن الحكم حكم دومة الجندل. وفي زمن **علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه** ظلت تتبع المدينة المنورة تحت حكمه. وقد رأى بعض المؤرخين أن التحكيم بين علي ومعاوية كان بدومة الجندل.. وفريق آخر رأى أنه كان بـ (أذرح) جنوب الأردن.

وفي زمن **الدولة العثمانية** وما سبقها كانت دومة الجندل هي الطريق الرئيسي بين الشام

دومة الجندل

والجزيرة العربية وبين العقبة والعراق كطريق للقوافل التجارية من جهة وللحجاج إلى الديار المقدسة من جهة أخرى .

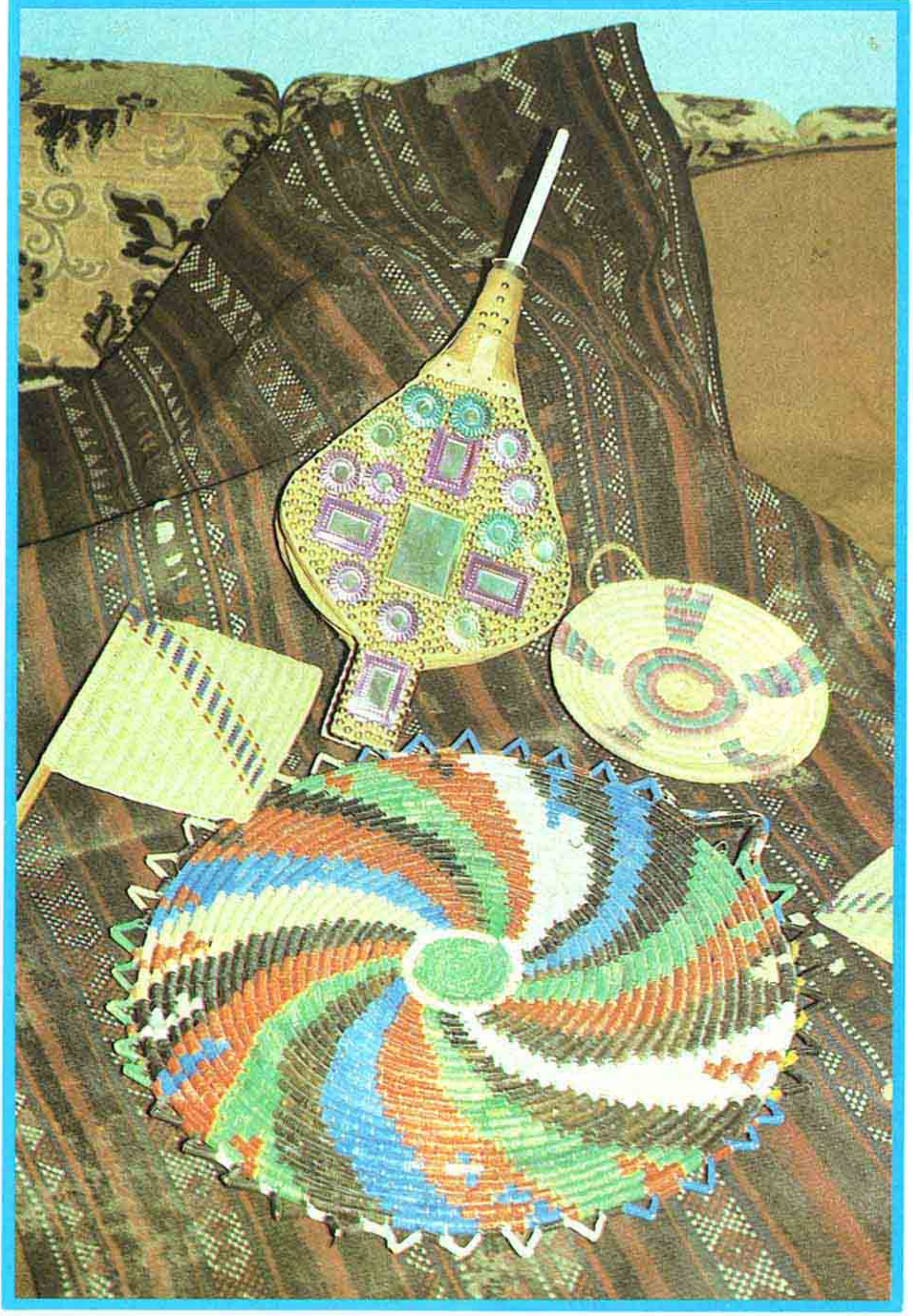
وقد دخلت دومة الجندل ومنطقة الجوف بشكل عام في الحكم السعودي سنة ١٩٢٠ م ، وقد كان ـ **عسّاف بن الحسين** ـ هو أول أمير فيها من قبل الملك عبد العزيز . تغمده الله بواسع رحمته .

آثارها التاريخية

★★ **مسجد عمر** : سمي بهذا الاسم نسبة إلى **عمر بن الخطاب رضي الله عنه** الذي يروى أنه بناه في السنة ١٧ هـ ، وهو في طريقه من يثرب إلى بيت المقدس . وفريق آخر ومنهم **الشيخ حمد الجاسر** يرون أن نسبته إلى ـ الفاروق ـ غير مؤيدة بدليل . وعلى العموم فالمسجد قديم في بنائه لا سيما مئذنته الجميلة المبنية بالحجارة . أما المسجد نفسه فبني من الحجارة أيضاً وبادٍ على أعمدته ومحرابه القدم .. في حين يلاحظ آثار الترميم على سقفه . وفي الوقت الحاضر ما زال المسجد عامراً بالمصلين وبجواره للجهة الشمالية مصليات للنساء كانت إلى عهد قريب تستخدمها النساء لا سيما في شهر رمضان .

والمسجد يقع أسفل **قلعة مارد** إلى الشمال منها .. ومن حوله المدينة القديمة المهجورة .

★★ **حصن مارد** : كلمة مارد كما يفهم من علماء اللغة مشتقة من القوة والامتناع . وهي قلعة قديمة مشادة من الحجارة على مرتفع يطل على المدينة القديمة من الجهة الجنوبية



★ من الصناعات الشعبية في «دومة الجندل» ★

بارتفاع حوالي ٢٠٠٠ قدم . ويظهر من آثار الحجارة في أساسات الحصن أنه قد بني في الألف الثاني أو الثالث قبل الميلاد .

ويتكون الحصن من **سور** تتخلله فتحات للمراقبة ، **وبرجين** أحدهما شرقي والآخر غربي بارتفاع ١٢ م ، والأبراج بها فتحات من أسفل ، وهي مبنية على شكل طبقات فطبقة لسكن الحرّاس وطبقة للحرب وطبقة للرماية وأخرى للمراقبة .. وفي داخل البرجين بئران عميقتان . وداخل القلعة الكثير من القطع الفخارية التي يعتقد بعض المؤرخين أنها بقايا جرار جنائزية .

وقد غزت الزباء دومة الجندل ، وفشلت في اقتحام هذا الحصن بعد حصار ضربته حوله .. ولم يبق من بنائه القديم سوى المساحة والأساسات وما عدا ذلك تغير كثيراً .. وكان الحصن يتصدّع ولا يرمم !! .. أما الآن وبعد ما تم نزع ملكية المنطقة الأثرية في دومة الجندل فإن فريق الآثار جادون في الاهتمام بهذه القلعة وباقي المعالم الأثرية الأخرى .

★ الصناعات العربية الشعبية القديمة في «دومة الجندل» ما زالت مستمرة حتى وقتنا الحاضر لتشهد على الأصالة ★



أحياء دومة الجندل

تنقسم أحياء دومة الجندل إلى الأقسام التالية :

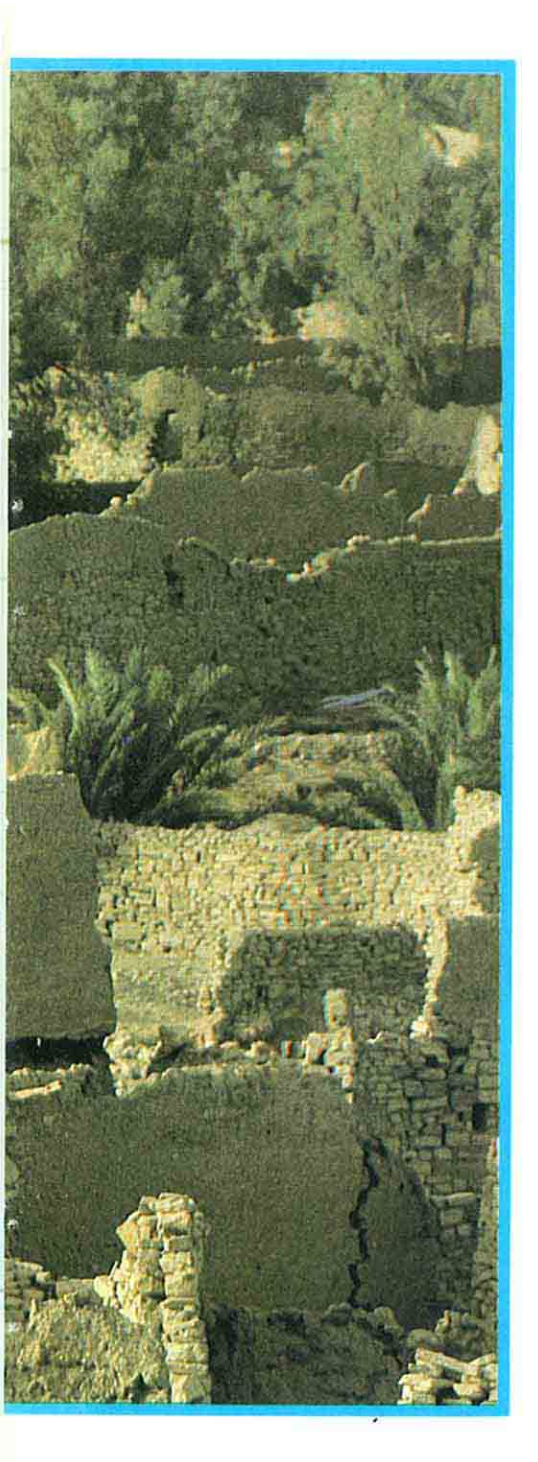
●● **أحياء قديمة :** وهي المباني القديمة في المدينة ، التي نزح منها معظم السكان بحيث يمكن القول إن حوالي ٩٠٪ منها الآن قد تحوّل إلى خرائب ، وهذه الأحياء تشمل كلاً من : حارة السوق القديم ، حارة الدلهمية ، [حارة خذما ـ وعلاج ـ السميحان ـ الرحيين] في الأجزاء الشرقية من هذه الحارات .

●● **الأحياء المجاورة للمزارع :** وهذه الأحياء تعتبر من الأحياء القديمة من حيث عمرها . لكنها آهلة بالسكان . وقد شهدت ثلاث مراحل من التطور من حيث طراز ومادة المباني ، حيث كانت في البداية من الطين ثم بنيت بيوتها من الحجر . وأخيراً تم استبدال بيوت الحجر ببيوت من الأسمنت المسلّح ،

دومة الجندل

★ مدخل لإحدى حارات الحي القديم ★





الحديثة ، وهذه تشمل عدة أحياء وحارات مثل حارة جوّا ــ والكبرى ــ والوادي ــ البحيرات ــ غطّي ــ الفتيخة ــ المعين ــ الفرّاس ــ الجديع ــ الزارع ــ الصيران ــ البادي ــ العرجان ــ سمارة ــ الحسن ــ البخيمة ــ المسيّب ــ السبيلة .. وهذه الأحياء تشكل الجزء الشمالي الغربي من المدينة .

●● **أحياء حديثة :** ولعلّ أدل ما بني بشكل منظّم من هذه الأحياء ــ هو **حارة الظهرة** ــ والجزء الغربي لحارة السعيدان ــ وحارة السوق الجديد ، التي تعتبر النواة لما تلاها من مخططات جديدة في المدينة .. تلاها بعد ذلك إنشاء أحياء سكنية جديدة في الجزء الجنوبي الغربي من المدينة على طريق سكاكا ــ تبوك وهذه الأحياء لا زالت تحمل أسماءها بالرموز فيقال المخطط أ مثلاً ، ب ، ج ، د .

المنازل

فيما يتعلق بأنماط البيوت القديمة والطراز المعماري القديم ، فقد كان لمدينة دومة الجندل طابع خاص تتميز به نظراً لعراقة المدينة ولاستعمالها الحجارة بكثرة في البناء ، حيث كانت بيوتها قديماً تشاد من الطين ويلجأ إليه بعض السكان لأنه هو الأسهل .. ولكن الطبقة المترفة كانت تشيد منازلها في البداية من الحجر .. وإن كانت جميع البيوت في الفترة اللاحقة من حيث ترتيبها الزمني قد بنيت كلها من الحجارة التي تحضر من مكان يقال له « الصفاة » شمال غربي المدينة ، وهي حجارة مميّزة عن سائر الحجارة في المنطقة ، وهي موجودة على شكل طبقات تختلف في سمكها ، ويتم استئصالها بالأدوات البسيطة وتمتاز بقوتها وثبات لونها وصموده أمام مختلف عوامل التعرية .. وأهم الأبنية الأثرية المشادة من هذه الحجارة مئذنة مسجد عمر وحصن مارد .. إلى جانب ذلك **حارة السوق القديم** وهي الجزء الأكثر قدماً في المدينة ، وهو مبني من الحجر ، ويرجع بعض المؤرخين تاريخه إلى **العصر الفارسي** . ولعلّه بعد أن يكتمل البحث التاريخي الأثري عن المدينة يمكن كشف المزيد من التفاصيل عن تاريخها من خلال ما قد يعثر عليه من كتابات أثرية على هذه الحجارة .



★ منظر عام للحي القديم ★

وقد كانت معظم البيوت القديمة في المدينة تفتح للشمال للحصول على تهوية أفضل .. وكانت الحجارة تبنى بجانب بعضها البعض وتكون الإضافات عليها على امتدادها .. فكانت بذلك تستغل مساحة أكثر من الأرض .

وقد تم مؤخراً التحوّل عن مباني الحجر إلى الخرسانة المسلّحة حيث يمكن القول إن البداية الفعلية كانت في مطلع التسعينات (١٣٩٠ هـ) ، حيث يكون البناء وفق خرائط ومخططات وتحت إشراف هندسي لتخرج على شكل عمائر وفلل لا تختلف عن الطراز المعماري المعمول به في مختلف مناطق المملكة .

أسواقها

كان في دومة الجندل في **العصر الجاهلي** سوقاً تجارياً يعدّ من أهم أسواق العرب آنذاك وذلك بحكم موقعها الجغرافي بين الحجاز ونجد والشام والعراق حيث تتوافد القبائل العربية إلى هذا السوق في أوائل شهر ربيع الأول من كل عام . وقد كان من أساليب البيع عندهم آنذاك في هذه السوق ما يسمى بـ « بيع الحصاة » :

وهو بيع اختلف بعض المؤرخين في تفسير المقصود به فمنهم من قال : أن يقول أحد البائعين للآخر : ارم هذه الحصاة فعلى أي ثوب وقعت فهو لك بـ « كذا » . ومنهم من قال إن

دومة الجندل

رمي الحصاة إيذاناً بوقوع البيع وانقطاع الخيار في الشراء .

ولعل أجمل أسواق دومة الجندل ـ القديمة ـ هو السوق الشرقي التقليدي الذي يسود في البلاد العربية سواء في حلب أو دمشق أو صنعاء ، والذي تم نزع ملكيته وهدمه من قبل البلدية مؤخراً ، حيث كان عبارة عن صفين من الدكاكين بجانب بعضها إلى ميدان يقع شمال (مارد) وغرب (مسجد عمر) وقد كان هذا السوق صورة رائعة من العمارة التي تنم عن ذكاء وعبقرية الإنسان العربي الأول الذي قام بهذا العمل الخالد . أما السوق الجديد في دومة الجندل فيقع على الشارع العام .. إلى جانب أسواق مؤقتة ـ شعبية ـ على طريق تبوك قرب المعارض والمنطقة الصناعية .

صناعاتها التقليدية

إلى جانب صناعة **السجاد** التي تشتهر بها منطقة الجوف بشكل عام فقد اشتهرت منذ مئات السنين بصناعة الأسلحة المختلفة من سيوف وسكاكين وخناجر .. وبنادق .. (لا زال بعضها محتفظ به إلى يومنا هذا لدى بعض السكان ويزيد عمرها عن ١٨٠ عاماً) .. حيث كانت تصنع محلياً في المدينة باستثناء ـ الماسورة ـ (السبطانة) حيث كانت تستورد من **تركيا** . والمسلة التي كانت تستورد من الهند فيما يتعلق بالسيوف ، أما الغمد والمقبض والزخارف فكلها كانت تصنع بالمدينة .. هذا إلى جانب صناعة ـ النجر الحجري ـ والمباخر الحجرية التي تعمّر مئات السنين .. والتي تكاد تنفرد فيها دومة الجندل ؛ ويزن بعضها ـ فيما يتعلق بالنجر الحجري ـ ما



★ مزارع دومة الجندل ★

★ رموز ونقوشات أثرية على الصخور ★ ◁

يقارب (المائة كغم) ، حيث يتكون من قطعة واحدة ، منحوتة ومصممة بشكل جميل بما عليها من زخارف ، وكذلك الحال بالنسبة للمباخر والمجارش الحجرية التي تتكوّن من الحجر عدا المقبض والقلب الخشبيّان .. وأدوات تحميص القهوة من محماس وملاعق معدنية ، إلى جانب الصناعات القائمة على النخيل ، وتلك القائمة على الأصواف والأوبار لا سيا (السجاد) الذي سبق ذكره إلى جانب الساحات (أنواع من الفراش) والعباءة الجوفية [المزوية] . ولعلّ **«آل زارع»** بمدينة دومة الجندل هم أكثر عائلات دومة الجندل اهتماماً بحرفة الصناعة التي توارثوها عن أجدادهم والتي ما زالت تحظى باهتمامهم إلى الآن مع شيء من التطور بما يتناسب وطبيعة العصر .

الزراعـة

(عقدة الجوف) هو أحد الأسماء التي حملتها مدينة دومة الجندل ، وذلك لكثرة نخيلها .. هذه المدينة التي عرفت منذ القدم بوفرة مائها .. وخصب تربتها .. والتي يوجد بها اليوم **عشرات العيون** التي تجري مياهها في أسراب لسقيا المزارع والتي أدى مشروع الري والصرف الذي ينفّذ في المدينة حالياً إلى انخفاض منسوب الماء في هذه العيون .

ومن جهة أخرى فإنه على وشك الانتهاء من إنشاء أكبر مشروع للري والصرف في المنطقة الشمالية في دومة الجندل الذي زادت تكاليفه عن أكثر من (١٦٠ مليون ريال) حيث سيغطي المشروع مساحة ١٧٤٠ هكتاراً . يشتمل المشروع على ثماني عشرة بئراً تتراوح أعماقها من ٤٥٠ ـ ٥٠٠ متر ، وسوف تصب ماءها في خمسة خزانات أرضية كبيرة تبلغ سعة الواحد منها ١٠٠٠٠ م٣ إلى جانب خزانات أخرى علوية بسعة ٢٠٠ م٣ حيث تستخدم أنابيب الداكتيل التي تصل بين الخزانات ونقاط التوزيع إلى جانب أنابيب ألمنيوم لإيصال الماء إلى المزارع مباشرة .

ويشتمل المشروع كذلك على سبعة مصارف رئيسية مكشوفة بطول إجمالي قدره ٣٠ كم ، إلى جانب شبكة كبيرة من أنابيب الصرف المغطاة التي يبلغ مجموع أطوالها حوالي ١٠٠ كم .

ولعل وقوع مدينة دومة الجندل في منخفض في نهاية وادي السرحان وانحصارها بين الجبال جعلها رديئة الصرف مما مهّد لقيام هذا المشروع الذي يخدمها زراعياً .

وإلى جانب نظام الري المعتمد على العيون ـ وهو النظام القديم ـ فإنه مع دخول التكنولوجيا الزراعية الحديثة في الأراضي الزراعية الموزعة حديثاً قد تم استخدام أساليب الري الحديثة المحوري منها والتنقيط . . إلى جانب الزراعة المحمية . . حيث ستكون دومة الجندل أول مدينة في الشمال يقام بها مصنعاً للبلاستيك .

وفيما يتعلق بالتراث الشعبي فقد أنشأت إدارة التعليم بالجوف متحفاً عاماً لحفظ هذا التراث ، حيث يجري الآن تنفيذه بدومة الجندل من قبل وزارة المعارف حرصاً منها على حفظ تراث المنطقة . وإبّان افتتاح مطار الجوف الجديد فقد تبرّع صاحب السمو الملكي الأمير تركي بن عبد العزيز بمكتبة للمدينة تم افتتاحها سنة ١٤٠٢ هـ ، حيث تبنتها وزارة المعارف بعد ذلك من حيث تأمين الموظفين العاملين بها والكتب والأثاث ، وهي الآن في خدمة القرّاء في هذه المدينة . وقد سجلت قطاعات التنمية في هذه المدينة تقدماً كبيراً في مختلف الميادين من حيث توفير الأعداد الكافية من المدارس للجنسين إلى جانب توفير الخدمة الهاتفية للمدينة .



المراجع والمصادر

١ ـ صور من شمال جزيرة العرب : جورج أوغست فالين .

٢ ـ في شمال غربي الجزيرة : الشيخ حمد الجاسر .

٣ ـ رحلة إلى نجد : الليدي آن بلنت ، ترجمة دار اليمامة .

٤ ـ بلاد الجوف : سعد عبد الله الجنيدل ، دار اليمامة .

٥ ـ الدوريات : « المجلة العربية » الشهرية ، ومجلة « اقرأ » الأسبوعية .



اللوحة : ثمار البحار

● ينهج الفنان في تصويره لتلك اللوحة، المنهج التكعيبي مستخدماً اتجاهاً بنائياً معمارياً يعتمد على العلاقات الهندسية التركيبية، فهو يحيل عناصر موضوعه وهي هنا مشخصات ومنازل ومراكب وقوارب .. إلى علاقات هندسية، فهو يعيد الأشكال إلى عناصرها الأصيلة، ويقوم في تحليله على تبسيط واختزال التفاصيل.

● استخدم الفنان أسلوباً أقرب إلى التكعيبية المجسمة، ليحافظ على عناصر موضوعه، فهو بصفة عامة يحافظ على الشكل، أي الإطار الخارجي للأشكال «الفورم»، وذلك عن طريق استخدام الخطوط المنحنية مع التباين اللوني، وفي نفس الوقت يحيل جميع العناصر إلى علاقات هندسية مبسطة لتحقق الترابط والتركيب البنائي في اللوحة.

● لم يقتصر الفنان على عناصر الشكل فقط، وإنما اهتم أيضاً بالمضمون، فهو أساساً يصور مجموعة من الناس وكأنهم الصيادون وعائلاتهم في حالة حركة على الشاطئ، ويبرز من خلفهم البحر والمراكب الشراعية والقوارب على أبعاد متفاوتة، وكأن بعضهم في رحلات صيد، والبعض الآخر على الشاطئ، والفنان يريد أن يذكر المشاهد بأن ثمرة البحر، وهي الأسماك، هي مصدر حياة هذه الفئة من الناس.

● التكوين راسخ البناء حيث تركز معظم العناصر في أسفل اللوحة، ويحقق الفنان الاتزان الخطي عن طريق الخطوط الهندسية المتقاطعة للمفردات والعناصر وما تحدثه من هارمونية .. ورغم أن اللون الأزرق هو اللون السائد في اللوحة ليعطي الإحساس بالبحر، إلا أن الفنان قد وازن بين الألوان الدافئة والباردة وحقق الانسجام والتآلف بينهما.

الفنان : إبراهيم محمود بوقس

● ولد بمكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية عام ١٣٧٢ هـ.

● حصل على شهادة الثانوية العامة، وينتسب حالياً إلى جامعة الملك عبد العزيز بجدة ـ قسم الإدارة العامة.

● موظف بالخطوط الجوية السعودية ـ قسم محاسبة الشركات الأجنبية.

● عضو جماعة مرسم مكتب رعاية الشباب، وجمعية الثقافة والفنون بجدة.

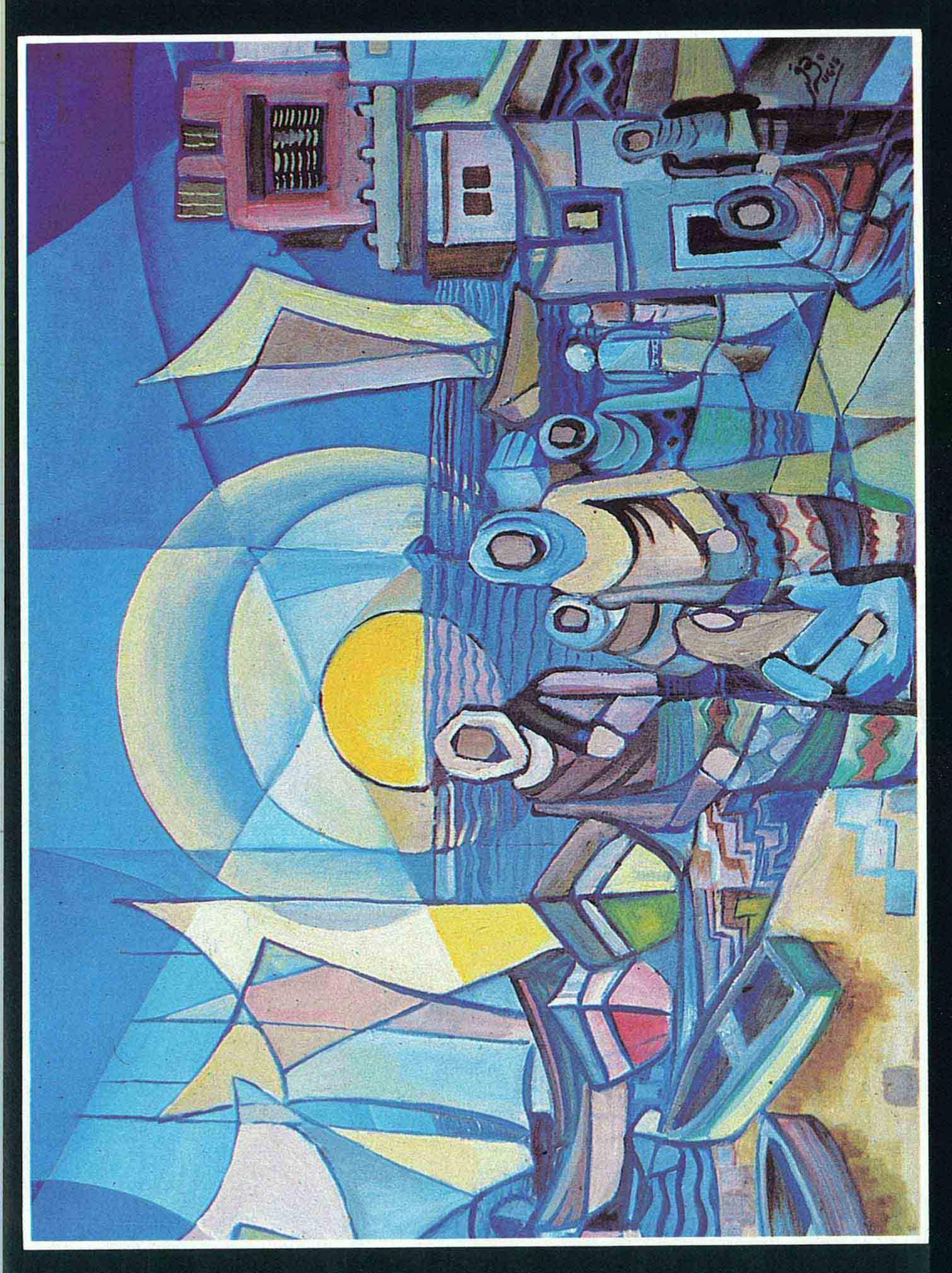
● اشترك في مسابقات مكتب رعاية الشباب بجدة من عام ١٤٠٠ ـ ١٤٠٤ هـ، وفي معرض الفن السعودي المعاصر بالرياض عامي ١٤٠١ ـ ١٤٠٢ هـ، ومعرض المناطق بالرياض عامي ١٤٠١ ـ ١٤٠٢ هـ، ومعرض المقتنيات بالرياض للأعوام ١٤٠١ ـ ١٤٠٢ ـ ١٤٠٤ هـ، والمعرض الجماعي الرابع والخامس بجدة، ومعرض الخمسين فناناً عام ١٤٠٢ هـ، وعام ١٤٠٣ هـ، بجدة.

● حصل على جوائز مالية وشهادات تقديرية من معارض رعاية الشباب بجدة والرياض.

● حصل على ميدالية فضية لأمانة مدينة جدة لفوزه بالمركز الثاني في المسابقة.

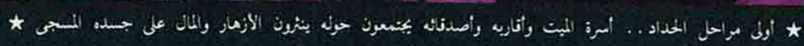
● حصل على ميدالية ذهبية من نادي الاتحاد بجدة.

● له لوحات مقتناة من الرئاسة العامة لرعاية الشباب ـ وزارة الإعلام ـ جامعة الدول العربية ـ مطار الملك عبد العزيز ـ جمعية الثقافة والفنون بجدة.



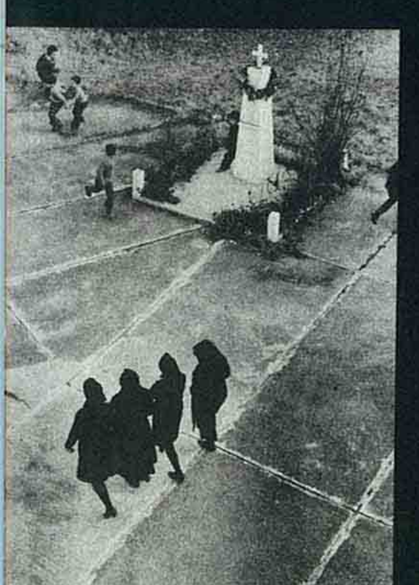


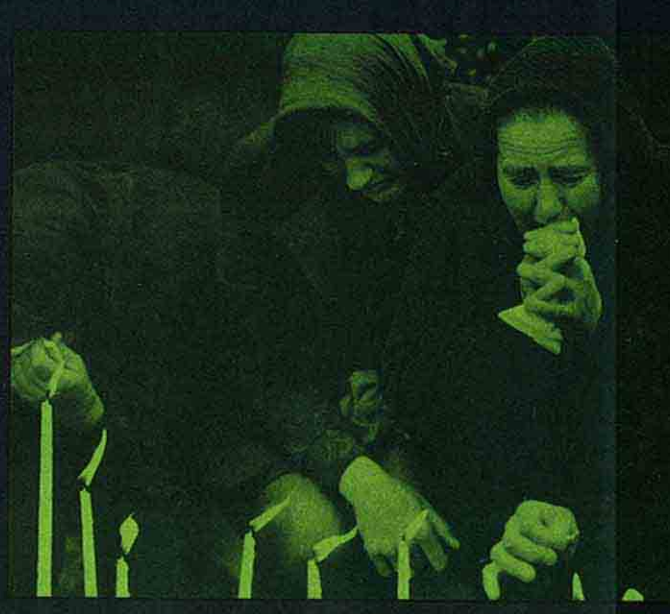
يدفنون الميت مرتين


★ أولى مراحل الحداد.. أسرة الميت وأقاربه وأصدقائه يجتمعون حوله ينثرون الأزهار والمال على جسده المسجى ★

حين يموت شخص ما في قرية (ذيسالي Thessaly) اليونانية، وفي قرى عديدة من الريف اليوناني، فإنه تعقب وفاته طقوس حداد Mourning معقدة تستمر طويلاً بعد وفاته، وهذه الطقوس التقليدية لا مثيل لها في كل أنحاء الأرض.

فهي تتطلب إشعال الشموع وزيت الزيتون على القبر. وعويل ونواح وتفجع متشح بالسواد يومياً في موقع القبر.


★ أربع أخوات يسرن باتجاه قبر والدهن المتوفي حديثاً ★


★ أربع نساء يشعلن الشموع على قبر والدهن ★



★ الموكب الجنائزي الحزين ★



★ في موقع القبر ، يسكب القسيس النبيذ على جسد المتوفى في اللحظة الأخيرة قبل إغلاق التابوت عليه ★

وتوزيع الطعام والشراب ، وطقوس أخرى خاصة تستمر على هذا المنوال لمدة خمس سنوات كاملة تبدأ من يوم يتوفى المتوفى .

ويرى (الأنثروبولوجي لورينغ دانفورت) أن طقوس الحداد المعقّدة والمرهقة نفسياً وجسدياً هذه ليست مجرد سلوك اجتماعي يجب أن يتم بكافة مراحله وبكل التفاصيل الدقيقة وأداؤه مُلزم للجميع ، وإنما تعتبر هذه الطقوس أيضاً جسر اتصال بين عالم الأحياء وعالم الأموات ، وإحياء مستمر لذكرى المتوفي .

وحالما يموت الشخص يُغسّل ، ثم يُلبس ثيابه الرسمية الكاملة ـ وإذا كان الميت أعزباً يلبس ثياب الزفاف الكاملة ويمدّد في بيت أهله ـ ويجتمع الأقارب والأصدقاء حوله بعد أن يسمعوا بنبأ موته ، وينثرون على جسده المسجى الأزهار والمال ، وتمتلئ الغرفة التي هو فيها بأصوات البكاء والنحيب والغناء الجماعي الحزين والصلوات ، ولأن التحنيط لا يمارس في اليونان فإنه يجب أن يُدفن الميت خلال (١٢ ـ ٢٤) ساعة من موته .

ويسير الموكب الجنائزي الكئيب أولاً إلى **الكنيسة** حيث يصلّى عليه ، ثم يُكمل الموكب طريقه إلى مقبرة القرية ليدفن في أحد قبورها المعدّة ، وعند القبر وقبل أن يُغلق التابوت يسكب الماء والشراب على الجسد تبركاً ، ثم يُهال التراب عليه ويغلق القبر ، ولكن .. ليس لآخر مرة .

فبعد أن يُدفن الميت **تستمر طقوس الحداد المرهقة خمس سنوات كاملة** ، يمارسها أقارب الميت من النساء ، وتكون هذه الطقوس بالنسبة للزوجة والأم والأخوات كوظيفة اجتماعية محدّدة بأطر لا يمكن تجاوزها بتاتاً ، فعليهم أن يزوروا القبر كل ليلة ليشعلوا الشموع ، ويغسلوا حجر شاهد الضريح ، ويكلّموا الميت في القبر بما يشاءون ، إضافة للبكاء والعويل والنحيب المستمر ، وباعتقاد جميع أهل القرية فإن التأدية الكاملة غير المنقوصة لهذه الطقوس تساعد



★ تنبش الأرملة قبر زوجها المتوفي منذ خمس سنوات لتخرج عظامه التي بقيت بعد تحلل الجسد ★

سنوات كاملة على وفاة الميت، يجب على أهله أن يعودوا وينبشوا القبر ويُخرجوا ما تبق من عظامه بعد تحلّل الجسد (وعادة تقوم أرملته بهذه المهمة) .. وهكذا يعود الميت ليرى النور ثانية بتأثير عادة تنفرد بها أكثر قرى الريف اليوناني من دون مدن وقرى الأرض جميعاً، وتفسّر تقاليدهم هذا العمل الشاذ بأنه من غير الروح التي يحبّونها على الدخول إلى الجنّة، وملاقاة النعيم الأبدي.

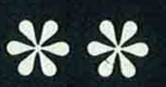
وأغْرب طقوس الحداد هذه ما تُلزم به العادات المتوارثة أهل كل ميت من أمور لا تخطر ببال، رغم أنها عندهم كشيء اعتيادي لا يثير الفضول أو الدهشة .. فبعد مضي خمس

★ أهل الميت وأقاربه من النساء ينظرن برهبة وتأمل وسكون لعظام الميت التي أخرجت من القبر ★

الممكن أن يُترك الميت ليحمل ثقل تراب الأرض على صدره إلى ما لا نهاية .. وتخرج العظام من القبر وتلف على مرأى من جميع أهله وأقاربه، ثم تغسل بالماء والشراب وتُبارك، ويجري كل هذا باعتبار وتقدير كبيرين .. والمغزى الكبير لهذه العملية العجيبة عندهم هو أن تحلّل الجسد وتخلّصه من الألبسة واللحم والشعر إنما يعني بأن الميت قد تخلّص من كل آثامه وخطاياه وغدا مخلوقاً بدون خطايا.

وعادة .. فإن مجتمع القرية هو الذي يصدر الحكم النهائي المـُلزم بنبش القبر واستخراج العظام في المهلة المحدّدة، ولكن يحدث أحياناً ولضرورات المصلحة العامة وبعد أن يتناقش أهل القرية مع بعضهم أن يصدر القرويون حكماً بإعادة دفن الجسد لمدة سنتين أو ثلاث سنوات أخرى بعد أن يتأكدوا من أن التربة والطقس لم تفعل مفعولها وتحلّل الجسد بالكامل، أو أن ذنوب الميت كثيرة أو كبيرة بحيث لم تكفها السنين الخمس ليكفّر عنها.

وفي المرحلة الأخيرة من مراحل الحداد الغريبة هذه، تُغسل العظام لكمال التطهير وتجهّز تماماً لإعادة دفنها في مدفن القرية العام، حيث تلتقي مع عظام الأموات الآخرين الذين سبقوها من أهل القرية .. وقد تعتبر طقوس الحداد اليونانية هذه غريبة، لكنها قد لا تكون فريدة في مغزاها وما تهدف إليه، ذلك أنها قد تشابه عادات الأمم التي يكون التعبير فيها عن الحزن مسموح به بأقل صورة علنية، وتعتبر عادة إخراج العظام من القبر ودفنها ثانية علامة على نهاية مراسم الحداد العلنية التي هي مساهمة رمزية من الأفراد في سبيل استمرارية بناء المجتمع الكبير للقرية، ذلك لأن العظام التي استردت من الأرض إنما تؤكّد الحقيقة الأزلية للموت الذي يجب أن يقرّ به كل فرد ويسلّم بصدق حدوثه ومآله، وها هي العظام تُرينا ما تبقّى من هذا الإنسان الذي سجّي بالأمس جسداً كاملاً تحت التراب .. وبانتهاء المرحلة الأخيرة من مراسم الحداد يتم انتقال الميت النهائي من حالة الحياة البهيمية إلى حياة الخلود الأزلية .. وتكون جميع مراسم الحداد الغريبة قد اكتملت .. ومعظم الصور التي نشاهدها على هذه الصفحات التقطها مصوّر القرية على فترات متباعدة.





بنوك المصطلحات الآلية

إعداد: د. محمود إسماعيل صيني

شهد النصف الثاني من القرن الميلادي الحالي انفجاراً هائلاً في حقل المعلومات نتيجة التطورات السريعة والوثابة في مجالات العلوم والتكنولوجيا. ويتوقع البعض أنه بحلول عام ١٩٨٧م، سيكون الإنتاج العلمي والتقني قد صار ستة أضعاف ما كان عليه الأمر في عام ١٩٧٧م، (أندريلا، ١٩٧٣م: ٩)، غير أن هذه المعلومات لا بد لها أن تنقل من خلال اللغة، وهذا يجعل اللغة وسيلة وعقبة في نفس الوقت. فعن طريقها يعرف العلماء والباحثون ما يستجد من بحث وتطور، ولكن اللغة عقبة من حيث أن ليس كل عالم عارفاً أو ملماً بكل اللغات التي تكتب بها الدراسات والبحوث.

من هنا نبعت الحاجة الماسة إلى الترجمة بين اللغات حتى نزيل العقبة اللغوية من طريق العلماء والباحثين. غير أن الترجمة عمل مضن يتطلب خبرة واسعة ونوعيات خاصة من ذوي الاختصاص، بالإضافة إلى المجهود والوقت الكثير. وهناك نقص واضح للأسف في كل هذه المجالات، فالمترجمون المجيدون في حقول العلوم قلة نادرة، وجهودهم وأوقاتهم محدودة.

نجد في نفس الوقت أن هناك سيلاً جارفاً من المعلومات يصب في نهر المعرفة العلمية والتقنية كل يوم، بل وكل دقيقة. وهذه تحتاج إلى نقل وإيصال إلى الباحثين، بالإضافة إلى أن التطور العلمي والتقني السريع (يذكر **برنكمان** أنه من تقرير عام ١٩٧٧/١٩٧٨م، لشركة سيمنز) اتضح أن «٤٥٪ من مبيعات الشركة الإجمالية كانت ناتجة عن بيع منتجات لم تكن موجودة قبل خمس سنوات» (برنكمان ١٩٨١م: ٦٧)، مما أدى إلى خلق مشكلة أخرى يعاني منها حتى المجيدين من المترجمين، ألا وهو السيل المتدفق من المصطلحات المستجدة في شتى فروع المعرفة، فلا غرو إذا وُجد أن حوالي ٦٠٪ من جهود مترجمي نصوص العلوم والتقنية تضيع في سبيل العثور على المصطلحات العلمية والفنية الخاصة.

من هنا نبعت فكرة **الترجمة الآلية والترجمة بمعونة الحاسب الآلي**، وكذلك **المصطلحات الآلية**، وسأحاول في الصفحات التالية أن أركز



على بنوك المصطلحات الآلية، مؤجلاً الحديث عن الترجمة الآلية أو بمعونة الحاسب الآلي إلى فرصة أخرى إن شاء الله.

بنك المصطلحات الآلي

تعرف **سارة مورتون** من جامعة «كارنيجي ميلون» بالولايات المتحدة الأميريكية بنك المصطلحات الآلي بأنه «قاموس آلي يتكون من:

١ ــ **قاعدة معلومات** data base تخزن بها مصطلحات من عدة لغات.

٢ ــ **برامج مختلفة** للوصول إلى هذه المعلومات المخزونة».

وقاعدة المعلومات لبنك المصطلحات تتألف من **سجلات للمصطلحات** term records، **تشتمل على** المعلومات التي نجدها عادة في معجم متعدد اللغات. فهذه المعلومات تشتمل على:

١ ــ المصطلحات.

٢ ــ مقابلاتها في لغات أخرى.

٣ ــ معلومات وصفية لكل زوج من المصطلحات ومقابلاتها بما في ذلك:

(أ) عينات الاستعمال الحقيقي.

(ب) المرادفات.

(جـ) التعريفات.

(د) معلومات نحوية (مورتون Morton، ١٩٧٨: ٢٤٢).

أود هنا أن أؤكد على «**تشتمل على**»، لأن بطاقة (أو سجل) المعلومات الخاصة بالمصطلحات بها معلومات أخرى غير التي أشارت إليها الكاتبة، وذلك مثل الرموز أو الإشارات الخاصة بحقل التخصص الذي ينتمي إليه المصطلح، وكذلك ربما معلومات عن مصدر المقابل (هل هو من وضع هيئة علمية مثلاً أو اقتراح فردي) وغير ذلك مما سنتحدث عنه في قسم لاحق من هذه الدراسة.

مكونات البنك

١٠٢ الأجهزة:

تتكون الأجهزة الأساسية من: (١) حاسب آلي، (٢) وسائل إدخال وإخراج المعلومات، وهذه الأخيرة تأتي في صور مختلفة، تبعاً لرغبة المصمم. **وأبسط صورة لإدخال المعلومات هي آلة تثقيب البطاقات، وكذلك المطراف** terminal. ويستعمل المطراف لاستخراج المعلومات أيضاً، وبالإضافة إلى المطراف هناك طابعة printer عادة لطبع المعلومات الخارجة من الحاسب.

٢٠٢ البرامج:

تشكل هذه التعليمات التي نتحكم بواسطتها في الحاسب الآلي، سواء في إدخال المعلومات أو استخراجها بطرق مختلفة، وكذلك معالجتها داخلياً (من تبويب وترتيب وتصنيف وغير ذلك)، وكذلك لتحديث المعلومات updating. وهذا الأخير أهم مزايا بنك المصطلحات الآلي.

٣.٢ المادة اللغوية:

وهذه هي لب البنك وجوهره، وعليها تعتمد إلى حد كبير فوائده. ولكي ندخل المادة اللغوية ونحفظها في البنك، لدينا هناك ما يسمى **الفيشة** fitche **والسجل** record. والفيشة هي الصيغة format التي تصاغ بها المداخل المعجمية للبنك، وتختلف هذه تبعاً للبنوك المختلفة، تماماً كما تختلف المعاجم في تصميمها. أما السجل record فهو «الوحدة المنطقية التي تشتمل على المعلومات المطلوبة من البنك» (قرينفيلد وسرين ١٩٧٧م، ١٩).

وفيما يلي مثال على المكونات الأساسية للسجل في بنك المصطلحات الكندي:

هناك سبعة عشر مكوناً أساسياً: سبعة للمصطلح في اللغة المصدر (وهي الإنجليزية هنا) وسبعة للمقابل في اللغة الهدف (وهي الفرنسية) وثلاثة مشتركة.

١.٣.٢ معلومات المصطلح في اللغة المصْدر:

١ ــ المصطلح.

٢ ــ المصدر الذي ورد فيه أو أخذ منه.

٣ ــ تاريخ النشر.

٤ ــ مكان ورود المصطلح في المصدر (مثلاً، المجلد والفصل والصفحات).

٥ ــ استعمالات المصطلح (مثلاً في أميريكا فقط أو في إنجلترا... وغير ذلك).

٦ ــ (أ) لغة المصطلح (الإنجليزية في هذه الحالة).

(ب) وزن المصطلح.

(جـ) معلومات نحوية (مثل: اسم، فعل، وللاسم مذكر ومؤنث... إلخ).

٧ ــ تعريف المصطلح باللغة المصدر (الإنجليزية) أو مثال لسياق يرد فيه المصطلح.

٢.٣.٢ معلومات المقابل في اللغة الهدف:

١ ــ المصطلح المقابل.

٢ ــ المصدر الذي ورد فيه أو أخذ منه.

٣ ــ تاريخ النشر.

٤ ــ مكان ورود المصطلح في المصدر المذكور (في ٢).

٥ ــ استعمالات المصطلح.

٦ ــ (أ) لغة المقابل (الفرنسية هنا).

(ب) وزن المصطلح المقابل.

(ج) معلومات نحوية .

٧ ـ تعريف المصطلح باللغة الهدف أو مثال لسياق يرد فيه .

٢ . ٣ . ٣ المعلومات المشتركة :

١ ـ حقل التخصص للمصطلح (مثلاً : طب ، فيزياء ، هندسة .. إلخ) .

٢ ـ المسؤول عن المعلومات الواردة في السجل .

٣ ـ الوزن الإجمالي للسجل .

هذا ويشتمل السجل في **بنك كويبك للمصطلحات** على واحد وثلاثين حقلاً في الفيشة . (انظر : قرينفيلد وسرين ، ١٩٧٧م ، ١٥ ـ ١٧) .

أما **بنك المصطلحات لدى شركة سيمنز الألمانية والمعروف باسم تيم Team** فهو متعدد اللغات ، ويختلف في نظامه عن البنك الكندي ، تبعاً لذلك . فالبنك كما يذكر **شولتز** Schultz (١٩٨٠م ، ٢١٣) يركز على «المفاهيم والمصطلحات التي تعبر عنها وليس الألفاظ أو التعبيرات» . ونجد أن المصطلح ليس له بالضرورة مقابل في جميع اللغات المستعملة في البنك ، بل نجد أحياناً «شرحاً وصفياً للمصطلح» في غياب المصطلح المقابل . ولكننا نجد (كما هو الحال مع البنك الكندي) حقولا للتعريف و/ أو السياقات وحقل التخصص ، والمعلومات النحوية . بالإضافة إلى ذلك نجد حقلاً للمرادفات أحياناً (مثلاً المصطلح واختصاره) (شولتزم ، ١٩٨٠م ، ٢١٨ ـ ٢٢١) .

هذا ومن حيث حجم المادة اللغوية ، فهنا تختلف البنوك الآلية أيضاً تبعاً لتعريفها للمصطلحات أحياناً ولنوعية المصطلحات : بعضها يركز على المصطلحات العلمية والتقنية (بنك كندا) ، وبعضها يضيف أو يركز على المصطلحات الاقتصادية (سيمنز ، والسوق الأوروبية المشتركة) .

فوائد بنك المصطلحات واستخداماته

يذكر **هتشنز** بأن بنوك المصطلحات متعددة اللغات قد تم تطويرها بصورة أساسية لتأدية الأغراض التالية :

(أ) تزويد المستفيد بناءً على طلبه بالمعلومات عن الكلمات والتعبيرات (تعريفاتها ، أمثلة لاستعمالاتها ، وترجماتها) .

(ب) إنتاج المسارد المرتبطة بنصوص محددة نود ترجمتها .

(ج) إنتاج المعاجم والمسارد المتخصصة الحديثة للاستعمال العام .

وهناك أنظمة تقوم بوظائف إضافية أخرى ، مثل :

(١) التحرير الآلي للنصوص المترجمة .

(٢) تخزين النصوص الكاملة التي تحتاج إلى تحديث مستمر .

(٣) إنتاج مسارد لمعلمي اللغات الأجنبية .

(هتشنز ١٩٧٨م ، ١٤٣) . **ومن الواضح أن أهم وظيفة لمعظم بنوك المصطلحات هو تزويد المترجين بصورة فورية بالمصطلحات المناسبة التي يحتاجونها عند الترجمة ، وبهذا توفر عليهم الكثير من وقتهم الثمين الذي يضيع في البحث عن تلك المصطلحات في المصادر المختلفة** (ليبان ، ١٩٧٥م) .

بالإضافة إلى ما ذكر أعلاه ، نود أن نشير إلى مميزات أخرى لا تتوفر في المعاجم التقليدية منها :

١ ـ **حداثة المعلومات :** حيث إنه بإمكاننا أن نجد المصطلح بعد لحظات من تخزينه في البنك ، بينا يستغرق وصول المصطلحات أعواماً أحياناً من تاريخ وضع المصطلح إلى حين ظهوره مطبوعاً في معجم تقليدي . (نود أن نوضح أنه يمكننا إعداد ونشر معاجم حديثة في صورة كتب باستخدام بنك المصطلحات ، في مدة قد لا تتجاوز ستة أسابيع فقط) (برنكان Brinkman ، ١٩٨١م ، ٧٣) .

٢ ـ **سهولة تخزين المصطلحات وتجميعها :** بالتعاون مع البنوك الأخرى المماثلة .

٣ ـ **التعرف على التكرار والتناقض في المصطلحات :** فبإمكاننا أن نكتشف مثل هذه الأمور بسهولة ، عن طريق الاسترجاع الفوري للمعلومات عن أي مصطلح مخزون في ذاكرة الحاسب الآلي .

٤ ـ وينتج من الميزات الثلاث أعلاه ميزة هامة رابعة ، وهي **توحيد المصطلحات** ، فعندما ترتبط عدة هيئات أو عدد كبير من الأفراد ببنك واحد ، فإن هذا سيعينهم على عدم تكرار العمل والإتيان بمصطلحات جديدة لما تم إيجاد المقابل المناسب له من جهة أخرى ، كما ينتج منها توفير الجهود المهدورة في قيام عدة أطراف بنفس العمل .

٥ ـ **تقدم بعض البنوك (مثل Lexis الخاص بمكتب اللغات الفدرالي في جمهورية ألمانيا الفدرالية) خدمات إضافية للمترجين وخبراء المصطلحات تتمثل في :**

(أ) ذكر المراجع الخاصة ببعض المصطلحات .

(ب) تقديم سجل بالنصوص المترجمة في حقل معين ، ليستعين أو يقتدي بها المترجم (كرولمان ، ١٩٨١م : ٨٧ و ٩٢) .

(ج) بمعاونة برامج مساعدة يستطيع بنك المصطلحات أن يراجع النصوص بمقابلتها بقوائم المصطلحات لتحديد المصطلحات الجديدة (غير



المخزونة في ذاكرة البنك) (برنكمان، ١٩٨١م: ٧٢).

أسلوب العمل والتعامل

نقصد بأسلوب العمل والتعامل مع بنك المصطلحات الأمور التالية:

١ ــ إعداد المادة اللغوية.

٢ ــ إدخالها في البنك.

٣ ــ تطويرها وتحديثها updating، ويشمل: (١) التغيير، (٢) الحذف، (٣) الإضافة.

٤ ــ استخراج المعلومات اللغوية.

وسنتحدث فيما يلي بإيجاز عن كل واحد من هذه الجوانب:

٤.١ إعداد المادة اللغوية:

تدخل تحت هذا الباب أمور عدة منها:

(١) تجميع المصطلحات والمعلومات الخاصة بها وبمقابلاتها.

(٢) تصميم الفيشة أو الصيغة التي يكون عليها سجل كل مصطلح (وهو ما يقابل المدخل في المعجم).

٤.١.١ تجميع المصطلحات:

تختلف بنوك المصطلحات في نوعية المصادر التي تعتمد عليها في تجميع المصطلحات والمعلومات الخاصة بها ومقابلاتها. ولكن يبدو من قراءتنا لما كتب عن بنوك المصطلحات أن بعضها يعتمد بصورة رئيسية على المترجمين كما هو الحال مع بنك سيمنز، أو كما يسميهم شولتز «بالموظفين (المترجمين عادة) والمتعاونين الآخرين» (شولتز ١٩٨٠م: ٢٢٢، انظر أيضاً هتشنز، ١٩٧٨م: ١٤٥) ويجمعها هؤلاء من الكتابات المتخصصة والوثائق الفنية technical. ويصدق هذا على **اليورودكاتوم** Eurodicautom أيضاً (هتشنز ١٩٧٨م، ١٤٤) كما يعتمد البعض الآخر على مصادر متنوعة منها: «المعاجم والمسارد والملفات الفردية والمركزية الخاصة بخدمات ووكالات الترجمة الحكومية والأهلية» (قوبل، ١٩٨٠م: ٢١٢).

أما بعضها (مثل بنك نورماتيرم Normaterm الفرنسي) فإنه يعتمد على سجلات الهيئة المؤسسة لها أفنور Afnor (أي الاتحاد الفرنسي للمقاييس).

بالإضافة إلى ما سبق، هناك محاولات للتعاون بين بنوك المصطلحات المختلفة لتبادل المعلومات التي قد تكون مسجلة على شرائط ممغنطة أو أسطوانات جاهزة لإدخالها في الحاسب الآلي، غير أن هناك صعوبات تواجه هذه المحاولة، وسنتحدث عنها في وقت لاحق (انظر فلبر، ١٩٧٦م).

٤.١.٢ تصميم صيغة السجل:

تعتبر عملية تصميم صيغة أو محتويات السجل من الأعمال المتخصصة التي يقوم بها خبراء في **علم المصطلحات** terminologist، ويتم التصميم بناءً على احتياجات المؤسسة المسؤولة عن البنك، والخدمات التي يود تقديمها للمستفيدين منه.

٤.٢ إدخال المادة اللغوية:

كنا قد أشرنا إلى أن المادة اللغوية تعد أولا في صورة سجلات تتبع نمطاً محدداً (الفيشة) وذلك توحيداً لنوعية المادة المخزونة وتسهيلاً لمعالجتها (من حيث التصنيف مثلاً والاسترجاع وغير ذلك).

أما الإدخال فقد يتم عن طريق **البطاقات المثقوبة** punched cards أو عن طريق المطراف، حيث تحدد **الشاشة التلفزيونية** CRT المعلومات المطلوبة وترتيب إدخالها. ويتم إدخال المادة عادة في ملف file انتقالي حتى تراجع، قبل أن تخزن في الملف الأصلي للمصطلحات، ونجد ذلك في كل من **البنك الكندي وبنك لكسيس** Lexis الألماني (انظر قوبل، ١٩٨٠م: ٢١٢ ــ ٢١٣، وكذلك كرولمان، ١٩٨١م: ٨٧). أما الطريقة الثالثة لإدخال المادة اللغوية فهي عن طريق **الشريط الممغنط أو الأسطوانة** اللذين أشرنا إليهما أعلاه، وذلك عند الحصول على المعلومات من بنوك أخرى.

وهناك أسلوب آخر، وهو إعداد المادة مطبوعة، ثم إدخالها عن طريق **القارئات** optical scanners أو **نظام التعرف البصري على الحروف** (OCR) optical character recognition وغالباً ما يتم إدخال المصطلحات الجديدة على مرحلتين في الأقل:

(١) المرحلة الانتقالية التي تجمع فيها المواد الجديدة لدراستها وتمحيصها.

(٢) مرحلة التخزين في الملف الأصلي، وذلك بعد التثبت من المصطلح والمعلومات الخاصة به.

ويوجد في البنك الكندي ملف عمل فرعي work sub-file، ويشتمل على السجلات المشكوك في سلامة المعلومات بها (قوبل، ١٩٨٠م: ٢١٢ ــ ٢١٣).

هذا ويبدو أنه يتم إدخال المعلومات إلى الملف الانتقالي بطريقة آنية فردية (أي مباشرة وفي أي وقت)، وهو ما يسميه بعضهم بطريقة المحادثة conversation عن طريق المطراف terminal (قرينفيلد وسرين، ١٩٧٧م: ٣٩).

أما الملف الأصلي للمصطلحات في الغالب أنه تدخل فيه المعلومات في صورة دفعات (أي مجموعات من المصطلحات) على فترات محددة، كل أسبوعين مثلاً كما في نظام لكسيس.

٤ ــ ٣ تطوير المادة اللغوية أو تحديثها:

يشمل التطوير كما أشرنا سابقاً: تغيير

المعلومات المخزونة وحذف بعضها وإضافة المعلومات الجديدة . ويتم ذلك بأساليب مختلفة تشبه ما ذكرناه في (ب) أعلاه : أي قد يكون آنياً وفي صورة فردية أو في فترات محددة .

هذا وجدير بالذكر أن معظم هذه العمليات يقوم بها أو يشرف عليها أخصائيو المصطلحات terminologists في كل هيئة .

٤ ـ ٤ استخراج المعلومات :

يختلف استخراج أو استرجاع retrieval المعلومات أو الوصول إليها access كما يعرف اصطلاحاً ، تبعاً للبنوك ولأهداف المستفيدين منها ، وسياسة المشرفين عليها . وسنتحدث عن ذلك من زاويتي (١) المادة اللغوية أو المعلومات ، و (٢) الوسائل الآلية :

٤ . ٤ . ١ المادة اللغوية :

من حيث المادة اللغوية ، يختلف ما نطلبه من البنك تبعاً لأغراض المستفيدين منه . فالمترجم مثلاً غالباً ما لا يحتاج إلا على معرفة المصطلح المقابل لما يترجم ، ولكنه قد يرغب في المزيد من المعلومات عند شكه في ملاءمة المصطلح المقابل للسياق الذي بين يديه . عندها قد يطلب مزيداً من المعلومات ، مثل أمثلة على استعمالاته أو تعريفاً له ، أو مدى حجية reliability المعلومات (أي هل المقابل معترف به رسمياً أم أنه اقتراح فردي ؟ .. إلخ) .

أما أخصائي المصطلحات فتهمه المعلومات الإضافية عند مراجعة المصطلحات ودراستها مثلاً .

وأما إذا كان الهدف هو إعداد المعاجم أو المسارد المتخصصة ، فهنا أيضاً تختلف نوعية أو كمية المعلومات تبعاً للغرض الذي نريد أن نعد المعجم أو المسرد له . هذا وقد تخرج المصطلحات مرتبة أبجدياً أو حسب ورودها في نص ما وغير ذلك .

٤ . ٤ . ٢ الوسائل الآلية :

تختلف الوسائل المستخدمة في الحصول على المعلومات من بنك المصطلحات تبعاً للأغراض المختلفة كذلك .

٤ . ٤ . ٢ . ١ الاتصال المباشر :

تسمح معظم الأنظمة للمترجم أن يستجوب الحاسب الآلي مباشرة ليحصل على الإجابة عن تساؤلاته فورياً على شاشة المطراف أمامه . وبنك المصطلحات الكندي يرتبط به سبعون مطرافاً (معظمها في مكتب الترجمة الحكومي للاتصال مباشرة بالبنك) .

٤ . ٤ . ٢ . ٢ المسارد المطبوعة :

في الحالات التي لا تتوفر فيها خدمات الاتصال المباشر ، يقدم البنك المعلومات المطلوبة (مسارد مثلاً) في صورة أوراق مطبوعة Printouts .

٤ . ٤ . ٢ . ٣ المايكروفلم والصف الإلكتروني :

لأهداف النشر والتوزيع لدى بعض البنوك على الأقل وسائل مختلفة منها :

١ ـ طبع المعلومات أو المعاجم على هيئة **فيلم مصغر** Microfilm بالإضافة إلى الأوراق المطبوعة ، كما في نظام لكسيس Lexis الألماني الحكومي (كرولمان ، ١٩٨١م ، ٨٦ : ٨٨) .

٢ ـ إعداد المواد المطلوبة (مصفوفة إلكترونياً) ، ليتم طبعها مباشرة في المطابع التجارية .

المراجع

(1) Andrela, J.G (1973) Information in 1985: A study of Information Needs and Resources. Paris: Organization for Economic Cooperation and Development.

(2) Brinkman, Karl-Heinz (1981) "Machine Aids to Translation" Meta 26, No. 1, PP 67-75.

(3) Filbert, H. (1976) "Developing International Co-operation in Terminology and Terminological Lexicography" in Infoterm (1976).

(4) Gobel, Ferdnand (1980) "The Terminology Bank of Canada (TERMIUM SYSTEM)" in Raben, J. and Marks, G. (eds.) Data Bases in the Humanities and the Social Sciences. Amsterdam: North-Holland Publishing Co. pp 211-215.

(5) Greenfield, Concetta C. and Serain, Daniel (1977) "Machine-Aided Translation, From Terminology Banks to Interactive Translation Systems". Pittsburgh, pa.: Carengie-Mellon University, Dept. of Computer Science.

(6) Hutchens, W.J (1978) "Progress in Documentation" in Journal of Documentation 34, No. 2, PP. 119-159.

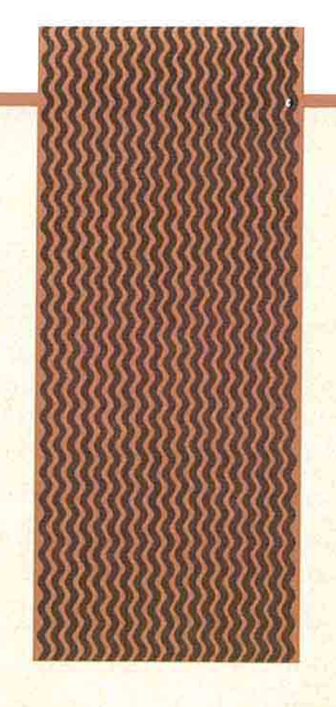
(7) Infoterm (1976) Infoterm Series 3. First Infoterm Symposium, Vienna, 9-11 April 1975: International Co-operation in Terminology. Munchen: Verlag Dokumentation, 1976.

(8) Krollman (1981) "Computer Aids to Translation" in Meta 26, No. 1, pp. 85-94.

(9) Lippmann, Erhart O. (1975) "On-line Generation of Terminological Digests in Language Translation: an Aid in Terminology processing." Yorktown Heights, N.Y.: IBM Thomas J. Watson Research Center, September 15, 1975.

(10) Morton, Sara (1978) "Multilingual Terminology Banks Here and Abroad, On-line Terminology Dissemination as an Aid to Translation" in Information Age in Perspective: Proc: of ASIS Annual Meeting, New York: Knowledge Industry Publications, 1978, pp. 242-244.

(11) Schulz, J. (1980) "A Terminology Data Bank for Translators (TEAM)" Meta 25, No. 2, pp. 211-229.





و.. للحديث شجون



بقلم: عبد العزيز الرفاعي

هل يسعني حقاً أن أخصص حديثاً عن مجلة « الأديب » البيروتية وصاحبها ألبير أديب .. ؟ .

لئن فعلت ذلك ، فقد خالفت شرط هذه الأحاديث المطلقة التي لا تعرف التخصيص .. أو لا ينبغي أن تعرفه ، وإلا صارت أحاديث مخصصة ذات حدود معلومة .. بينما هي وضعت لتكون كالنحل ، تنتقل من شجرة إلى زهرة ، وترتاد الوهاد والجلاد .. وليس شرطاً أن تهب كالنحل عسلاً شهداً .. فالعسل أنواع وألوان .. ومن العسل ما لا تقبله النفوس .. واسألوا النحالين ..

و « الأديب » مجلة قديمة عتيدة .. تجاوزت من عمرها الأربعين عاماً .

صدرت في بيروت .. عن جهد فردي هو جهد صاحبها الأستاذ ألبير أديب .. وقد داوم على إصدارها عبر هذه السنوات الطويلة ، وتحمل في سبيلها أصنافاً من المتاعب ، وذلل ألواناً من المصاعب .. وكان رغم الأحداث جميعها يحرص على أن تصدر مجلته في مواعيدها المحددة .. وفي سمتها المألوف .. الرتيب .. ولم يخلف مواعيد صدورها .. إلا حينما صارت أحداث لبنان فوق طاقته .. بل فوق طاقة القادرين في سدة القيادة .. وحينما تهدم المنزل الذي سكنه عبر السنوات الطويلة ، فاضطر بعد تلك السنوات المديدة إلى مغادرته ، وبعد أن اعتكف فيه اعتكافاً عجيباً .. بل لقد بلغت دهشتي مداها حينما علمت منه شخصياً ، أنه لم يغادر مسكنه طوال سنوات أحسبه قالها عشرين عاماً ! قال ذلك حينما زرته قبل سنوات تكاد تبلغ العشر ..

لكن قنابل أحداث لبنان ، أرغمت الرجل الكبير سناً ومقاماً وأدباً ، على مغادرة المنزل المهدم ، كما أرغمته ، وربما لأول مرة أن يصدر كل عددين في عدد .. بل أكثر من عددين في عدد واحد .. بيد أنه ظل يصدرها بنفس الروح التي كان يصدرها به وهو في عز شبابه .. لم ينثن العزم الصلب .. ربما باعدت الأحداث في لبنان وفي غير لبنان ، بعض الأقلام التي كانت تجول في « الأديب » ، ولكن أقلاماً أخرى ظلت لها وفية .. كما ظل هو وفياً لكل المعاني السامية التي التزم بها .

طيلة هذه السنوات التي مرت على (الأديب) المجلة ، لم تكد تغيّر من ثباتها شيئاً .. ولا من سماتها .. فإن فعلت فإنما تفعله بقدر يسير .. بحيث تشعر إذا رأيت عدد « الأديب » من بعد ، أنه هو هو لا لبس فيه ولا اشتباه .. ونظام إخراجها لا يختلف طوال الزمن فهي مجلة محافظة ..

ولا تقف محافظة مجلة «الأديب» على شكلها الخارجي أو الداخلي فقط، بل تشمل المنهج أيضاً.. فالأستاذ أديب، وإن كان شاعراً مجدداً.. في فجر شبابه.. فقد كان ملتزماً بالأسلوب العربي الناصع، رغم ثقافته الفرنسية.. وقد جنب مجلته - ببراعة - تيارات الثقافات المختلفة، ولم يفسح المجال فيها إلا للأقلام الرصينة ذات المنهج العربي السليم.. وظلت مجلة «الأديب» أحدث المظلات القليلة بل النادرة، التي يفيء إليها عشاق الكلمة البيانية الناصعة.. التي لم تلحقها العجمة الجديدة..!

بيد أن الأستاذ ألبير لم يغلق مجلته في وجه التجديد.. فهو بطبعه مجدد متجدد.. ولكنه وضع الميزان بين يديه ليكون تجديده بحسبان!

ويكاد صاحب «الأديب» أن يقف في الميدان وحده.. فقد تفرق من حوله الأنصار، ومس الخراب الديار، وتمزق شمل القراء.. وطوى الموت صفحة عدد من كبار كتّابه.. وتقدمت به السن.. ووهن العظم.. وتغرب عن مكتبه وكتبه.. وذهبت الأحداث بالناس! فما مصير مجلة «الأديب».. هذه المجلة الراقية.. بقية المجلات؟.. هل تذهب في صمت أو غير صمت، كما ذهبت مجلة «الرسالة».. التي كانت مدرسة عالية من مدارس الأدب؟ وهل يبكي أو يتباكى عليها الباكون كما بكوا الرسالة من قبل..؟

لقد رأوا الرسالة تحتضر بين أعينهم.. فما مدوا أيديهم بفضيلة زاد ولا ماء.. ولو امتدت كل يد معجبة في مصر والعالم العربي بجنيه مصري واحد لتجمع ما كان كفيلاً بأن يعيد إليها الرمق.. والأمر في «الأديب» كالأمر في «الرسالة».. فقد كانت تصدر شهرياً بانتظام،

فعادت بعد أحداث لبنان، تصدر كل عددين في عدد واحد. ثم توالت المتاوليات والنفوس شحيحة.. والأيدي لا تتحرك.. ولكن الألسنة وأسنة الأقلام ستتحرك كثيراً.. بعد أن لا ينفع الكلام ولا غير الكلام..!

لقد نسيت اسم ذلك العالم الكبير، الذي خرج لوداعه أهل بلده، وهم يذرفون الدموع، ويظهرون اللوعة.. فقال: والله.. لو وجدت من بين جموعكم هذه الكثيرة، مَن يكفل لي رغيف قرص واحد في اليوم لما فارقتكم.. أو كما قال.. من قال:

لا ألفيتك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادا



من صور التحريف اليهودي

بقلم: سيد فرج راشد

يتميز تاريخ الشرق الأدنى القديم وحضارته عامة بغلبة الدوافع الدينية على غيرها من جوانب الحضارة. ولذلك قبل أن نبدأ الحديث عن أوضاع اليهود في فلسطين، نقول إن لدينا كتاباً مقدساً يصور العقيدة اليهودية، ويعترف به اليهود يسمى العهد القديم[1]. وقد أثبت البحث العلمي أن الجزء الأول من العهد القديم وهو المعروف بالتوراة ـ توراة موسى ـ لم يكن على هذا الحال التي نراها عليه الآن، إذ يذهب الباحثون إلى أن الشطر الأكبر منه قد تم تدوينه فيما بين عزرا والفتح الروماني[2]. ويعتمد العلماء على أدلة كثيرة، منها نصوص من التوراة نفسها، ذلك لأنه ورد في سفر التثنية (إصحاح ٣٤: ٥ ـ ٦) القول (... فمات موسى... ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم)... ولا يمكن أن يصدر هذا القول عن موسى عليه السلام.

وهذا يقطع أن التوراة في وضعها المعروف حالياً لا يمكن نسبته إلى موسى، إلا أن الرواية اليهودية والمسيحية القديمة تنسب تأليف الأسفار الخمسة (التوراة) في صورتها الحالية إلى موسى، وهذا يجعلها في صدر العهد القديم من حيث ترتيب التأليف والترتيب الزمني لمادتها. وأغلب الظن أن صعوبة قبول العهد القديم بوضعه وترتيبه الحالي، قد أدى قرب نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، إلى فحص نقدي شامل لهذا الموضوع؛ لمقارنة مادة العهد القديم بمصادر أرض الرافدين (ولا سيما القانونية منها) والمصادر الأوجاريتية، توضح أن قانون العهد (الذي يرد في سفر الخروج، الإصحاح ٢٠، الفقرة ٢٢، إلى الإصحاح ٢٣، الفقرة ١٩)، يتضمن تشريعات نابعة من قانون حمورابي والشرائع الكنعانية.

ويبدو أن فكرة جمع أجزاء العهد القديم قد ظهرت عند اليهود أثناء فترة السبي البابلي، وساعدهم على تنفيذها وجود مكتبات تضم التراث الأدبي للأمة البابلية، أما أصل هذه الفكرة فيرجع إلى أن بابل في الفترة التي كانوا يقيمون فيها خضعت لحكم الفرس، في هذه الفترة ظهر في فارس كتاب مقدس[3] يصور عقائد زرادشت، ويمكن إرجاع تاريخ ظهور هذا الكتاب إلى عام ٥٦٠ ق. م، وأغلب الظن أن ظهوره كان حافزاً لليهود على جمع أسفارهم في كتاب أسبغوا عليه صفة التقديس وهو العهد القديم، وكان ذلك على يد عزرا النبي في القرن الخامس قبل الميلاد.

كل ذلك من شأنه أن يؤكد الغموض الذي يسود علاقة عزرا بجمع العهد القديم كله. ويدحض الباحثون هذا القول بدليل لا يقبل الشك، وهو أن ذلك الكتاب يضم بين دفتيه أسفاراً متأخرة عن عصر عزرا كسفر دانيال الذي كتب حوالي عام ١٦٥ ق. م.

والواقع أن وضع العهد القديم استدعى زمناً امتد نحو ألف سنة، كذلك تطلّب جمعه قروناً عديدة، ونتيجة حتمية لذلك خضعت بعض الأسفار لمؤثرات كثيرة عملت فيها زيادة وحذفاً وتحريفاً.

ومؤدى هذا كله أن الكثرة الغالبة من الباحثين في تاريخ اليهود، يرون أنهم الأمة الوحيدة تقريباً التي لم تستقر حضارتها على قوائم ثابتة، بل كتبت تاريخها بنفسها أو ـ إن شئت مزيداً من دقة التعبير ـ قل كتبته حسب هواها، ثم زعمت أن ذلك التاريخ صادر من الله بطريق الوحي، وهم كما أسلفنا قد نقلوا عن المأثورات الشعبية لأرض الرافدين والكنعانيين وبعض الأمم القديمة التي عرفوها، وشريعة حمورابي شاهد على صدق هذا الذي نقول.

وهناك مشاكل مختلفة تتعلق بأصول العبريين الأولى، فأحياناً يتكلمون عن أنفسهم بأنهم من نسل سام والكنعانيين من نسل حام[4]، ثم يناقضون أنفسهم في سفر التثنية[5] على لسان موسى (كان أبي آرامياً تائهاً)، لكن ينسبهم النبي أشعيا في عصر السبي



البابلي إلى كنعان ، ويطلق على اللغة العبرية في هذه الفترة « لسان كنعان »[٦] .

وبعد أن كان العهد القديم المصدر الأساسي لدراسة تاريخ الشعب اليهودي ، حدثت تحولات أساسية في طرائق دراسة تاريخ هذا الشعب بعد الوثائق الأثرية[٧] التي تم اكتشافها في الفترة الأخيرة في ضوء معرفة المستشرقين في العصر الحديث للغات الشرق القديم .

وتؤكد النصوص الآشورية التي وصلتنا أن العرب كانوا مواطنين في فلسطين ، لا قبل نزوح العبريين فحسب ، بل حتى إبان إقامتهم بها ، فقد ورد في تقرير للإمبراطور سلمانصر الثالث ، الذي وضعه عن موقعة « قرقار » التي حدثت عام ٨٥٣ ق . م ، أن « جندب » ملك العرب تقدم ومعه ألف جمل وانضم إلى خصوم آشور ، لكن الإمبراطور الآشوري هزمهم . كما جاء في نقش آخر لسرجون استعرض فيه انتصاراته على بعض القبائل العربية مثل ثمود وأباديدي ، ونقلها إلى شمال فلسطين وأسكنهم مدن السامرة[٨] .

ويبدو أن بعض الباحثين قد اعتقدوا أن اسم « العبريين » قد ورد في وثائق تل العمارنة تحت اسم « حابيرو » ، ومع أن معنى الكلمة كان يكتنفه الغموض ، إلا أنه في الغالب كان له مدلوله في تلك الفترة . إلا أن البعض الآخر يرى أن كلمة « حبيرو » معناها الرفيق أو الحليف ، أما كلمة العبريين فهي مشتقة من الفعل « عبر » الذي كان شائعاً في اللغات السامية ومنها العبرية والعربية ، واستعمل في اللغة العبرية « عبر النهر » ، والمقصود هنا نهر الفرات . وعلى ذلك فيحتمل أن الكلمة كانت تعني الذي يعبر الفرات إلى سورية ، وبناءً على ذلك بدأوا يفسرون هذا الاسم (العبريين) على أن مدلوله ما جاء في سفر يوشع بن نون[٩] :
« هكذا قال الرب إله إسرائيل ، آباؤكم سكنوا في عبر النهر منذ الأزل ، تارح أبو إبراهيم وأبو ناحور ، وعبدوا آلهة أخرى ، فأخذت إبراهيم أباكم من عبر النهر وسرت به في أرض كنعان ، وأكثرت من نسله وأعطيته إسحاق » .

وقد استخدم بنو إسرائيل كلمة « عبري » في مجال علاقاتهم بالشعوب الأخرى ، أما فيما بينهم فكانوا يفضلون اسم « بني إسرائيل » ، وعلى ذلك فهم في نظر الشعوب الأخرى كانوا يسمون بالعبريين . ومن ثم فكلمة عبري كانت أقدم وأكثر شمولا ، إلا أن كلمة « بني إسرائيل » أصبحت اسماً للعبريين منذ أيام يعقوب على أساس أنها كانت كُنْية له .

ومن اللافت للنظر أن اليهود يقرأون التوراة بروح قبلية متعصبة ونزعة عنصرية قومية ، ليستخرجوا من نصوصها ما يبرر ادعاءاتهم أنهم شعب الله المختار ، وجاء في سياق التوراة أن موسى خرج بالعبريين من مصر عبر سيناء وكان هدفهم فلسطين لضمان أمنهم ، وفي خلال رحلة الخروج تلقى موسى الوحي الإلهي على جبل الطور وجدد العهد بينه وبين ذرة إبراهيم بالشريعة وأسس العقيدة حول إله واحد ، إلا أن اليهود اعتبروه إلهم القومي الخاص بهم وأنهم شعبه المختار ، وقد حاولوا غزو فلسطين — أرض الميعاد على حد تعبيرهم — من ناحية الجنوب ، ولكنهم فشلوا . وغيروا خططهم ووصلوا إلى أرض مؤاب في شرق الأردن حتى جبل « نبو » ، وتحدثنا التوراة أن موسى توفي وأرض الميعاد على مرمى بصره ، فتولى يوشع بن نون قيادة العبريين وعبروا نهر الأردن واحتلوا أريحا بعد تدميرها ، وكذلك فعلوا مع عاي والجلجال وشيلوح وبقية المدن الكنعانية التي احتلوها أثناء تقدمهم إلى يبوس (أورشليم — القدس) ، ولكنهم لم يتمكنوا من احتلالها ، إذ كانت يبوس محصنة تحصيناً تماماً . وقاومهم اليبوسيون[١٠] ، ثم شرع يوشع بعد ذلك إلى توزيع فلسطين إلى أنصبة قبلية بين الأسباط الاثني عشر[١١] ، محدداً مكان كل سبط .

ويضاف إلى هذه الأسباط سبط لاوي وهم عشيرة موسى وهارون وكانت لهم الزعامة الدينية والاجتماعية على سائر الأسباط ، فكانت عشيرة اللاويين تقوم بالكهانة في مناطق الأسباط الاثني عشر .

وهناك حقيقة هامة مؤداها أن العبريين عندما تسللوا إلى فلسطين وجدوا اليبوسيين والأدويين والموآبيين والعمونيين والكنعانيين وغيرهم وهؤلاء جمعهم عرب ، وهؤلاء العرب ذكرهم العهد القديم . أي أن العرق السامي عربي في أصوله الجغرافية .

وبعد وفاة يوشع بن نون اشتدت الأزمات وسادت الفوضى بين العبريين في فلسطين وارتد الكثير منهم عن العقيدة اليهودية إلى الوثنية الكنعانية ، فنهض عدد من الزعماء المحليين وتصدوا لذلك وحاربوا دفاعاً عن الكيان الديني والاجتماعي ، وهؤلاء هم القضاة الذين سميت





من صور التحريف اليهودي للتاريخ والمقدسات

باسمهم حقبة من تاريخ العبريين تلت احتلالهم لفلسطين بنحو قرنين من الزمان . وفي هذه الأثناء شن الفلسطينيون هجوماً كبيراً ، فهدموا هيكل سيلون وسبوا تابوت العهد ، كما شن المديانيون والمؤابيون والعمونيون والآراميون عدة غارات على العبريين حيث كانت الفرقة تمزقهم من الداخل .

وخلال حقبة القضاة كان العبريون قد تهيأوا لوحدة سياسية جاءت كرد فعل لحالة الفوضى التي سادت بينهم ، مما أدى إلى قيام الملكية . ورشح صمويل التشبي ـ من سبط بنيامين وهو آخر القضاة ـ شاءول ملكاً على بني إسرائيل . وأقيمت هذه الوحدة السياسية في وقت كان الموقف التاريخي مواتياً على نحو فريد ، فكانت مصر تجتاز فترة تأخر واضمحلال ، أما آشور فكانت مشغولة بتأمين حدودها وتوطيد دولتها في العراق القديم .

ومن الواضح طبقاً للسرد التاريخي لسفر صمويل الأول أن الفلسطينيين كانوا قوة عسكرية لا يستهان بها ، وقد واجههم شاءول بقواته الرئيسية على جبال جلبوع في معركة فاصلة انتهت بهزيمته ومقتله مع أبنائه الثلاثة ، مما أتاح الفرصة أمام داود ليصبح ملكاً (١٠٠٠ ـ ٩٧٣ ق . م) ، ثم تولى من بعده ابنه سليمان مُلك بني إسرائيل (٩٧٣ ـ ٩٣٣ ق . م) . وبعد وفاة سليمان انتهى نفوذ العبريين وانقسمت المملكة إلى مملكتين ثم انصهرت إسرائيل في قلب الإمبراطورية الآشورية عام ٧٢٢ ق . م ، وسقطت يهوذا في يد البابليين عام ٥٨٦ ق . م .

وعلى هذا النحو فالقول بوجود تاريخ مشترك لليهود قول يفنده الواقع ، فقد عاش اليهود خلال الألفي سنة الماضية منفيين ومنتشرين داخل بلدان مختلفة ، ولم تكن لهم سيادة في مملكة خاصة إلا ما يقرب من ثمانين عاماً وهي تمثل الفترة الزمنية لمملكتي داود وسليمان .

وهكذا أسدل الستار على مسلسل الحقوق التاريخية بخاتمة من الأراجيف والدماء ، فأولى الحجج التي يستند عليها اليهود هي الدعوة الخاصة بالروابط التي تربط بين اليهود وفلسطين على أساس الوعد الإلهي لبني إسرائيل في أرض كنعان . فهم يكتفون منها بأسطحها المرئية بالعين من بعيد ومن هنا كانت العلة في ارتكازهم على تلك القراءة غير الواعية للعهد القديم ، وقل هذا في كل المعاني الأخرى التي من هذا القبيل ، فالصهاينة يقيمون وزناً لخمسة وثلاثين عاماً مضت على إقامة إسرائيل[١٢] وتهدر ثلاثة آلاف عام عاشها العرب على أرض فلسطين .

المراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ الكتاب المقدس (العهد القديم ـ العهد الجديد) ، دار الكتاب المقدس ، القاهرة ١٩٦٦ م .

٣ ـ الأسفار القانونية التي حذفها البروتستانت ، الإسكندرية ١٩٧٧ م .

٤ ـ التوراة السامرية : مكتوبة باللغة السامرية ، برلين ١٨٧٢ م .

٥ ـ د . ألفت محمد جلال : العقيدة الدينية والنظم التشريعية عند اليهود ، القاهرة ١٩٧٤ م .

٦ ـ د . ألفت محمد جلال : الأدب العبري القديم والوسيط ، جامعة عين شمس ١٩٧٨ م .

٧ ـ جيمس فريزر : الفولكلور في العهد القديم ، ترجمة د . نبيلة إبراهيم ، جـ ١ ، القاهرة ١٩٧٢ م .

٨ ـ باروخ سبينوزا : رسالة في اللاهوت والسياسة ، ترجمة د . حسن حنفي ، القاهرة ١٩٧١ م .

٩ ـ د . حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ، القاهرة ١٩٧١ م .

١٠ ـ د . حسن ظاظا : الفكر الديني الإسرائيلي ، القاهرة ١٩٧١ م .

١١ ـ Luckenbill, D.D. : Ancient Records of Assyria and Babylonia vall II Chicago.

١٢ ـ Olmstead, A.T. : History of Palestine and Syria New - York 1931.

١٣ ـ Sachar, A.L. : History of The Jews, New - York 1973.

الهوامش

(١) العهد القديم : هو كتاب اليهود المقدس ، ويحتوي على ثلاثة أقسام : التوراة والأنبياء وأسفار الحكمة (الكتب) .

(٢) تم الفتح الروماني لفلسطين عام ٦٣ ق . م ، على يد القائد الروماني بومبي .

(٣) زندافستا والكلمة مركبة من كلمتين : زند ومعناها شرح ، أفستا معناها النص الأصلي ، ومن ثم فمعنى الكتاب : النص والشرح .

(٤) سفر التكوين : الإصحاح العاشر .

(٥) سفر التثنية : الإصحاح ٢٦ ، فقرة ٥ .

(٦) سفرا أشعيا : الإصحاح ١٩ ، فقرة ١٨ .

(٧) وثائق البحر الميت والوثائق الآشورية والبابلية .

(٨) سفر الملوك الثاني : الإصحاح ١٧ ، فقرة ٢٤ .

(٩) سفر يوشع : الإصحاح ٢٤ ، فقرات ٢ ـ ٣ .

(١٠) اليبوسيون هم بناة القدس ، وكانت على عهدهم تسمى « يبوس » . ويعود أصلهم إلى شبه الجزيرة العربية حيث كانوا بطناً من بطون العرب الأوائل ، نشأوا في صميم الجزيرة العربية ، ثم نزحوا عنها مع القبائل الكنعانية فاستوطنوا فلسطين ، وأغلب الظن أن ذلك حدث حوالي عام ٣٠٠٠ ق . م . ومن ملوكهم ملكيصادق الذي كان أول من خطط لبناء مدينة يبوس (القدس) .

(١١) رأوبين ، شمعون ، جاد ، يهوذا ، يساكر ، زبلون ، أفرايم ، منسا ، بنيامين ، دان ، آشر ، نفتالي ، ويضاف إليهم سبط لاوي وهم عشيرة موسى وهارون .

(١٢) في ١٥ مايو (أيار) ١٩٤٨ م ، أعلنت بريطانيا إنهاء انتدابها على فلسطين ، وفي أعقاب ذلك أعلن بن جوريون قيام دولة يهودية في فلسطين ـ على حد قوله ـ باسم إسرائيل .



التقويم في اللغة العربية
اقتراحات للتطوير

بقلم: د. رشدي أحمد طعيمة

التقويم ركن أساسي من أركان العملية التعليمية ، فهو يسبقها ويلازمها ويتابعها من أجل دراسة واقعها ، وبحث مشكلاتها ، ورسم الخطوط اللازمة لتطويرها ، تحقيقاً للأهداف المنشودة فيها .

واللغة العربية ، شأن كثير من المواد الدراسية الأخرى ، تواجه مشكلات متعددة من حيث التقويم ، منها ما يتصل بالمنهج ، ومنها ما يتصل بالمعلم ، ومنها ما يتصل بالتلميذ ، ومنها ما يتصل بالإشراف الفني والتربوي ، ومنها ما يتصل بالجوانب الأخرى للعملية التعليمية .

وليس الهدف من هذا المقال استقصاء المشكلات التي يواجهها التقويم في اللغة العربية ، فمجال ذلك دراسات أخرى . ولكن الهدف الرئيسي من هذا المقال وضع تصور لتطوير عملية التقويم ، وتقديم مجموعة من الاقتراحات التي قد تسهم في ذلك .



المقصود بالتقويم ومجالاته

ولعل من المناسب أن نحدد أولا المقصود بالتقويم في هذا المقال . إن التقويم هو مجموع الإجراءات التي يتم بواسطتها جمع بيانات خاصة بفرد أو بمشروع أو بظاهرة معينة ، ودراسة هذه البيانات بأسلوب علمي للتأكد من مدى تحقيق أهداف محددة سلفاً وذلك لاتخاذ قرارات معينة .

ومجالات التقويم كما نعلم كثيرة . وسوف يُقتصر هنا على المجال الخاص بتقويم التلاميذ مرجئاً الحديث عن تقويم المعلم وتقويم المنهج لمقالات أخرى إن شاء الله .

والمتأمل في عمليات تقويم التلاميذ في مدارسنا يلمس عدداً من الظواهر ، من أهمها عدم ارتباط التقويم بأهداف المنهج . إن التقويم السليم للتلاميذ في مادة اللغة العربية ينبغي أن يعتمد على تحليل موضوعي لمناهجها سواء من حيث الأهداف العامة أم الخاصة ، أم من حيث الموضوعات الرئيسية أم الفرعية ، كما يعتمد على تحليل موضوعي كذلك لعمليات الفهم والتفكير إلى أبعادها الأساسية ، وتحديد المهارات التي يهدف المنهج إلى تكوينها . وفي ضوء هذا كله تصاغ أسئلة الامتحانات بالشكل الذي يغطي أهداف المنهج وموضوعاته .

إن نظرة سريعة على أهداف منهج اللغة العربية في مراحل التعليم العام على سبيل المثال ، وعلى بعض امتحانات اللغة العربية فيها تكشف لنا عن هوة واسعة وتفاوت كبير .

إن من المتوقع ، كما ينص في أهداف هذا المنهج أن تحدث تغيرات سلوكية في شخصيات التلاميذ ، سواء من حيث الجوانب المعرفية أم من حيث الجوانب الوجدانية أم من حيث الجوانب العملية والمهارات . ولا شك أن التقويم اللغوي الصحيح هو الذي يضع هذه الجوانب الثلاثة في الاعتبار عند تقدير مستوى التلاميذ أو الحكم عليهم .

والملاحظ أن معظم ، إن لم يكن كل ، الامتحانات يركز على الجوانب المعرفية فقط ، وعلى المستويات البسيطة من هذه الجوانب كالتذكر والفهم مع إغفال المستويات العليا للتفكير كالتحليل والتقويم .

ولقد استتبع ذلك تصور أدوات التقويم وعدم تنوعها وشيوع الأساليب التقليدية منها ، تلك التي لا تتغير بتغير المواقف ، ولا تتعدد بتعدد جوانب شخصية التلاميذ . ولقد ترتب على هذا أن أضحت الأهداف التربوية الأخرى



بعيدة التحقيق عزيزة المنال. **إن قليلاً من المعلمين من يشغل نفسه بتنمية قدرة التلاميذ على التذوق الأدبي، أو تعويدهم القراءة الحرة وحثهم عليها، أو تنمية قدراتهم على التفكير العلمي أو إكسابهم اتجاهات معينة.**

دور المعلم

والاقتراحات التي تُقدم فيما يلي تنقسم إلى قسمين: منها ما يخص المعلم، ومنها ما يخص المستويات المركزية في إدارات التعليم. ويمكن إجمال الاقتراحات الخاصة بالمعلم فيما يلي:

١ ـ إن النمو اللغوي، شأن غيره من أشكال النمو الأخرى، أمر نسبي يرتبط بحالة كل تلميذ على حدة. إننا في تعليم اللغة العربية لا نتعامل مع مجردات ثابتة ينبغي توافرها عند كل تلميذ. من هنا وجب أن يقف المعلم بشكل موضوعي ودقيق على مستوى التلاميذ في اللغة العربية في الأسبوع الأول من دراستهم معه. وبمعنى آخر ينبغي أن يتعرف المعلم المهارات اللغوية المختلفة التي وصل التلاميذ بها إليه. ولعل مما يكشف عن أهمية التحديد المبدئي لمستوى التلاميذ، ما نلاحظه من حصول تلميذين في نهاية العام الدراسي على درجة واحدة في اللغة العربية، إلا أن هذه الدرجة الواحدة تعتبر لأحدهما تقدماً وللآخر غير ذلك. إن مما لاحظه الكاتب في بعض **معاهد تعليم اللغة الإنجليزية في الخارج** إعداد رسم بياني يسجل عليه مستوى كل دارس في المهارات اللغوية المختلفة منذ انخراطه في الدراسة حتى تخرجه منها.

٢ ـ إن على المعلم أن يصحح تصوره لطبيعة اللغة وتقسيمها لفروع. إن تقسيم اللغة العربية إلى قراءة ونصوص وأدب وبلاغة ونحو وتعبير وإملاء وخط.. إنما هو تقسيم مصطنع قصد به تيسير العمل في مختلف جوانب العملية التعليمية، سواء من حيث خطة الدراسة أو طرق التدريس أو تقويم التلاميذ أو غير ذلك. وواقع الأمر أن اللغة كل متكامل، والنمو فيها عملية تراكمية يؤثر كل فرع فيها في الفروع الأخرى كما تؤثر كل مرحلة في غيرها من المراحل. من أجل هذا ندعو إلى أن ينظر المعلم إلى اكتساب المهارات اللغوية عند التلاميذ نظرة كلية متكاملة عند تقويمهم. وليس ثمة ما يمنع أن تخصم درجات من فرع **القواعد النحوية** من تلميذ يخطئ دائماً في هذه القواعد عند قراءته للنصوص أو كتابته لموضوع في التعبير أو إلقائه لخطبة أو حديث. وبنفس القياس ليس ثمة ما يمنع أن تعطي درجة في النصوص لتلميذ يكثر الاستشهاد في موضوعات التعبير بنصوص دينية أو أدبية مثل آيات القرآن الكريم أو الحديث النبوي الشريف أو الشعر العربي الجيد أو الأمثال والحكم.. إلخ.

٣ ـ ينبغي أن يُعيد المعلم النظر في **طريقة وضع الامتحانات النصفية أو النهائية**. إن نسبة كبيرة من المعلمين يقصرون همهم عند وضع امتحان ما على قياس تحصيل التلاميذ في بعض فروع اللغة، والطريقة المثلى عند وضع الامتحان في رأينا هي أن يبدأ واضع الامتحان بالنظر في أهداف المنهج من جديد، والتأمل في الموضوعات التي يشتمل عليها، وعليه أن يفكر في الطريقة التي يختبر بها مدى تحقيق كل هدف من أهداف هذا المنهج تحصيلاً أو ميولا أو قدرات أو اتجاهات. وليصمم جدولا يسجل فيه أهداف المنهج مقابلة بوحدات الاختبار ووسائل التقويم الأخرى ليقف على مدى استيفاء وسائل التقويم لأهداف المنهج وتمثيل وحدات الاختبار لها.

إن الصورة التي تخرج بها الامتحانات النصفية والنهائية تعطي المعلمين انطباعاً معيناً عن تعلم وتعليم اللغة العربية، وتكشف لهم عن محاور الاهتمام عند الممتحنين، فتتحدد في ضوئها علاقتهم بعناصر المنهج وتصورهم لإجراءات التدريس.

٤ ـ ينبغي تصحيح نظرة المعلمين نحو **الخطأ اللغوي**؛ مفهومه وقياسه وتصحيحه. لقد تعودنا نحن معلمي اللغة العربية أن ننظر إلى أخطاء التلاميذ كمبرر لعقابهم. إن الخطأ اللغوي، كما نرى، فرصة نستكشف منها ما يواجه التلاميذ من صعوبات، ونتعرف من خلاله على ما ينبغي أن تشتمل عليه المناهج من موضوعات شكلاً ومضموناً. ولا ينبغي أن يقتصر دور المعلم إزاء هذه الأخطاء على إنقاص درجات التلاميذ، وإنما ينبغي الالتفات إليها ورصدها، والتماس الطريقة المناسبة لتلافيها. **إن المعلم الجيد هو ذلك الذي يلتفت إلى أخطاء التلاميذ ويرصدها سواء في حصة التعبير أم في حصة القراءة الجهرية أم في مواقف النشاط اللغوي**، ثم يخصص حصة كل أسبوعين أو ثلاثة لمعالجة هذه الأخطاء، فيذكرهم بما نسوه، ويثبت في أذهانهم ما تعلموه. كما أنه هو ذلك الذي يحدد مصدر الخطأ، فقد يُعزى إلى المنهج الدراسي، وقد يُعزى إلى طريقة التدريس، وقد يُعزى إلى التلميذ نفسه، وقد يُعزى إلى غير ذلك من مصادر.

المستويات المركزية

أما الاقتراحات التي تخص المستويات المركزية في إدارات التعليم فنستطيع أن نجملها فيما يلي:

١ ـ ينبغي إعداد مرشد للمعلم في تقويم مادة اللغة العربية، يوزع على جميع معلمي هذه المادة ويقدم لهم المفهومات الأساسية للتقويم. فيشتمل مثلاً على العناصر الآتية: مفهوم التقويم، أسس التقويم السليم، خصائص السؤال الجيد، فن إلقاء السؤال، مزايا وحدود كل من الاختبارات الموضوعية واختبارات المقال، وطرق تقويم التلاميذ في المهارات اللغوية المختلفة (الاستماع، القراءة، الكتابة، التعبير، النحو... إلخ).

٢ ـ يُرى تنظيم دورات تدريبية في شهر مارس (آذار) مثلاً من كل عام، يحضرها المدرسون الأوائل، بوصفهم مسؤولين عن وضع الامتحانات. وذلك للتدريب على وضع الاختبارات خاصة الاختبارات الموضوعية، وينبغي أن تشتمل هذه الدورات على ورش عمل Workshops ينقسم المدرسون فيها إلى مجموعات صغيرة، ويتدربون من خلالها على تحليل الامتحانات السابقة إلى المهارات التي

تقيسها ، كما يتدربون من خلالها على وضع امتحانات أخرى أكثر وفاءً بالأغراض المنشودة ، فضلاً عن تلقي التوجيهات الخاصة بالامتحانات كل عام .

٣ ـ ينبغي تزويد المعلمين بقائمة بالمهارات اللغوية الرئيسية والفرعية التي تشتمل عليها فروع اللغة العربية . إن سبباً من أسباب مشكلة التقويم في مدارسنا أن معلم اللغة العربية لا يعرف على وجه الدقة ما ينبغي تنميته من مهارات لغوية ، ومن ثم تعوزه الطريقة المناسبة التي يقوم بها هذه المهارات .

٤ ـ ينبغي التفكير في إعداد ثلاثة اختبارات عامة على نمط **اختبارات الإجادة** Proficiency . ولا ترتبط هذه الاختبارات كما نعلم بكتاب محدد أو منهج معين لسنة دراسية محددة ، وإنما تقيس قدرة الطالب على ممارسة اللغة في ضوء أهداف المرحلة كلها . معنى ذلك أن يعد اختبار إجادة للمرحلة **الابتدائية** وآخر للمرحلة **الإعدادية** أو **المتوسطة** (وفي حالة دمج المرحلتين الابتدائية والمتوسطة في مرحلة واحدة يُكتفى باختبار واحد) فضلاً عن اختبار للمرحلة الثانوية . ومن خصائص هذه الاختبارات أنها تغطي مختلف المهارات اللغوية التي يُتوقع أن يكتسبها التلاميذ في نهاية كل مرحلة ، في ضوء محتوى كتب تعليم اللغة العربية في سنوات هذه المرحلة فضلاً عن المناهج الدراسية المعدة لها . كما أن من خصائصها أنها موضوعية ومقننة مما يكشف لنا بصدق عن مدى تحقيق مناهج المرحلة التعليمية لأهدافها ، وما يحتله كل تلميذ من موقع في سلم اكتساب المهارات اللغوية المختلفة . وغني عن القول إن هذه الاختبارات التي تعطى للتلاميذ في نهاية كل مرحلة ، تكشف لنا في الوقت نفسه عن مشكلات تعلم اللغة العربية وتعليمها على مختلف المستويات .

٥ ـ يحسن البدء بإعداد مجموعات من نماذج الاختبارات لمختلف سنوات الدراسة حتى يمكن الاقتداء بها . كما يمكن الاستفادة بالاختبارات الموضوعية وأدوات القياس التي أعدتها هيئات ومؤسسات تربوية مختلفة خصوصاً ما أعد لدرجات جامعية في مجال تعليم اللغة العربية . ومن الاختبارات التي يذكرها الكاتب ما يلي :

●● اختبار القراءة للصف الرابع الابتدائي **للدكتور محمود رشدي خاطر** (مركز التعليم الوظيفي في العالم العربي ، بسرس الليان ، جمهورية مصر العربية) .

●● نماذج من الاختبارات الموضوعية في اللغة العربية **للدكتور محمد صلاح الدين مجاور** (دار القلم بالكويت) .

●● اختبار الميول الأدبية بالمرحلة الثانوية **للدكتور محمد قدري لطفي** (كلية الآداب ـ جامعة القاهرة) .

●● اختبار القراءة الصامتة **للدكتور أحمد حسن عبيد** (كلية التربية ـ جامعة عين شمس بالقاهرة) .

●● اختبار القدرة على القراءة الصامتة **للدكتور محمد منير موسى** (كلية التربية ـ جامعة عين شمس بالقاهرة) .

●● استبيان التعرف على ميول طلاب المرحلة الثانوية في القراءة **للدكتور محمد حامد الأفندي** (كلية التربية ـ جامعة عين شمس بالقاهرة) .

●● استبيان التعرف على ميول طلاب المرحلة الثانوية في القراءة الحرة **للدكتور محمود كامل الناقة** (كلية التربية ـ جامعة عين شمس بالقاهرة) .

●● اختبار القراءة العامة للصف الرابع الابتدائي **للدكتور سامي رزق** (كلية التربية ـ جامعة الأزهر بالقاهرة) .

●● اختبار القراءة الصامتة للمرحلة الابتدائية بليبيا **للأستاذ مسعود الرقيعي** (كلية التربية ـ جامعة عين شمس بالقاهرة) .

●● اختبار الإملاء للمرحلة الإعدادية «المتوسطة» **للدكتور حسن شحاته** (كلية التربية ـ جامعة عين شمس بالقاهرة) .

●● اختبار القراءة الجهرية للمرحلة الابتدائية **للدكتور حسن شحاته** (كلية التربية ـ جامعة عين شمس) .

●● اختبار موضوعي للإملاء **للدكتور محمد خير الدين عرقسوسي** (كلية التربية ـ جامعة دمشق ـ سورية) .

●● مقياس التذوق الأدبي عند طلاب المرحلة الثانوية ، فن الشعر **للدكتور رشدي أحمد طعيمة** (كلية التربية ـ جامعة عين شمس) .

●● استفتاء التعرف على ميول طلاب المرحلة المتوسطة في القراءة الخارجية بالعراق **للأستاذ حسام الدين عبد الله بيروزخان** (كلية التربية ـ جامعة المنصورة ـ جمهورية مصر العربية) .

والكاتب عندما يطرح أسماء هذه الاختبارات فإنما يدرك تماماً اختلاف الظروف التي أعدت فيها هذه الاختبارات عن تلك التي يمر بها التعليم العام في البلاد العربية الآن . . ولعل قصارى ما يقصده من ذلك هو الدعوة إلى الاستفادة منها والاقتداء بخطواتها المنهجية نحو إعداد اختبارات أخرى معاصرة تتناسب وظروف كل بلد على حدة .

٦ ـ ترتبط بالنقطة السابقة الدعوة إلى إجراء دراسة علمية سنوية لامتحانات الشهادات العامة والإدارات التعليمية المختلفة ، ويتم في مثل هذه الدراسة تعرف أنماط التفكير التي تقيسها ، والمهارات اللغوية التي تختبر قدرات التلاميذ فيها ، ومستوى إجابات التلاميذ عن كل سؤال وأخطائهم الشائعة في هذه الإجابات ، ومدى تحقق أهداف المنهج . ولا شك أن مثل هذه الدراسة سوف تفيد قطاعات كثيرة .

٧ ـ ينبغي إنماء فكرة **التقويم الذاتي في العملية التربوية** لما فيها من فائدة في بناء فكرة تقويم الإنسان لذاته ، وتعهده نفسه بالبناء تبعاً لذلك . إن من العسير على كثير من المعلمين تعرف مستوى التلاميذ وبشكل مستمر لما يكتسبونه أو يفقدونه من مهارات . ولا شك أن تزويد التلاميذ ببعض وسائل التقويم التي يستطيعون استخدامها بأنفسهم ، من شأنه أن



يعالج مشكلة عند المعلمين فضلاً عما له من آثار نفسية طيبة على التلاميذ .

٨ ــ ينبغي تنسيق العمل بين مدارس التعليم العام والعيادات النفسية المختلفة ، حيث إن عدداً كبيراً من مشكلات القراءة يعود إلى عوامل نفسية تستطيع عياداتها التعرف عليها وعلاجها .

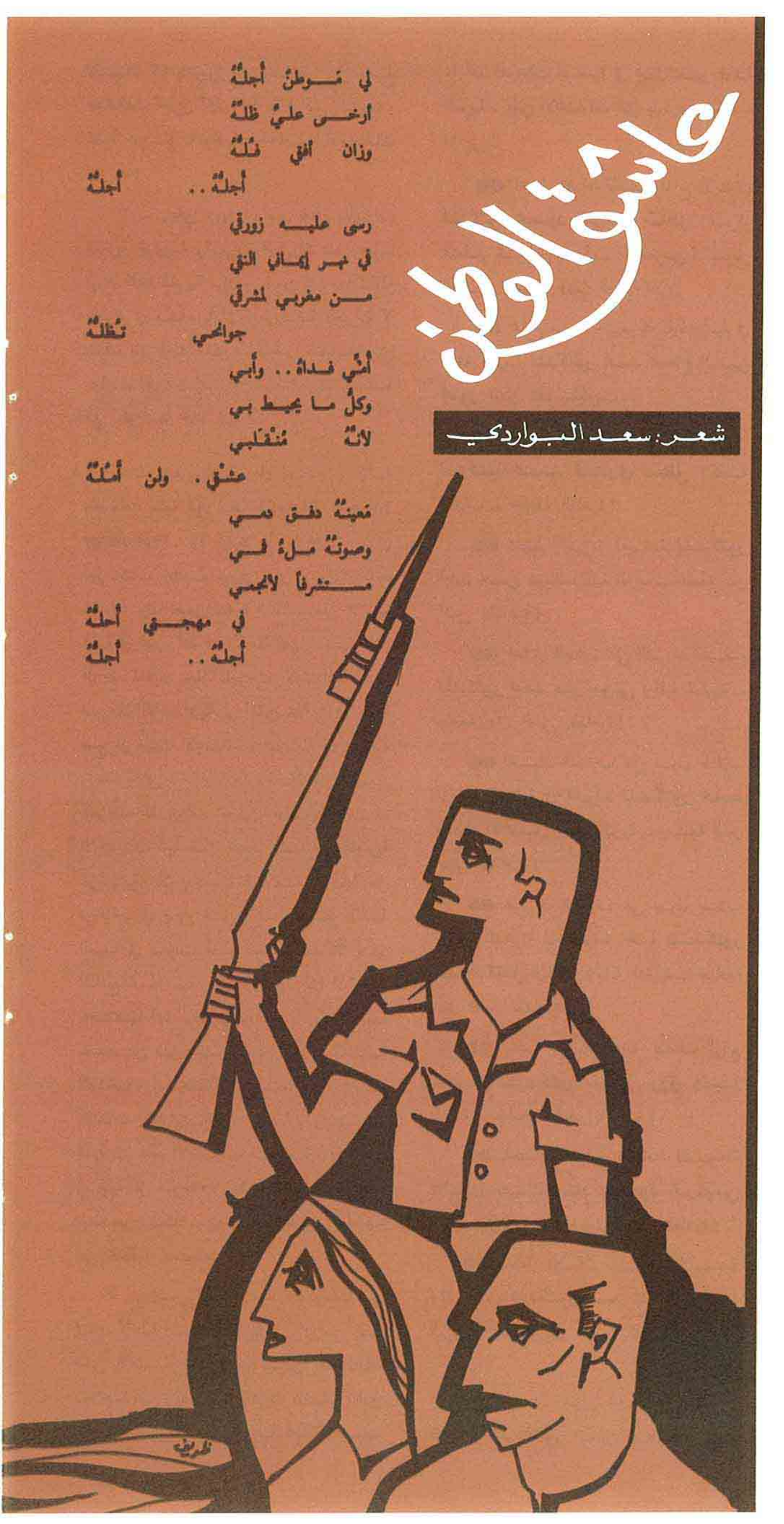
٩ ــ ينبغي التفكير في **إعداد بطاقة متابعة** للتلاميذ تعتمد على المهارات اللغوية لا على الدرجات التقليدية .

١٠ ــ ينبغي اتخاذ الإجراءات التي تكفل توعية أولياء الأمور بأهمية متابعة أبنائهم وتقويمهم المستمر لهم وزيارة مدارسهم للتعرف على مستوياتهم في اللغة العربية بين حين وآخر .

١١ ــ وأخيراً . . فإن اللغة الصحيحة ، كما نعلم ، تعبير صادق سليم بالنطق أو بالكتابة ، وفهم سليم عن طريق الاستماع والقراءة . ولذلك **وجب أن يتركز التقويم على فهم النصوص المقروءة والمنطوقة ، وعلى التعبير نطقاً وكتابة تعبيراً صادقاً . هذه هي المراحل النهائية في تعليم اللغة .** وتسبقها مراحل في تعلم مبادئ القراءة والكتابة ثم إتقانها ، ثم الانطلاق في القراءة وسرعة الفهم ودقته والانطلاق في التعبير مع الوضوح ودقة الأداء وجماله . ولذلك فإنه ينبغي وضع قواعد الإملاء والنحو وحفظ النصوص في موضعها الصحيح بالنسبة للتعبير والفهم السليمين مع الاستساغة والتذوق في جميع الأحوال .

ويتطلب هذا أمرين أساسيين ، **أولهما :** إعادة النظر في توزيع درجات الامتحان في اللغة العربية ، **وثانيهما :** التفكير في تعميم نظام الامتحانات الشفوية جنباً إلى جنب مع التحريرية حتى لا نغفل عند تقويم التلاميذ بعض جوانب النمو اللغوي الهامة عندهم مثل الإلقاء والقراءة الجهرية الممثلة للمعنى وطريقة نطق الكلمات والتعبير الشفوي التلقائي . . إلخ .

❋ ❋





✡ ✡ لُغَاتُ العَالَمُ

عدد لغات العالم : بين ٣٠٠٠ ــ ٤٠٠٠ لغة .

أنواع لغات العالم : ٣ أنواع هي :

١ ــ لغات عازلة . ٢ ــ لغات لاصقة . ٣ ــ لغات متصرفة .

المجموعات اللغوية الرئيسية

أولا : مجموعة اللغات السامية والعامية :

لغة عربية .

لغة أمهرية .

لغة حامية .

ثانياً : مجموعة اللغات الأندو ــ أوروبية :

لغات جرمانية .

لغات لاتينية .

لغات صقلبية .

لغات أندوإيرانية .

لغات هندية قديمة .

ثالثاً : مجموعة اللغات الأورالمو ــ التائية :

لغات صينية ويابانية .

لغات سيبيرية .

لغات مغولية .

لغات تركية .

لغات فنية أوجرية .

لغات ملاوية بولينيخية .

لغات أخرى :

لغات سودانية .

لغات البانتو .

لغات البوشمن والهوتسنتوت .

لغات الهنود الحمر (الأسكيمو) .

أوسع اللغات انتشاراً في العالم

اللغة	الناطقون بها
الإنجليزية	٣٦٥ مليوناً
الروسية (لاسكو)	٢١٥ مليوناً
الإسبانية	١٨٠ مليوناً
العربية	١٤٧ مليوناً
البرتغالية	١٣٣ مليوناً
الألمانية	١٢٦ مليوناً
الفرنسية	١١٠ ملايين
الإيطالية	٨٥ مليوناً

المراجع

١ ــ **مختصر تاريخ العالم « بالإنجليزية »** ، هـ . ج . ويلز .

٢ ــ **العالم من حولنا** : اديث راسكن ، ترجمة الدكتور احمد أبو العباس .

٣ ــ **دائرة معارف القرن العشرين** : للعلامة محمد فريد وجدي .

٤ ــ **مذكرات على العلاقات بين الأجناس « بالفرنسية »** ، ج . سيللر .

٥ ــ **موسوعة تاريخ العالم** : ولم لانجر ، ترجمة الدكتور محمد مصطفى زيادة .

٦ ــ **دائرة المعارف البريطانية** : « بالإنجليزية » .

٧ ــ **كوكب الإنسانية** : للأستاذ احمد حسين الحامي .

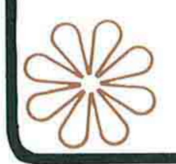
٨ ــ **موسوعة المعرفة** : المجلدات : ١ ، ٢ ، ٣ .

٩ ــ **مجلة العربي الكويتية** : عدد يناير (كانون الثاني) ١٩٦٧ م .

١٠ ــ **الأطلس العربي** .

١١ ــ **الإحصاءات السنوية للأمم المتحدة عن السكان** .

١٢ ــ **الجغرافيا الإقليمية** .





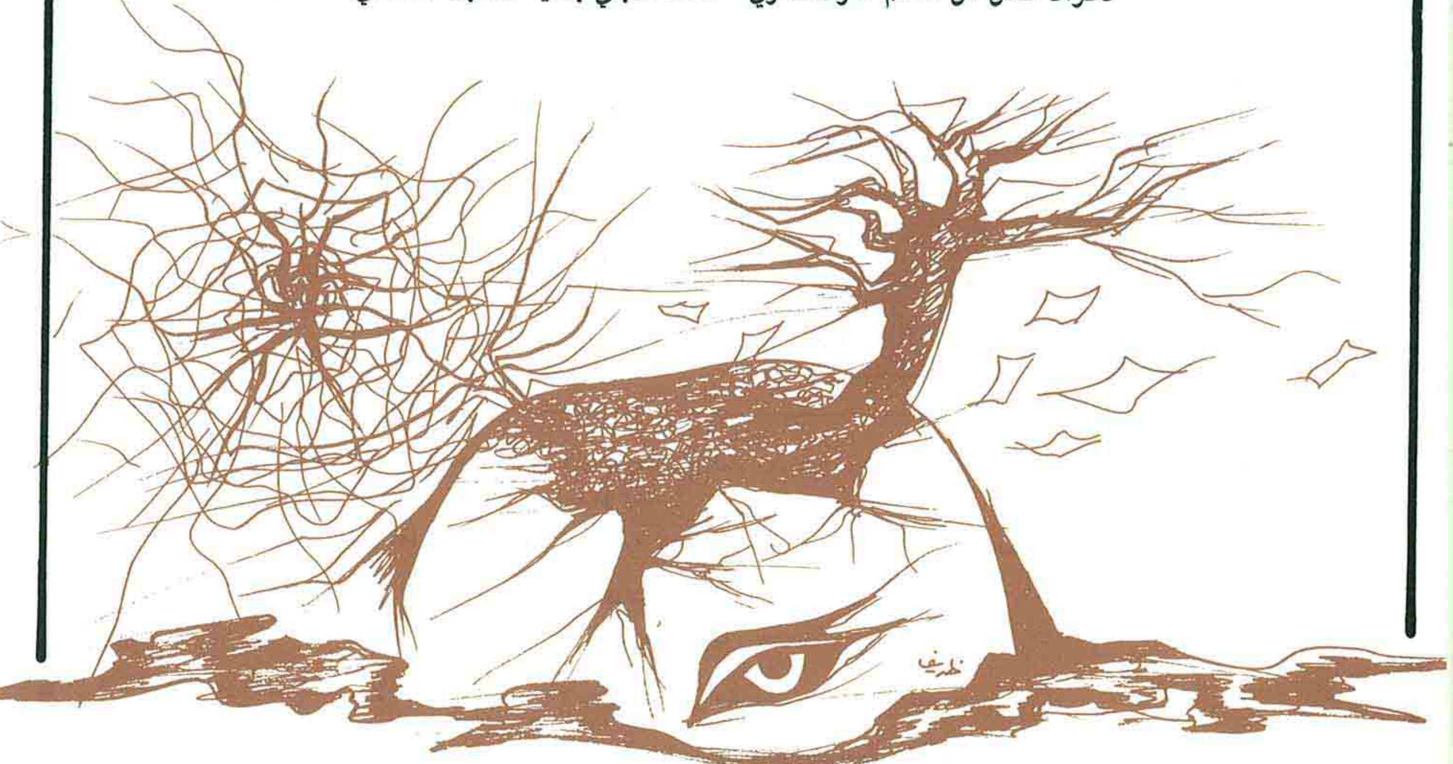
شعر: د. يحيي أبو ريشة

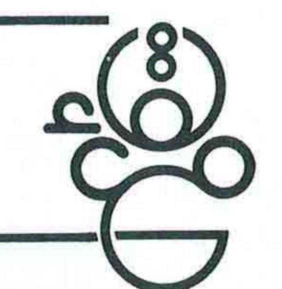
أوّاه لم أجد الذكرى تعلّلني
وكيف يسعدني من ليس يفهمني؟
نام أذكاري على الأشواك وازدهرت
حديقتي بشجا الأوراق والغُصُن

والعنكبوت بنى في ظلها شقَقاً ... يصطاد من حشرات الليل والعفن
ذكراي دفتر أشعار ممزقة ... الشعر فيها كليل العين والأذن
وأنت صورة حبّ لم تجد مثلاً ... من الحياة، فماتت ميتة الوثن

* * *

ماذا أقول لأشعاري التي كُتبت ... في صبح عينيك، واجتاحت لآلامي
خريدة الطهر.. نام الشعر من زمن ... ومات في حركاتي ثم أنغامي
إن شئت أوقظه قسراً.. فواعجباً ... إن لم ينفّر بصمت الدهر أحلامي
عفّرت هامة شعري في محاسن من ... قد خلّف القلب فذاً بين أقوامي
فإن أهِبْ بدموعي لم تكن سكني ... وإن أفُهْ بجنيني هز أوهامي
لكي أبيت على أكناف زلزلة ... كي أقتل الحب ثم البرعم النامي
ذكراك كأس من السُم الزعاف وفي ... أحناء قلبي بقايا المشهد الدامي







برنار
هنري ليفي

ترجمة وإعداد:
خديجة سليمان

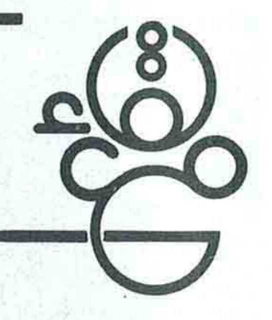
الفلسفة الجديدة

بعد مرور أربعة عشر عاماً على «حركة مايو (أيار)» في فرنسا، ومع مطلع العام الخامس عشر تكلم أول من أطلق مصطلح «الفلسفة الجديدة» والناشر الذي تحمس لإصدار مؤلفات «الفلاسفة الجدد» برنار - هنري ليفي مؤلف كتاب «الهمجية بوجه إنساني».

و «برنار - هنري ليفي» خريج مدرسة المعلمين العليا، وحاصل على «الأجريجاسيون» في الفلسفة (أرفع من دكتوراه الدولة)، وإلى جانب ذلك صحفي، وناشر، وكاتب، وصاحب معارك فكرية تسبق كتاباته وأحاديثه وأماكن وجوده.. لهذا كله تتشعب القضايا المثارة حوله وتتعدد الأسئلة الموجهة له.

موت الفلسفة الجديدة

●● نبدأ بكتابك الأول «الهمجية بوجه إنساني».. كم نسخة



●● ماتت الفلسفة الجديدة لأن الفلاسفة الجُدد لم ينشئوا مدرسة ، ولم يكونوا جماعة ، ولم يحددوا اتجاهاً ●●

بيعت في عام واحد ، وكيف استقبلها النقّاد والقراء ؟

● ثمانون ألف نسخة بيعت في العام الأول من الطبعة الفرنسية وحدها ، ولا أدري كم نسخة بيعت من اللغات العشر التي ترجم إليها الكتاب . . ولقد دارت معركة فكرية حول هذا الكتاب في إيطاليا أثرى وأقوى من تلك التي دارت في فرنسا . . فالكتاب يثير قضية « الفلسفة الجديدة » التي أفرزتها « **حركة مايو (أيار)** » . . في هذا الكتاب أعلنت موت الفلسفة الجديدة كما سبق أن أعلنت ميلادها .

●● إعلانك لموت الفلسفة ، هل هو مجرد صرخة تمزق بها الصمت الذي ران سنوات طويلة أم انك تحمل مع ذلك الإعلان حيثيات الحكم ؟!

● نحن نعلم أن الفلسفة الجديدة ولدت من خلال المقالات الصحفية التي ظهرت بعد ذلك في كتب أو كتيبات صغيرة في محاولة لتأصيل الظاهرة . . وقد أثارت هذه المقالات وتلك الكتب بعض المعارك الجانبية يميناً ويساراً ، بعد أن اتفق الجميع ـ **أقصد الفلاسفة الجدد** ـ على نظرية واحدة رغم اختلافاتهم الجوهرية فيما عدا هذه النظرية ، نظرية فشل الفلسفة المادية فيما نادت به عند التطبيق ، فقد تجلت خرافة « **الدولة العمّالية** » في الاتحاد السوفييتي كما في كمبوديا ـ وإن كان « **سولجنتشين** » قد باع فكره لجهات أجنبية ـ ، أما الفلاسفة الجدد فقد ظهروا بشكل عام كأشباح تتحرك في الفراغ ، وتنقل معركة حقوق الإنسان في الشرق إلى الغرب بعد كل هذا الزمان . . ولم يكتف الفلاسفة الجدد بدحض كثير من النظريات بل رفضوا وأنكروا أغلب الفلاسفة القدامى والمحدثين أيضاً فيما عدا **نيتشه** . . ولكن الفلاسفة الجدد ـ وأنا أحدهم ـ **لم ينشئوا مدرسة ولم يكونوا جماعة ولم يحددوا اتجاهاً في المقابل** . . وهذا ما جعل القرّاء ينفضُون عنا بعد إقبال شديد بل ومبالغ فيه ، لأن القرّاء يريدون الجديد باستمرار ، ويتوقعون الفائدة دائماً ، فإذا لم يحصلوا على ما يرغبون فيه ، أو ما ينتظرون ينقلب التفافهم إلى نفور وحماسهم إلى عداء . . وهذا ما حدث بالضبط ، **وهو ما دعاني بل ودفعني إلى إعلان موت الفلسفة الجديدة قبل أن يرجمها الناس بالحجارة وبكل شيء .**

●● ألهذا تركت الكتابة والنشر وقت برحلات عديدة ؟

● قمت برحلات فكرية لأن صحافتنا وصحافة العالم ـ للأسف ـ تصوّر وتتصوّر أن عالم الفكر ينتهي عند أبواب باريس . . في العالم حركات فكرية وسياسية وأيديولوجية قوية وطاحنة ، وبصفة خاصة في **إيطاليا ، وإسبانيا ، والولايات المتحدة الأمريكية ، والمكسيك أيضاً** . . لكنهم جميعاً بدلا من أن يقولوا مثلنا « **الفلسفة الجديدة** » يقولون « **الفلسفة من جديد** » بعد أن خفت نورها وخبا توهجها في ظل العصر العلمي الذي نعيشه .

الوسائل الإعلامية

●● ألم تجعل هذه الحركات الفكرية هنا وهناك من « الفلسفة كلمة شعبية بعد أن كانت درة مكنونة في أبراجها العالية » ؟

● لا شك أن وسائل الإعلام الحديثة والمتطورة تلعب دوراً أساسياً في النشر بدءً من الإعلانات التجارية المختلفة حتى الفلسفة ، لا فضل لنا في هذا أو ذاك ، بل أكثر من ذلك ـ **وهو الأخطر** ـ أن هذه الوسائل الإعلامية ساعدت إنسان العصر على معرفة كل شيء دون أن يتعمق في أي شيء .

شخصيات في شخص

●● كناشر وكصحفي وكأستاذ فلسفة ، ما المتغيرات التي صادفتك ، وتلك التي استحدثتها بنفسك ؟

● **كناشر** أحاول أن أكون شريفاً قدر المستطاع ، فقد تحول النشر إلى تجارة واستغلال للظروف دون مراعاة للقيم ولا اهتمام بالفكر . .



لم يعد عالم الفكر ينتهي عند أبواب باريس

وكصحفي قررت أن أتعرض بالنقد للكتب والقضايا الهامة التي تطرح فكراً وتثير جدلا ، وعدم الالتفات نهائياً لكل ما هو دون المستوى .. وكأستاذ للفلسفة أرى أن طريقة التدريس ومناهج الدراسة وصلت إلى حد مؤسف من الخطأ والفوضى ، ولذلك هجرت قاعات الدرس ، ولم أعد أستاذاً للفلسفة .

الدعوة إلى الإيمان

●● أطلقت في نهاية كتابك هذه الصيحة أيضا : « العالم كان سيصبح أفضل لو احتفظنا جميعا بتقوانا وورعنا » .

● لقد جربنا كل الوسائل ، وكافة الطرق ، وحققنا مزيداً من التقدم ، وفتحنا آفاقاً رحبة ، واخترقنا حواجز الفضاء ، واكتشفنا كنوز الأرض والبحار ، ومع هذا لم يصبح عالمنا أفضل مما كان في البدء حتى العصور الوسطى .. **ثمة شيء ناقص في عالمنا أو بمعنى أدق مفتقد ، كان موجوداً بداخلنا ثم ضاع منا ، وأعتقد يقيناً أنه الإيمان أو التقوى والورع .. ومع هذا فلنجرب ولن نخسر شيئاً .**

مايو .. وآثاره

●● نعود إلى


★ أراجون ★


★ نيتشه ★

«مايو (أيار)» ما آثاره داخل فرنسا وخارجها ؟

● حقاً ، لقد امتدت آثار مايو (أيار) ــ الإيجابية وحدها ــ خارج حدود فرنسا ، وكما ذكرت من قبل ، في إيطاليا وإسبانيا وألمانيا والولايات المتحدة الأميركية والمكسيك بصفة خاصة .. أما الآثار السلبية فبقيت في فرنسا وحدها .

أما الآثار الإيجابية فتنحصر في : **أن اليوتوبيا لا مكان لها في عالمنا الواقعي المعاصر** ، وأن اليسار في حاجة إلى مراجعة أفكاره وبرامجه وخططه ، وأن السلطات لكي تستمر لا بد أن تستمد قوتها من الشعوب ، **وأن العودة إلى الإيمان والتسلح به ولكن بغير تعصب أو بهدف السلطة ، ضرورة ولو على سبيل التجربة ، ذلك لأن عدم الإيمان ترك فراغاً أصبحنا نحس به ، وإن كنا لا ندركه تماماً ، أو لا ندرك كنهه بالضبط .**

وأما الآثار السلبية فقد تمثلت في **« ضياع كثير من القيم الأخلاقية التي ظهرت في حركات الشباب مثل الهيبيز والسكيبيز ، تفكك الأسرة بدعوى الاستقلالية والاعتماد على النفس والانفلات من قيود الحياة الزوجية والالتزامات نحو الأبناء ، الانصراف عن التعليم الجامعي والاكتفاء بالتعليم المتوسط على كافة المستويات لتحقيق الكسب المادي السريع بعد أن فقد الشباب ثقته في دور الجامعة كمعلم ومثقف ومربي ومعد لمواجهة قسوة الحياة العملية ومتطلباتها ، والامتناع عن المشاركة في الحياة العامة حتى بالاشتراك في الانتخابات ، بعد أن تفشى يأس الناس من حل المشاكل والوصول إلى مجتمع أفضل ، على الرغم من أن فرنسا تعد أحسن حالا من كثير من المجتمعات الأوروبية المتحضرة » .**

الهمجية الحديثة

●● وماذا بعد « الهمجية بوجه إنساني » ؟

● « الهمجية الحديثة وتاريخ القرن العشرين » هذا هو كتابي الجديد الذي أتناوله مركزاً على الأخلاق كسلوك وليس كعلم ، مستفيداً من « أراجون » مفكراً وليس شاعراً .. هذا من ناحية التأليف ، أما فيما يتعلق بالنشر فإنني أقوم حالياً بتصفية كل ما يتعلق بالفلسفة الجديدة والفلاسفة الجدد بما في ذلك مؤلفاتي ، والتفرغ لمساعدة أصدقائي الفلاسفة وغير الفلاسفة في نشر كتب جميلة تشهد على عصرنا الحاضر !

وأنت تقرأ:



★ د. طه حسين ★

بقلم: د. علي جواد الطاهر

١ ـ ذكرى طه حسين

●● **سهير القلماوي ـ ذكرى طه حسين، القاهرة، دار المعارف (اقرأ ٣٨٨) أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٤ م، (١٦٠ صفحة).**

قالت الأستاذة الدكتورة في «المقدمة»: «وأستعير عنوان هذا الكتاب منك «ذكرى أبي العلاء» فكم أخذت عنك في حياتك، وكم سأظل آخذ عنك ما حييت، فما أنا إلا كتاب من كتبك...».

وهي كلمة حق بقدر ما هي كلمة وفاء، بقدر ما هي كلمة واجب... وكتاب «ذكرى طه حسين» ممتع ومفيد... وهذا أقل ما يقال في كتاب تؤلفه الأستاذة عن أستاذها، وأقل ما يقال على لسان محبي طه حسين ومقدري فضله ومتابعي أخباره وأفكاره وآثاره، وطالبي المزيد من كل.

أجل: المزيد...، وهنا بيت القصيد، فقد قالت الأستاذة الدكتورة سهير القلماوي في مقدمتها: «إن هذا الكتاب الصغير مقدمة لكتاب أكبر أرجو أن أتمه يوماً على نحو يشعرني برضائك عنه، فلقد بدأت أقرأ آثارك كلها برؤية جديدة، وفي حضور جديد يختلف في جوانب شتى عنه أيام كنت أقرأ وأقدر أن سأحدثك عما قرأت لتناقشني فيه وتعمق فهمي له. وفي أثناء قراءاتي وقفت بكتابك «**أحلام شهرزاد**» واستعدت المقدمة التي تعبِّر فيها عن إيمانك بحق الشعب في الثقافة الرفيعة...».

صدر الكتاب بمناسبة مرور عام واحد على وفاة الدكتور طه حسين (٢٨ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٧٣ ـ ٢٨ أكتوبر (تشرين الأول ١٩٧٤ م). وفي ٢٨ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٣ م، مرت عشرة أعوام على وفاة الأديب الكبير وما «برّت» الأستاذة الأديبة بوعدها، وهي القادرة المتمكنة، وقد تركت القرّاء يتطلعون تطلعاً مشروعاً... أتراها تصدر الكتاب المنتظر في ٢٨ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٤ م، لمناسبة مرور عشرة أعوام على كتابها الذي اعتبرته «مجرد مقدمة»، وقطعت مشروعها الكبير واتجهت به نحو مشروع عاجل واجب ـ كما قالت عندما قاربت الانتهاء من المقدمة ـ وكان حقاً مشروعاً واجباً، ويرى القرّاء أن الآجل كذلك مشروع واجب. وهم بالانتظار مع الاحترام والتقدير.

يأملون... والأمل في تضاؤل!.



★ أحمد حسن الزيات ★

٢ ـ أحمد حسن الزيات ومجلة الرسالة

الزيات غني عن التعريف، والرسالة كذلك، والاسمان متلازمان، والزيات أديب قبل «المجلة» وبعدها، ولكن «المجلة» هي طريقه إلى العالم العربي وطريق شيوع اسمه وذيوع أدبه. إنه كبير بقلمه والمجلة كبيرة به كما هو كبير بها.

ولد الزيات سنة ١٣٠٢ هـ/ ١٨٨٥ م، وتوفي سنة ١٣٨٨ هـ/ ١٩٦٨ م، وبين التاريخين درس ودرّس، وعلم وتعلم وترجم وألَّف...

ويبقى المعْلَم الكبير في شأنه: مجلة الرسالة، وقد صدر عددها الأول في ١٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٣٣ م، وأمرها معروف وفضلها مشهور ولو وصفتها بالمدرسة لما تعديت الحدود، وزاد طلبتها على طلبة الجامعة وفي كل قطر من الأقطار العربية... فهي مجلة العرب كلهم...

وليس في الأمر سر، وما بالحال حاجة إلى بيان... وليس مكان «العراق» من نشأتها بخاف، وما بالمكانة من حاجة إلى دليل... في عام ١٩٢٩ م، انتدب للتدريس في العراق، وفي عام ١٩٣٢ م، عاد من العراق وفكرة إصدار (الرسالة) تأخذ عليه أقطار وجوده... وقد أصدرها فعلاً...

وأقل ما يعني هذا لدى منهج البحث... أنك لا يمكن أن تؤلف كتاباً عنوانه «أحمد حسن الزيات ومجلة الرسالة» ويقع كتابك في فصلين، الأول: حياته؛ والثاني: الزيات ومجلة الرسالة... وتهمل السنوات الخصبة التي قضاها في العراق وأنت تسرد سيرة حياته بين الميلاد والوفاة. أجل، غير معقول! وغير صحيح! لا لأنك عراقي ـ عندما تكون عراقياً ـ ولكن لأن «المنهج» يشترط ذلك عندما تكون منهجياً...

المسألة من البداهة بمكان، ومن الوضوح على درجة...

ولكن الذي حدث جعل البديهي غير

بديهي ، والواضح غير واضح لأن الكتاب الذي صدر بتأليف **الدكتور علي محمد الفقي ، بعنوان « أحمد حسن الزيات ومجلة الرسالة ، القاهرة ، دار المعارف (اقرأ ٣٦٧) سبتمبر (أيلول) ١٩٨١ م ، (١٩٨ صفحة) »** . هذا الكتاب خال من « فقرة » خاصة لحياة « الزيات » صاحب « الرسالة » في العراق ! .

فكيف جرى ذلك ؟! من المسؤول ؟ المؤلف ؟ رئيس التحرير ؟ . . ونسيت أن أذكر أن « رئيس التحرير : أنيس منصور » ، وكان الواجب أن يذكر لأنه يتصدر الصفحة الأولى من الكتاب : **رئيس التحرير أنيس منصور** .

لنقرر أن المؤلف الفاضل بذل جهداً ملحوظاً وأبدى نحو الزيات حباً جماً ، وسار في هدوء ورصانة . وقال . . .

وقال (ص ٧٢) : « وقد حاولت أن أجمع ما كتبه الزيات عن العراق في تلك الفترة ، وعما نشره من ذكريات عنها ، وعقدت لذلك فصلاً مستقلاً أفضت الحديث فيه فليرجع إليه » .

الكلام واضح ، والقارئ يطمئن إلى أنه سيصل إلى « الفصل المستقل » لأن المؤلف قرر له ذلك ، ولأنه لا يمكن أن يؤلف كتاب عن « الزيات » و « الرسالة » ولا يكون فيه للعراق فصل مستقل .

وينهي الفصل الأول من الكتاب عن حياة الزيات . . ويبدأ الفصل الثاني عن الرسالة .

ويكاد القارئ ينسى الوعد الذي قطعه له المؤلف حتى إذا وصل ص ص ١٤٧ ــ ١٤٨ قرأ في المتن : « . . . وفي العدد ــ الثاني ــ ينشر الزيات قصة عراقية عنوانها « صديق الكلاب » . . . » ، وفي الهامش : « سبق الحديث عنها في الفصل الخاص بالعراق » . . . أجل ، نسي القارئ أو كاد ، فجاءت الحاشية لتبعثه على البحث عن « الفصل الخاص بالعراق » من الكتاب . ويبحث جاداً لأن المؤلف جاد ولكن على غير ثمرة ولم يقع « للفصل » المذكور الواجب الوجود وجوداً ! .

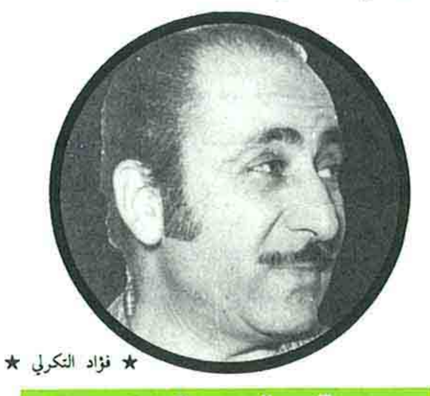
ــ لماذا ؟

ــ لا بد من أن يكون « الفصل » قد استل كما هو ، كاملاً غير منقوص من الكتاب ــ أي من أصل الكتاب المخطوط ــ فصار المطبوع فصلين بعد أن كان ثلاثة فصول .

ــ لماذا ؟ إذا كان الاختصار فما هكذا يكون الاختصار لو كانت المسألة مسألة تقليص الحجم .

ــ لماذا ؟ إذاً . هل يجيبنا المؤلف **الدكتور علي محمد الفقي ؟** أو رئيس التحرير أنيس منصور ؟ أو كلاهما ؟ .

وبعد ، فالمسألة مسألة منهج ومنطق ، وإلا فقد أُلِّف ــ ويؤلف ــ عن أحمد حسن الزيات ومجلة الرسالة أكثر من كتاب ونشر ــ وينشر ــ أكثر من مقال أو بحث .



★ فؤاد التكرلي ★

٣ ــ الرجع البعيد

فؤاد التكرلي ــ الرجع البعيد (رواية) ، بيروت ، دار ابن رشد للطباعة والنشر ، ١٩٨٠ م ، (٣٧٥ صفحة) .

ولدت الرواية العراقية عام ١٩٢١ م ، باسم « **في سبيل الزواج** » ، وكانت ساذجة في نمط حكاية طويلة أقرب إلى الافتعال والتفكك والبدائية . وكان صاحبها « **محمود آل المدرس** » الذي اشتهر ــ فيما بعد ــ باسم **محمود أحمد السيد ، وهو رائد القصة الحديثة في العراق** ، وثابر ، وخطا خطوة تاريخية أخرى عام ١٩٢٨ م ، عندما أصدر « **جلال خالد** » . . .

ولكن الغلبة تبق للقصة القصيرة ، وهي التي شرعت تسم الفن القصصي في العراق ، على حين تصدر « الرواية » على استحياء ، ويبرز في تاريخها « **الدكتور إبراهيم** » لذنون أيوب ، و « مجنونان » **لعبد الحق فاضل** . . .

وتصدر هنا وهناك « روايات » ليست بذات قيمة أو مكانة أو صدى . . . حتى إذا حلّت ستينات القرن نالت حظاً يذكر من الازدهار كمّاً وكيفاً . . . وإن لم يخرج جملة ما كتب منها عن حدود « الرواية القصيرة » . وسجّل **غائب طعمة فرمان** خطوة محمودة إلى جوار ما أصدره الشبان الذين يصغرونه سناً ، ويقلون عنه تجربة ، وكانت « **النخلة والجيران** » طليعة لسلسلة من « الروايات » المحمودة ذات الصدى الحميد . . .

ونبق ننتظر الرواية الرواية . . . عمقاً وتشابكاً وسعة . . . وعلى أية يد ستتحقق ؟ أتكون يد **الأستاذ فؤاد التكرلي** ؟ قد ، وربما . . . إننا نسمع أنه يعمل على تأليف رواية ، وأنه سار غير قليل ، وأنه انتهى .

والأستاذ التكرلي يحتل من القصة العراقية مكانة مرموقة ، واحتلت مجموعته « الوجه الآخر » منزلة عالية . وإذا كانت الرواية غير القصة القصيرة فإن المعروف من صبر التكرلي وثقافته وتجربته ومتابعاته الجادة للرواية العالمية بالإنكليزية والفرنسية ــ فضلاً عن العربية وما ترجم إليها ــ كل أولئك يزيد من الثقة به ويهيئ للرواية المنتظرة . . .

وهكذا كان . . . وكانت « الرجع البعيد » ذات مستوى عال وأصالة واضحة وأهلية لأن تكون في مصاف المبدع من الرواية العربية والمرشح لعالم أوسع ومدى أبعد : لغة وحبكة وفكرة ، ونفساً ومجتمعاً . . . وإطلالة الإنسان حيث كان ــ ويكون ــ خلال الإنسان العراقي .

إنها تنقل حالياً إلى الفرنسية .

وتبق مشكلة تذكر لدى الترجمة ، ولدى اقتراب غير العراقي منها ، وهي مشكلة « العامية » في الحوار . والتكرلي متشبث بالعامية في الحوار من منطلق فني ، منطلق الشحنات التي يحملها التعبير بالعامية وفقدان هذه الشحنات عندما ترد بالفصيحة على لسان شعبي ، معرق بالعامية ، مغرق بالشعبية .

الخلاصة : بالرجع البعيد ولدت الرواية الرواية في العراق ، وهي من الفن بحيث تزيد



من صعوبة الطريق على من يسعى إلى أن يأتي بأحسن منها ، بمن في ذلك المؤلف نفسه ـ فيما أرى ـ ولكن لا بد من المنافسة ، والتقدم ، والتنوع ، والمعقول أن يأتي ذلك .



★ طه باقر ★

٤ ـ أستاذي طه باقر

عام ١٩٤١ ـ ١٩٤٢ م ، كنا في السنة الأولى من قسم اللغة العربية بدار المعلمين العالية ببغداد ، ومن المقرر علينا : تاريخ العراق القديم . ولم يكن في « الدار » أستاذ للمادة ، فانتدبت لها محاضرين من مديرية الآثار العامة هما : **الأستاذ طه باقر والأستاذ فؤاد سفر** . . . وشرعا يتناوبان على الدرس ويتعاونان ونحن سعداء بهما لغزارة علمهما ودماثة خلقهما ولعظمة تواضعهما و « لغرابة » تكاملهما وتماثلهما ؛ فإذا قلت إن الأستاذ طه خير من الأستاذ فؤاد ، رأيت الأستاذ فؤاد لا يقل عن الأستاذ طه ، وإذا قلت العكس ، واجهت في الثانية ما واجهك في الأولى .

إنهما عائدان حديثاً من أمريكا حيث حصلا على الماجستير من جامعة قد تكون واحدة ، هي **جامعة شيكاغو** ، وقد غرفا من العلم ما صارا به عالمين ، وسبرا من شؤون التنقيب ما صارا به حجتين ، وأخذا من اللغات القديمة والحديثة ما يمكنهما باقتدار على القراءة وفك الطلاسم ، والكتابة حيث تجب الكتابة . . . وربما قيل إن الأستاذ فؤاد أوصلُ بالتنقيب والحفر من الأستاذ طه ، وقيل إن الأستاذ طه أدخل بالقراءة والكتابة من الأستاذ فؤاد . قيل ويقال ، ولكن آثارهما تلتقي في المجموع وتتكامل في الخلاصة .

لم يكن غريباً جداً تخصصهما بالتاريخ القديم ، فالأستاذ طه من « **الحلة** » حيث بابل ، والأستاذ فؤاد من « **الموصل** » حيث نينوى . . . وسمعت في أكثر من مناسبة أن الأستاذ طه كان ـ وهو شاب ـ يكثر من زيارة **بابل** ليكون قُريباً من البعثات الأجنبية التي تزاول الحفر والتنقيب فيها فيجد في ذلك متعة تستحيل هواية ، وتستحيل الهواية تخصصاً وتبحراً .

وأنت تقرأ

انتهى العام ولنا نحو الأستاذين من مشاعر الحب والإكبار الكثير الكثير . . . مما يبقى في النفس معطراً بالفخر . وتقدمنا في سنوات الدراسة ، وتخرجنا ، وزاولنا التعليم أو أكملنا الدراسة في الخارج لدرجة أعلى . . . وهما في نفوسنا هما هما .

وطوّر الأستاذ طه « محاضراته » فغدت كتاباً قيّماً جداً ، صدر ببغداد في جزءين باسم : « **مقدمة في تاريخ الحضارات** » ثم أعيد طبعه بها ، وأعيد الأول منها ، وهو ينتظر طبعة جديدة تنتشر في عالم أوسع من الحدود المحلية . الكتاب قيّم جداً ، ولا نقاش في ذلك ، ناهيك عن بحوث أخرى وكتب بين مؤلف أو مترجم ؛ وما حرر بالعربية أو بالإنكليزية ؛ وما نشر في **مجلة « سومر »** أو غيرها ؛ وألقى في مؤتمر عالمي أو غير عالمي ؛ وقدم إلى لجنة في المجمع العلمي العراقي أو غير المجمع العلمي العراقي .

وخرج الأستاذ طه باقر إلى العالم الأوسع من القراء بترجمته **لملحمة كلكامش** ، فكانت فتحاً جديداً ، وقد استوعبت حروفها من مضامينها الإنسانية ما حفظ لها طراوة يمكن أن ترجع إلى أربعة آلاف سنة قبل الميلاد . وطبعت ثانية وثالثة ، وجرى استعداد لطبعة رابعة . . . وستطبع حتماً مراراً وتكراراً . وإذا كتب لك أن تقع على ترجمة أخرى للملحمة الخالدة ـ وهو الممكن الواقع ـ فإنك لن تقع على الحياة النابضة في ترجمة الأستاذ طه .

أجل . . . ولكن . . . وها هي ذي جريدة تصدر هذا الصباح (٢٩ شباط (فبراير) ١٩٨٤ م / ٢٧ جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ) ، تقول : « العالم العراقي طه باقر في ذمة الخلود » ، وتقول : « توفي أمس ، بعد مرض عضال ، المؤرخ والباحث الآثاري الكبير الأستاذ طه باقر . . . » ، وتقول : « طه باقر ولد في مدينة الحلة سنة ١٩١٢ م . . . وكان هو وزميله الراحل فؤاد سفر أول اثنين من أبناء العراق تخصصا في الآثار ، ومن ثم عمل في مديرية الآثار العامة نحو ربع قرن ملاحظاً فنياً ، فأميناً **للمتحف العراقي** ، ثم مديراً عاماً للآثار . . ودرّس الآثار في **جامعة بغداد** . . وتخرّج على يديه عدد كبير من الآثاريين العراقيين الذين برزوا في هذا الميدان العلمي . . » .

وتمضي مع خبر « الجريدة » في القراءة ، فتسترجع الذاكرة تاريخاً يبدأ عطراً ببداية العام الدراسي سنة ١٩٤١ م . . . وتتمنى في الختام لو وجدت آثار الفقيد طريقها إلى العالم العربي كله ، ولو قرأ العالم العربي كله ترجمته لملحمة كلكامش .

إن وصف الفقيد بالعالم العراقي يضيّق من مدى الحقيقة ، فهو عربي ، وهو عالمي . . . **أما يكفي أن تستشهد ببحوثه السوربون** . . . وتروي آراءه جامعة شيكاغو نفسها ؟! .





أسس مخاطبة الأطفال إذاعياً

بقلم: د. زيدان عبد الباقي

لما كانت الذات الاجتماعية للإنسان عبارة عن مجموعة من الاتجاهات Attitudes فإننا إذا عرفنا كيف نغرس مجموعة متكاملة من الاتجاهات البنّاءة في نفوس الأطفال الصغار عن طريق أجهزة الإعلام، وبمساعدة الأجهزة التربوية الأخرى، نكون ـ إذا فعلنا ذلك ـ قد ساهمنا في بناء أفراد الجيل الجديد على أرقى ما تكون الأسس العلمية الاجتماعية والنفسية.

هذا ويعرف الاتجاه بأنه «حالة من الاستعداد أو التأهب العصبي والنفسي، تنتظم من خلاله خبرة الإنسان، وتكون ذات تأثير توجيهي أو دينامي على استجابة الفرد لجميع الموضوعات والمواقف التي تستثيرها هذه الاستجابة[1]»، وبعبارة أخرى فإن الاتجاه هو الحالة الوجدانية القائمة وراء رأي الشخص، أو اعتقاده، فيما يتعلق بموضوع معين، من حيث رفضه لهذا الموضوع أو قبوله، ودرجة هذا الرفض أو القبول.

وعلى ذلك فإن كل شخص منا يحمل نوعين من الاتجاهات: اتجاهات خاصة أو شخصية. وهذه هي مجموعة اتجاهاته نحو أحداث حياته الخاصة، وظروفها من حيث هي خاصة به... واتجاهات عامة أو اجتماعية وهذه هي مجموعة اتجاهاته نحو الأحداث والموضوعات العامة في الحياة الاجتماعية. وكل مجموعة من هاتين المجموعتين قد تقوم على القبول أو على الرفض.

وعلى ذلك فإن الاتجاه يكاد يكون خطاً مستقيماً ممتداً بين نقطتين،

أحسن مخاطبة الأطفال إذاعياً

إحداهما تمثل أقصى القبول للموضوع الذي يتعلق به الاتجاه ، والأخرى تمثل أقصى الرفض لهذا الموضوع . والمسافة التي تقع بينهما تنقسم إلى نصفين عند **نقطة الحياد التام** . ويتدرج أحد النصفين شيئاً فشيئاً نحو ازدياد القبول كلما ابتعدنا عن نقطة الحياد . ويتدرج النصف الآخر نحو ازدياد الرفض . **والشكل التالي يوضح ذلك .**



شكل رقم (١)

يبين درجة القبول ودرجة الرفض

دور المجتمع والأسرة

ولما كان الطفل ـ لا سيما بعد أن يتعلم مبادئ اللغة ويبدأ في إدراك معانيها ـ يحاول تغيير سلوكه بما يتفق مع قواعد وضرورات ومتطلبات المجال الاجتماعي الذي يعيش فيه . وتلك هي الجذور الأولى لعملية التفكير لدى الطفل ، ذلك أن **اللغة سلوك لفظي يرتبط بمواقف واقعية يواجهها الطفل في حياته اليومية ، ويسلك نحوها سلوكاً معيناً** . ومن ثم فإنه يمكن للإعلاميين باستخدام اللغة نقل ما تحمله الألفاظ من معاني ، من موقف إلى آخر ، بمعنى أنه يمكن ـ في الغالب ـ تعميمها ، وبالتالي تعميم سلوك الطفل نحو مختلف المواقف المشابهة .

وترتيباً على ذلك فإن الأم وبقية أفراد الأسرة ومعهم مختلف أجهزة الإعلام والتربية الاجتماعية ، إذا اشتركوا جميعاً في عزف سيمفونية تربوية متكاملة تتكون من القيم الاجتماعية والمبادئ والمعايير والعادات والأعراف والتقاليد الإيجابية ، وقالوا للطفل إن ذلك هو الذي يقبل منه ، ورفضوا جميعاً القيم الاجتماعية والمبادئ والمعايير والعادات والأعراف والتقاليد السلبية ، فإن كلمة « **إيجابي** » تصبح بمثابة إشارة أو رمز للشيء المقبول ، وكذلك تصبح كلمة « **سلبي** » إشارة أو رمز للشيء غير المقبول . وبالتالي يستطيع الطفل تعميم ذلك على المواقف الأخرى غير تلك التي ارتبطت بها أصلاً ، كما تنتقل معانيها أو « تُعمم » إلى المواقف الجديدة . وبذلك يسلك الطفل حيالها محتذياً نفس اتجاه المجتمع .

ومن هنا يصبح المجتمع ممثلاً في الأسرة ومختلف الأجهزة الإعلامية والتربوية جزءً من الموقف الاجتماعي الكلي الذي يحيط بالطفل . وبالتالي يمكن على هذا الأساس أن يتعدل سلوك الطفل باسترجاع الكلمة (موافقة أو نهياً) التي ارتبطت بهذا الموقف أو الآخر ، والتي ترمز إلى المعاني الجديدة أو بالأحرى التوقعات الجديدة له . والصورة هنا هو أنه بعد أن كان الطفل مثلاً يوجه الشتائم إلى الكبار ، ويطربون له لصغر سنه . . .

تتحول الصورة بعد أن يدرك الطفل معاني الكلمات إلى ضرورة امتناعه عن التفوه بمثل تلك الألفاظ البذيئة ، حتى لا يغضب المجتمع ممثلاً في الأسرة ، أو خوفاً من عقابها . وبذلك تصبح الكلمة الناهية المستخدمة في هذا الموقف قادرة على استظهار هذه الخبرة لديه . ومن هنا يمكن القول إن **الكلمة رمز أو تجريد يشير إلى الموقف الكلي وعلاقته بالأشياء والأشخاص فيه ، ويتضمن توقعاته الجديدة من سلوكه في الموقف .**

الخبرة اللغوية

وتصبح تلك أول خبرة إعلامية لغوية تنقل إلى الطفل . وعلى ذلك فإن اكتساب الكلمة ـ سواء من الأسرة أو من أجهزة الإعلام ـ واسترجاعها يقوم مقام المجتمع في توجيه أو ضبط سلوك الطفل أثناء غياب ممثلي هذا المجتمع . **ومن هنا فإن اكتساب الطفل للكلمة الإيجابية والسلبية يجعله يسلك سلوكاً يتمشى مع اتجاهات المجتمع** ، ولا سيما الاتجاهات الإيجابية التي تنال تحبيذ المجال الاجتماعي الذي يعيش فيه . وهذا يساعد على تنمية قدرات الطفل على اكتساب الاستعداد على **الضبط الذاتي** Self-Control لا سيما عندما تزيد

حصيلته اللغوية بزيادة خبراته في مختلف مواقف الحياة الاجتماعية ، فيتقدم في هذا الاتجاه . ومن ثم تتكون ذات الطفل على تلك الأسس اللغوية ، وتبدو ذاته واضحة في محاولاته المستمرة للقيام بأدوار الآخرين والتعبير عن اتجاهاتهم السلوكية ، حيث يتبنى هذه الاتجاهات ، ويستخدم ألفاظ هؤلاء الآخرين .

ومعنى ذلك أنه بمقدور الكبار ــ أفراد الأسرة وأخصائيو الإعلام ــ أثناء استخدامهم السلوك اللفظي (اللغوي) أن ينقلوا إلى الطفل معاني مختلف المواقف الاجتماعية التي يواجهها في حياته ، وتلك عملية إعلامية اجتماعية تربوية بالدرجة الأولى . ومن ثم تصبح اللغة ذات أهمية كبرى ، وأثر بالغ في توجيه الطفل ، وفي عملية تطبيعه اجتماعياً . ذلك أن الكبار بما فيهم المتخصصين في الإعلام يستطيعون باستخدام ألفاظ ذات دلالات أو معاني خاصة مستمدة من خبرات سابقة أن يوجدوا لدى الطفل اتجاهات سلوكية خاصة بالنسبة للمواقف التي ليست له بها خبرة عملية سابقة من قبل . ومن هنا فإن استخدام لغة ذات معاني سيئة أو حسنة عند الكلام عن أفراد معينين أو مذاهب أو أيديولوجيات معينة ، قد تكوّن لدى الطفل اتجاهات سلبية أو إيجابية نحو أولئك الأفراد أو تلك المذاهب أو ما إلى ذلك من مواقف وأفراد وأشياء تتعرض لنفس الظروف .

ومما تجدر الإشارة إليه أن **الطفل ينسى في الغالب الظروف التي اكتسب منها تلك الاتجاهات بالرغم من أن سلوكه يبق متأثراً بها ومعبِّراً عنها** . وبالتالي فإن هذه الاتجاهات قد تكون ذات دوافع شعورية أو لا شعورية لديهم عندما يتقدم بهم السن .

وتلك هي الطريقة التي يكتسب بها الطفل الاتجاهات والقيم والمبادئ والمعايير والعادات والأعراف والتقاليد الاجتماعية ، بنوعيها الإيجابي والسلبي ، بمعنى أنه يتبنى كثيراً من الأشياء التي يتبناها الكبار من حوله ، ثم ينسى أنها اتجاهاتهم أو قيمهم الاجتماعية . . . وتترسب في ذاته وتصبح اتجاهاته وقيمه الاجتماعية هو بالدرجة الأولى . **والملاحظ بالنسبة لعدد ٩٩٪ مما تعرضه أجهزة الإعلام لأطفالنا الصغار ، أنه يتصل بأحوال مجتمع غير أحوال المجتمع الذي نعيش فيه** ، حيث يقوم على ما يتصل بالسلطان وبالشاهبندر . . . أو بمختلف الأشياء غير المستخدمة مثل « صرة المال » . . . وما إلى ذلك من المسميات والأشياء التي لا يلمسها الصغار في المجتمع بالمرة . وبالتالي فإنها تستقر في أذهان الأطفال من جهة كموضوع يتصل بمجتمع من الأشباح يرتدي فيه الناس حللاً سميكة غليظة فضفاضة . . . وعمماً كبيرة ذات ألوان متنافرة لم يستخدمها أحد في يوم من الأيام . . . وتتدلى من ذقونهم لحى غير مألوفة . . . ومن جهة أخرى فإنهم ــ بذلك ــ يحرموا من معرفة أحوال المجتمع الذي يعيشون فيه . وبالتالي تكون هناك هوة بينهم وبين هذا المجتمع . وهذه الهوة تؤدي إلى انعزالهم اجتماعياً عن مجتمعهم ، واعتمادهم في حياتهم الفكرية على الخزعبلات المتصلة بالسلطان (ع) ، والشاهبندر (س) . . . إلخ . ونتيجة لكل هذا تتكون لدى الأطفال اتجاهات غير واقعية تنقل إليهم عن طريق تلك المواد الإعلامية المتخلفة من حيث الإعداد ، وأسلوب التقديم ، والأفكار السقيمة ، التي تنطوي عليها . ومع مرور الزمن تصبح هذه الاتجاهات ، اتجاهاتهم هم ، ويرفضون التخلي عنها إلا بجهود اجتماعية وتربوية مضنية .

التدرج في المعارف

ولما كانت مدارك الطفل محدودة ، فمن الضروري التدرج فيما نوفره للطفل ، ذلك أن القواعد التربوية تقضي بأن تكون المعارف التي تتاح للأطفال حتى نهاية **المرحلة الابتدائية** (أقل من ١٢ سنة) داخل نطاق الحي أو المدينة التي يعيشون فيها ، وربما الإمارة أو المحافظة أو المديرية بحيث لا تمتد زيارته لأبعد من هذا . فإذا نقل إلى **المرحلة الإعدادية أو المتوسطة** يمكن توسيع المعارف التي تتاح له معرفتها إلى كل ما يقع داخل الإقليم الذي يعيش فيه ، مع زيارة أهم المرافق والمؤسسات داخل هذا الإقليم . ومن الضروري أن يعرف بعد ذلك كل ما يتصل بمجتمعه أو بوطنه في **المرحلة الثانوية** (١٥ إلى أقل من ١٨ سنة) مع زيارة مختلف المؤسسات والمرافق الواقعة داخل هذا الوطن . وفي المرحلة الجامعية ينبغي أن تتاح له معرفة وزيارة الدول الأخرى للتعرف والاحتكاك بثقافة تلك المجتمعات والشكل التالي يوضح ذلك .

شكل رقم (٢)
يبين العالم المطرد الاتساع من حول الطفل



وترتيباً على ذلك يجب التدرج في العودة إلى التاريخ طبقاً لهذه القواعد بحيث لا يعرض على الأطفال أقل من ١٢ سنة موضوعات ترجع إلى آلاف السنين ، وإنما تعرض عليهم موضوعات يعيشونها وما يشابهها من التاريخ الحديث . **وهنا يبرز اقتراح قديم لنا وهو ضرورة تقسيم برامج الأطفال إلى « برامج للطفولة المبكرة » أقل من ٦ سنوات ، و « برامج للطفولة الوسطى » أي ما بين ٦ وأقل من ٩ سنوات ، و « برامج للطفولة المتأخرة » أي ما بين ٩ وأقل من ١٢ سنة .**

ونحذر كل التحذير من إحضار بعض الأطفال ، وتلقينهم بعض الأسئلة المعقدة حول الأقمار الصناعية ، والفقه الإسلامي ، والشريعة الإسلامية . . وتلقينهم أيضاً الإجابات عليها ، ثم أثناء التسجيل تلقي مقدمة البرنامج الأسئلة على هؤلاء الأطفال الذين يقومون باستظهار الإجابات كما حفظوها ودون أن يدركوا معانيها . . . ويرجع تحذيرنا إلى أن الأطفال الآخرين (في المنازل) الذين لا يعرفون إجابات الأسئلة في كل البرامج مثل زملائهم أطفال الإذاعة . وبتكرر فشلهم في معرفة مثل تلك الإجابات يتحول لديهم الشعور بالفشل إلى شعور بالإحباط الدائم ، الذي يصبح سمة شخصية تفقدهم الثقة في أنفسهم .

المواد الدرامية والإعلامية

وعليه ينبغي أن تتميز المواد الدرامية أو الإعلامية التي تقدم للأطفال بالبساطة والواقعية ، فبدلا من أن تتناول السلطان تتناول استقبال جلالة الملك للعلماء والمشايخ كعادة جلالته كل يوم اثنين ، أو زيارة جلالته لسد الدرعية لمشاهدة مياه الأمطار . . . إلخ ، وبدلا من أن تتناول **الشاهبندر** تتناول **وزير التجارة** ونتابع نشاطاته خلف التجار الذين يرفعون أسعار السلع والحاجيات ، فقد سمعت بائعاً للعب الأطفال يتحدث مع تاجر آخر في التليفون ليعرض عليه شراء بعض اللعب من عنده ويغريه بقوله : « عندي بضاعة مكسبها ٣٠٠ ٪ » ، وإذا لم يكن معالي الوزير يعلم ذلك فعلى برامج الأطفال أن تعرض احتياجات الأطفال من خلال برامجها ، وبذلك يهتم الأطفال ببرامج الأطفال .

ومن الضروري ألا ننسى أن **اللغة** هي الوسيلة التي تساعد الطفل على تكوين الذات Self على اعتبار أن اللغة هي الأداة الأساسية التي بدونها يستحيل على الطفل اكتساب اتجاهات الغير ، ولا سيا الكبار ، وذلك بأن تنطوي « **الإشارات** » التي يستجيب لها الطفل في مختلف المواقف على أنماط من سلوك الأشخاص الآخرين مثل الوالدين أو الإخوة . ومن هنا تصبح الكلمات التي يتعلمها الطفل بمثابة رموز أو « إشارات » للسلوك تتضمن اتجاهات الآخرين من الكبار خاصة . غير أن



الطفل لا يكتسب تلك الاتجاهات بشكل منتظم إلا من خلال السلوك الواقعي أو المواقف الحقيقية ، وأحياناً **المواقف الوهمية** Phantasy ، فالطفل يحاول منذ نعومة أظفاره تقليد بعض الشخصيات التي تلفت نظره ، وذلك من خلال لعبه ، فقد يتقمص شخصية الوالد ، أو الوالدة ، أو الأخ ، أو الأخت ، أو الدادة أو مذيع التليفزيون ، أو أحد الممثلين ، أو إحدى الممثلات ، أو محصل التيار الكهربي ، أو بائع الصحف .

وكذلك يقلّد الطفل الأشخاص الآخرين الذين يندمج معهم ، ويحاول القيام بأدوارهم في لعبه الوهمي ، الذي يحاول من خلاله أن يستخدم ألفاظاً ، ويمارس حركات وإيماءات وإشارات . . . من يتقمص شخصياتهم ، وبالشكل الذي خبره منهم . وبهذا الأسلوب فإن الطفل يستدعي في سلوكه وأثناء اللعب الإشارات (**الرموز**) التي تعبّر عن اتجاهات الآخرين . وكذلك يستجيب لتلك (الإشارات) ، ومن ثم يتعدل سلوكه بشكل ييسر له التوافق في معاملاته ، وفي علاقاته مع الآخرين .

برامج الأطفال

هذا ويترتب على هذه العملية أمران يجب على معدي برامج الأطفال مراعاتها :

(١) أن يصبح الطفل واعياً بذاته ، من خلال تبنيه لاتجاهات الغير نحوه ، بمعنى أنه عن هذا الطريق يستخدم أنماط السلوك الذي يحتمل (ويتوقع) صدورها من الآخرين تجاهه . ومن تتحدد ذاته بشكل واع بتحديد علاقاتها بالغير .

(٢) إن الطفل بهذه الطريقة يكوّن **مجموعة من الاستجابات المنظمة نحو اتجاهات الغير** ، بمعنى أننا إذا جعلناه يشعر باتجاهات إيجابية من جانبنا ، فإنه مع استمرار هذا الشعور يستجيب لكل مثيراتنا نحوه إيجابياً .

وقد كشفت الملاحظة العلمية للأطفال أثناء لعبهم الكثير من المواقف

التي تعبرّ عن هذه العمليات ، فالطفل قد يتخيل شيئاً ما على شكل طفل آخر « **عروس** » أو حيوان « **قطة** » ثم يتولى الحديث معها متقمصاً شخصية الأم فيقول للعروس مثلاً : أنت محرومة اليوم من « البونبون » أو « الشوكولاته » لأنك لم تحتفظي بملابسك نظيفة . . . وقد يلاعب القطة « اللعبة » التي بين يديه ، وقد يمثل أحد المحامين في المحكمة ، حيث يقف ويقول : حضرات المستشارين ، إن المتهم الماثل أمامكم اعترف بالقتل ، ولكنني أطلب له البراءة . . . إلخ ، وقد يحادث نفسه متقمصاً شخصية البائع وشخصية المشتري وهكذا .

وإذا كان الطفل يحاول في بداية تكوين ذاته تقمص شخصية ما ، وإتيان بعض أنماط سلوكها ، فإن ذاته تكون في مثل هذه المواقف مرتبطة بالشخص الذي يقوم بدوره . ويتعلم الطفل تحمل **المسؤولية الاجتماعية** كلما تقمص شخصية أبيه . ذلك أن ارتقاء المسؤولية الاجتماعية يعتبر أساساً محدداً للسلوك المعبر عن الإيثارية والكرم ومساعدة الآخرين من المحتاجين والضعفاء والعجزة . وتؤكد البحوث العلمية **ضرورة جعل الطفل يحيا خبرات يتعلم منها تحمل المسؤولية الاجتماعية ، وتعلم الإيثار وسلوك الكرم ومساعدة الآخرين ، وتعزيز هذا السلوك لديه ، حيث لا يكفي مجرد التوجيه والوعظ والإرشاد**[٢] . ومعنى ذلك أن الطفل في البداية تكون له أكثر من ذات ، بحسب المواقف المتنوعة التي يمثلها ، والأشخاص المختلفين ، الذين يرتبطون بتلك المواقف . وكل من هذه الذوات ترتبط بالشخص الذي يمثل دوره ، أو الذي يتفاعل معه .

غير أن الطفل يشرع ــ بجوار ذلك ــ إلى التفاعل مع جماعات من أفراد ترتبط أدوارهم الاجتماعية معاً وكذلك اتجاهاتهم نحو العمل أو النشاط التعاوني الذي يمارسونه معاً ، ومن الأمثلة على ذلك التعاون في فريق منظم للعب[٣] . فاللعب المنظم ــ كما يقول **جورج ميد** ــ يحدد سلوك كل عضو من أعضاء الفريق ، ومن الضروري لكل عضو أن يتوقع سلوك بقية أفراد الفريق بالنسبة لبعضهم البعض وبالنسبة له شخصياً . ويرجع ذلك إلى أن كفاية اللاعب في الفريق تتوقف إلى حد كبير على حسن وسلامة توقعاته ، بالنسبة لسلوك الآخرين فيه . وهذا الموقف ينطبق على جميع أفراد الفريق ، كما أنهم جميعاً يقومون بنفس الدور تقريباً . ومن ثم فإن اتجاهاتهم وأنماط سلوكهم تتعدل وتنتظم معاً في وحدة كلية ، وهي التي يطلق عليها « **لعب الفريق** » Team Play .

وهذا الموقف الذي يحدث للطفل في فريق اللعب ، يحدث له مثله في أسرته . غير أن الجوانب المختلفة للحياة في الأسرة ، ليست كلها بالبساطة أو بالوضوح الذي يتسم به نشاط اللعب ، الأمر الذي يؤدي إلى غموض بعض المواقف في حياة الأسرة بالنسبة للطفل وبالتالي لا يستطيع التوافق معها بصورة صحيحة . وبالرغم من ذلك فإن الطفل يستطيع توحيد بعض الجوانب الأساسية لاتجاهات أعضاء الأسرة في كل متكامل ، وأن يشكل اتجاهاته ويعدل أنماط سلوكه على أساس هذا الإطار العام . وبذلك يشتد ارتباط هذه الاتجاهات بذات الطفل ، ويتحدد سلوكه ، وينتظم تبعاً لها .

ومما يلاحظ أن الطفل ينسى ــ فيما بعد ــ أنها اتجاهات أفراد آخرين ، وعلى هذا تصبح اتجاهاته الخاصة . ونتيجة لذلك فإنه بدلاً من أن يفكر فيما يتوقعه الغير منه ، فإنه يتوقع من نفسه أن يصدر عنه السلوك المناسب في المواقف الخاصة . وقد تصبح هذه الأنماط السلوكية من القوة بحيث تبدو كأنها عادات (تلقائية) لا تتطلب من الطفل أن يفكر في توقعات الغير منه .

وعلى العكس من ذلك في المواقف التي لا يكون سلوك الطفل قد تحدد نحوها بدرجة كافية ، أو عندما يتضمن الموقف بعض الجوانب الجديدة ، فإن الطفل يصبح **واعياً بذاته** Self Conscious ومن ثم يضطر إلى تفهم اتجاهات الآخرين (**أنماط سلوكهم**) ، وتوقعاتهم منه ، وأن يحدد معنى الموقف (على ضوء خبراته السابقة) قبل قيامه بدوره في الموقف الذي يجد نفسه فيه . وليس الطفل وحده الذي يتعرض لمثل هذه المواقف ، وإنما الراشد أيضاً عندما يواجهه موقف ليست له به خبرة من قبل ، يصبح موقفه مثل موقف الطفل .

تلك هي القواعد الاجتماعية والنفسية ، والأسس التي ينبغي على أساسها مخاطبة الأطفال إذاعياً .



المراجع والمصادر

١ ــ Allport, G. W.: Attitudes, Handbook of Social Psychology. Murchison, ed., Worcester: Clark University press, 1935, pp. 798 - 811.

٢ ــ Harris, M.B.: Reciprocity and Generosity. Some determinats of Sharging in Children. Child Development, 41, 313-328, 1970.

٣ ــ Piaget, J.: The Moral judgment of the Child, 1932.

٤ ــ دكتور زيدان عبد الباقي : علم النفس الاجتماعي في المجالات الإعلامية ، مكتبة غريب ، القاهرة ١٩٧٩ م .





● الـكـتاب : كاتـب الحي .

● الـكـاتب : محمـد عبد الرحمن الشامخ .

● النـاشر : دار العلوم ـ الرياض ، ط (١) ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م ، (١٥٩ صفحة) .

يريد الشامخ بـكتابه (كاتـب الحي) [مقـالات ودراسات] أن يثبِّت دعائم الشخصية السعودية المفكرة المبدعة ، في أرض عـريقة في الفكر والأدب والإبـداع .. ويحقـق لتلك الأرض كل ما كان ينبت فيها من قـيم وأصالة ومثل ، على مستوى الأفراد والجماعة ، ويطرح من خـلال تلك المقـالات والـدراسات ، بعض الآراء والقضايا الفكرية والأدبية ، الـتي تتفق مـع الأصالـة ، والـتراث ، والتـاريخ ، والبيئة .. ولتتبلـور حـركة الأدب والفـكر في إطـارها السـعودي المحلي . وإن الشـامخ ، ليتجـرع المرارة والألم مـن خـلال مفـارقتين : الأولى ، وهـو يـرى جيـلاً ضـائعاً ، أغـرته النعمـة والنعومة والمادية والغنى ، فنسي كثـيراً مما تحتمـه الصحراء على أولئك الأبناء . والثانية ، وهو يرى ـ أيضاً ـ الأدب السعودي ومنشئيه في حالة بائسة وتعيسة .. وقـد غفل عنهم وعن إنتاجهم أبناء وطنهم في الـداخل ، وأبنـاء عمومتهم في الخارج .

احتوى الكتاب بقسميه : المقالات (وعددها سبع عشرة مقالة) ، والدراسات (ثلاث) على تلك الموضـوعات الـتي تحدد معالم شخصية الشامخ الفـكرية والأدبيـة والتعبيرية .. إذ بدا لنا ـ كما قلنا ـ يتمتع بروح غيورة على اللغة والأصـالة والـتراث والتقاليد الأدبيـة الـرائدة . كما يتمتع ـ في ذات الـوقت ـ بمقـدرة إبـداعية في فـن المقـالة : وإن ذلك الإبـداع ليبرز لنا مـن خـلال المقالات التـالية : (مسرحية عقـارية تبحث عـن مؤلف ، وشجرة العوسج ، والـكهل والزمن ، وابـن الصحـراء ، والعـالم ومحـدث النعمـة ، وليـل الصقيع) . إذ نجـده فيهـا يتـألق أسلوباً ومعنى وغـاية وروحـاً . فتتحـول الفـكرة لديه إلى خاطرة فنية حيناً ، وإلى شـذرات متـوهجة ، وتـأملات رومـانسية حينـاً آخر . ولـكنه لا يغفـل أرض الـواقع الـتي يظل مشـدوداً إليها ، فهي فحوى وجوده ، وغاية كتابته وإبداعه .

استطاع الشامخ أن يـبرز مأساة الفكر والعلم في خضم المادية والتكالب في (مسرحية عقارية تبحث عـن مؤلف ، والعـالم ومحـدث النعمـة ، والمواطـن والعصر ، ومعلـم التنمية) ، والانسلاخ عـن الأصول والانقطاع عن الجذور ـ أي طمن الأصالة ـ كما في (شجرة العـوسج ، والـكهل والـزمن ، وابـن الصحـراء ، وليـل الصـقيع ، ولفتـة الجيد) .

بينما أكثر المقـالات الأخـرى كانـت تـركز على أصالة اللغـة ، والتقـاليد الأدبية ، فمثلاً نجد في مقـاله أو خـاطرته [عـاصفة الأشباح] سخرية ، وصفعة حـادة في وجـوه المقلـدين السادرين في دروب اللاوعـي والسريـالية والغمـوض .. والـذين يـكتبون هـذيانهم بسرعـة جنونية ، «سأضرب المثل بما صنعته في مقـالتي السريالية هذه ، فقـد كتبت (عـاصفة الأشباح) في بضع دقائق ، ولكن حينما أخذت في كتابة هذا التعقيب بـأسلوب تقليدي واع قضيت في ذلك بضع ساعات» . كما نجـد في مقاله : [لفتة الجيد] نقـداً لاذعاً لأولئك الذين يشوهون أعلامنا الأدبية بتمثيلياتهم عـن المتنبي والجـاحظ وأبي العـلاء وغيرهم ، «ذلك لأن هناك فئات منبثة في أرجـاء الـوطن العربي تحـرص على أن تسـخر مـن الـتراث العربي ، وتسـعى لأن تطمس أعلامه» .

وتبلـغ المرارة الحـزينة لـدى الشـامخ في إحسـاسه لمأساة الكاتب السعودي ـ في مقاله كاتب الحي ـ الـذي أصبح «يحمل حقيبته ، ويخرج معزياً نفسه بـأن من عـادة زامر الحي ألا يـطرب» . وإن





★ محمد عبد الرحمن الشامخ ★

شخصية الشامخ الفكرية والأدبية التي حددنا بعض ملامحها، لتتضح حتى في الحوار الأدبي الذي أجراه معه المحرر الأدبي في جريدة الرياض، وفي دراساته الثلاث (مسيرتنا الصحفية، وملامح التجديد في أدبنا المعاصر، ومتى يكتب تاريخ التعليم في بلادنا؟)، وفي كل ذلك تتوالى أفكاره وآراؤه وأحكامه بتسلسل منطقي محكم، وباتساق وانسجام تامين. وبتلك الخصائص يمتلك القارئ ويشده.

☆☆

● الكتاب: الأرض والحب (ديوان شعر).

● الشاعر: أحمد بهكلي.

● الناشر: نادي جيزان الأدبي، ١٣٩٨هـ / ١٩٧٨م، في ٨٤ صفحة.

(١)

الشعر الجيد يفرض نفسه ـ عمودياً كان أو تفعيلياً مرسلاً ـ لأن صاحبه يملك أداته، كما يملك التصرف الذكي في تلك الأداة. ومن جانب آخر توشيه نبرة صدق تعني شعوراً معيناً بالحياة، حتى وإن لم تتشكل ـ لدى شاعر لا يزال في أول الطريق ـ موقفاً ينم على فلسفة كونية محددة وبارزة.

وفي هذه الأيام يكثر كتّاب النظم. ومن يتقن منهم ألف باءه قد يجنح به التقليد إلى ما يمكن أن يُطلق عليه الشعوذة الفنية، فيتقمص ـ مثلاً ـ روح أدونيس، ويسافر مع قصيدته، أو تسافر عنه قصيدته إلى عوالم سيريالية متخبطة، يكون علينا نحن عبء استجدائها شيئاً.. أقل شيء!.

ومن يفتقد الألف بائية المذكورة ـ حتى وإن قرأ كل كتب العروض والقافية ـ يركب الغرور أو يركبه الغرور وإذا في انشطار القمر للأفعى الزاحفة بالشمس فوق عبير الأسياف ـ على سبيل المثال ـ هو الحد الأدنى لقبوله شكلاً من أشكال التعبير النثري المرفوض في الشعر. ولا نظنه بأي مقياس يمكن أن نسمي إطاره قصيدة الشعر المنثور أو قصيدة الشعر الحر.

فقد اتُّفق على أن يكون الشعر ـ عندنا نحن العرب ـ موزوناً أي خاضعاً لعروضيات هندسية بالغة الدقة، وإن لم يقع هذا الاتفاق عند غيرنا في كل الأحوال وجميع العصور.

ويعني هذا أن قصيدة الشعر المرسل ـ وهي القائمة على وحدة التفعيلة سطرية كانت أو مدورة ـ مما يدخل في الشعر الجيد إذا كانت تفضي بشيء كالصباح الواعد بالأمل والجمال والحب. وهي من غير شك تفضل أية قصيدة عمودية يقف صاحبها بالنثرية الصاخبة الرتيبة عند حدود الخطب، بلا خصوصية الشعر الجوهرية.

على أن تلك القصيدة لا تجوز مقارنتها بقصيدة يقولها شاعر كعمر أبي ريشة أو عبد الله البردوني ـ فعل العصر ـ لأن هذا عطاء وتلك عطاء، ونحن في حاجة إلى العطائين.

وديوان «الأرض والحب» من ذلك العطاء الذي نحتاج إليه لنعيش أجمل فترات حياتنا. وفي ميزان النقد لا نقارنه بأحد دواوين الشعر المرسل ـ حتى وإن يكن صاحبه صغير السن ـ إلا من منطلق المعيارية الفنية، برغم سوء استخدام هذه المعيارية عند كثير من من نقّادنا المحدثين.

فديوان «الأرض والحب» ينم بوجدانياته وبحداثة بعض موضوعاته على أن اهتمام (بهكلي) صاحبه إنما هو صداقة للشعر وولع به. حقيقة قد يفسده ببعض صوره الذهنية ـ نعني ضرب المثل مصطنعاً أسلوب الحكماء ـ حتى ليقول في القصيدة التي تحمل عنوان الديوان:

ومن عرف الحب النبيل وعاشه
فقد عاش من دنياه عمرين لا عمرا

كما يقول في «شوق» مترخصاً ما شاء له الترخص:

يقول والصدق فيما قال مرتسم
الشوق بؤس ومن عاناه فجّعه

وانتزاع البيتين من موضعيهما لا يخل



★ أحمد بهكلي ★

بمدلوليها، لأنها في غاية التكلف والسذاجة. ولم يستطع بهكلي أن يستبطن فيها ذاته أو واقع الحياة من خلال ذاته ـ فهذا أفضل وأصح ـ لأن الحب النبيل مقولة تعادلها في القيمة أية بادرة حب متدن تدني أوفيد الشاعر اللاتيني في غزلياته وعمر بن أبي ربيعة في نزواته المعروفة، وقد صرح شاعر المجون القديم بأن الفائز باللذات ـ وهي أعمار وليست عمرين ـ الفاتك اللهج!.

ومع ذلك فالاتجاه العام ـ في إطار هذا الديوان على الأقل ـ هو تلك المعاناة السلبية. وبهكلي على أية حال حريص على تشكيل تجاربه الوجدانية على نحو تقرره السلامة الأخلاقية، ومن ثم فإن النبل عنده والوفاء والحرمان وبالتالي تقبيل الزهور ـ تعويضاً ـ مع الشكوى والكآبة.

إيه يا... يا آهة تعدو وئيده
في ضلوعي، يا متاهات مسافاتي المديده
لم تزل عندي حكايات وأفكار جديده
سوف أحكيها لنفسي حين تضحين بعيده

وقد لخص تجربته في «رسالة» وهي مثل قصيدة «أحبك» من أبدع ما شدا به بهكلي، وقد هيأ لروح الحداثة والعذوبة أن تهوم عليها دون أن يجعل الواقع حرفياً ولا جامداً متصلباً. لأن الشاعر يجب أن يتدخل في تشكيل الوجود ـ نظرياً لأننا نعني الرؤيا ـ لنسلم بأن صاحبة عروس الشعر تستحق أن يقول فيها:

وهبتك من ودادي ما أراه
كفيلاً لي بأن يدنيك مني
وما أعطيتني إلا وعوداً
تزيد أسى الفؤاد فلا تُمنّي

أغلب شعراء الغزل قالوا ذلك، إلا أنهم ـ في الحق ـ لم يقولوه بتلك البساطة ولا بذلك الوضوح. ومن ثم كان أكثر من موفق عندما أنشد في «نهاية حلم» باقتدار لم يوهن منه ولعه بإزجاء المقولات الذهنية:

رغم أن الحب في ذا الكون مغنى
تتغنّى فيه أطيار السعاده
وحياة حلوة لفظاً ومعنى
فلقد عُذبت فيه وزياده

إننا نرحب بأحمد بهكلي الذي يشقيه الحب ويسعده، ويريد أن ينتقل به إلى عليين فكراً أو رؤى أو تجارب جديدة ترسم دنيا بكراً شديدة الخصوبة. وفي ظننا أنه اليوم ـ وقد مرت سنوات أربع على إصدار الديوان ـ قد عرف مكانه على خريطة الشعر في السعودية.

(٢)

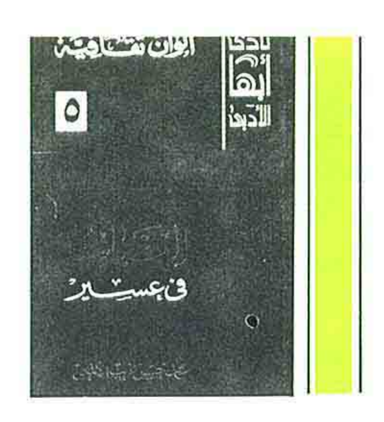
جميل حقاً أن يرتبط الشاعر بنبع تجربته الفنية، وألا يكتفي بالتلميح والتلويح. بل يعمد إلى البوح والتصريح، وفي ذلك ما يجعل مهمة النقد سهلة يسيرة لا تكتنف مسيرتها سراديب الرمز، وكهوف الأسطورة، وغياهب الإيجاز والرمز، وجهامة التعبير والتصور.

لكن هذه السهولة المغرية ليست ممتنعة على غرار قولهم: (السهل الممتنع)، إذ تؤدي المبالغة في الكشف عما يريد الشاعر إلى عيوب التقريرية، والمباشرة، والخطابية، إذ يتأبّى القارئ الناقد عن استساغة (الطعام الممضوغ)، ويلذ له فنياً أن يخوض مع الشاعر لذة المعاناة الفنية في إيجاد شيء من عدم، وتشكيل الكائن الفني تشكيلاً خاصاً، وهو في هذا يجد متعة فنية في مكابدة الفهم، ومعاناة التدبّر، ومعايشة التجربة الفنية ليصل إلى متعة فنية لا تقل عما وصل إليه المؤلف من هناء فني، ولذا قالوا: إن قراءة العمل الأدبي قراءة فنية خاصة هي بمثابة إعادة تأليف له، ولذا كان القارئ الفاحص مؤلفاً ثانياً!!.

والشاعر أحمد بهكلي قدم ديوانه الصغير (الأرض والحب) في قسمين رئيسين هما: حبيبتي الأرض، وضم ثمان قصائد منها الست الأولى عن مدينة (أبها) بعدها قصيدتان عن مدينة (جازان).

وهنا نجد اتكاء تجربة الشاعر على ارتباطه بأرضه، والتصاق روحه الشاعرة بعبق هذه الأرض، وعبيرها، وتلك سمة فنية عامة يشترك فيها الشاعر مع بني فنّه، فالأرض تمثّل البوتقة الأصيلة لتجربة الفنان، لكن الشاعر هنا كان مولعاً بها بشكل بارز وأعتذر عن الاستشهاد لضيق المجال، ولمن شاء أن يراجع القصائد الأولى من ديوانه.

أما القسم الثاني، فهو عن الحبيبة، لذا سمّاه (حبيبتي: حبيبتي) وإذا ما وازنّا بين التجربتين وجدنا منطلق الشاعر في الأولى عاماً كلياً، ومنطلقة في الثانية خاصاً جزئياً، وعلى الرغم من أن الشعر ـ في أساسه ومرماه ـ غنائي، أي يتغنّى الشاعر فيه بعواطفه وشجونه



ورؤاه . فإن الشاعر تجلّى في غنائياته العامة أكثر مما تجلّى في غنائياته الخاصة ، وكأنما استأثرت الحبيبة الأم ، وهي الأرض ، برصيده الفني من الكلمة ، والجملة ، والإيقاع ، والصورة ، والتحليق ، ففاقت ـ بهذا كله ـ الحبيبة ، وفي ظني أن ذلك عائد ـ بالدرجة الأولى ـ إلى أصالة التجربة الأولى ، وصدقها ، وواقعيتها ، وقل عكس ذلك ـ إن شئت ـ في التجربة الثانية ! .

ولا ينسيني ذلك الحديث عن مضمون التجربة الوجدانية عند الشاعر حديثاً آخر لا يقل عنه أهمية ، وهو ما أسمّيه : امتياح الشاعر من التراث ، وهو لا يقتصر على هذا الامتياح في اللفظة المفردة كما نجد في ألفاظ : الصب ، وصبوته ، وتصرمت ، ورزمة ، ومغناك ، وقرية ، والجوى ، والمهامة ، ومقة ، ومولَه .. إلخ فحسب .. بل يتجاوز إطار اللفظة إلى التعبير ، والموقف ، ويحول ضيق المجال دون استشهاد ، لكن ذلك لا يعني من الإشارة الموجزة إلى شواهد ذلك ، ومنه ـ على سبيل المثال ـ البيت الأخير (ص ١٢) ، والثالث (ص ١٣) ، والأخير (ص ١٧) ، والأول (ص ٣٩) ، وغيرها مما يلي هذا البيت ومما لم نذكره هنا .

وفي ذلك كله نجد ميل الشاعر إلى المعجم اللغوي التراثي ، لا يقتصر على أخذ اللفظة فحسب ، بل يتجاوز ذلك إلى وضعها في إطارها من الجملة ، ووضع الجملة في إطارها من الصورة الفنية ، بحيث تبدو الصورة الفنية وليدة معايشة الشاعر لرصيده التراثي ، وذلك راجع ـ بالدرجة الأولى ـ إلى ثقافة الشاعر ، وزاده التراثي ، فللمناخ الثقافي والفكري أثر كبير في تكوين المعجم الشعري للشاعر ، وفي بناء صرحه اللغوي ، ولعل وقوع الشاعر في أسر هذا المعجم قد جعله يلجأ إلى تركيب لغوي يؤدي إلى صورة غير مقبولة ، من ذلك قوله عن (أبها) التي يحبها ، والتي تيّمته ، يقول فيها الكثير من ألوان الحب والغزل حتى نفاجأ بقوله :

أو كنت بحراً هائجاً متلاطماً
فلربما قمنا وصارعناك !!

وهي صورة غريبة حقاً ، لا نقبلها من الشاعر ، ولا تتلاءم مع طبيعة التجربة الشعرية في القصيدة التي تحمل عنوان (القيود الجميلة) . وكما وقع هنا في الصورة الضعيفة المنفّرة ، وقع في التركيب اللغوي المنفّر المتضارب في قوله في قصيدة (نجوى على البعد) :

ما رحالي حين شُدت جَذ حبل
للتداني ، ما رحيلي برحيل

ويجيء هذا أيضاً بعد حديثه عن هيامه بأبها ، وما أشبهه ، من حيث التعقيد اللغوي ، بالبيت الشهير الذي يضربه البلاغيون :

وقبر حرب بمكان قفر
وليس قرب قبر حرب قبر

ومرد ذلك ـ في النهاية ، وبإيجاز شديد ـ إلى معجم «أحمد بهكلي» الذي لم يحسن المواءمة بين التراث والمعاصرة .

☆ ☆

● الكتاب : النبات في عسير .

● المؤلف : محمد حسن غريب الألمعي .

● الناشر : نادي أبها الأدبي ـ ط (١) ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م . (٧٢ صفحة) .

قد يتساءل القارئ عن موضوع الكتاب .. وتحت أي صنف من صنوف المعرفة ، يندرج ؟! أهو كتاب علمي في النبات ، أم جغرافي في اقتصاد المنطقة ، أم لغوي في فقه اللغة ، ومصطلحات نبات منطقة عسير ، أم أدبي فيما قيل من شعر ونصوص نثرية عن أنواع النبات ، أم هو كتاب تراثي وشعبي يجسد عقلية مجتمع يتعامل مع الظواهر النباتية في بيئة محددة ... ؟؟ .

والحقيقة فإن هذا الكتيب يجمع مختلف تلك الصنوف العلمية والجغرافية واللغوية والأدبية والاجتماعية .. إذ قدم لنا

فيه الألمعي مادة تعج بدقة الوصف والملاحظة، وتزخر بالمعلومات الشيقة الطريفة.. عن نبات عسير، من شجر، وزهر، وثمر، وعشب... جمع لنا عشرات المسميات والمصطلحات النباتية، ووقف - عن خبرة ورؤية واستقصاء ميداني - على كثير من صفاتها، وأجناسها، وألوانها، وطعومها، وروائحها، وقفة قلما تتوفر إلا لمن عاش في تلك المنطقة، أو كان ابناً للبيئة - كالألمعي - قضى «شطراً من عمره بين هذه النباتات، متنقلاً من واد إلى شعب، ومن سهل إلى جبل، فعرف دقها وجلها.. ومعرفته التامة بالطرق القديمة التي كان السكان يلجأون إليها للاستفادة من هذه النباتات لدخولها في الكثير من شؤون حياتهم». وإن المؤلف فيما يبدو - وقد عاش حوالي ربع قرن بين أماكن تلك النباتات - جمع في بحثه ما بين الجهود الشخصي الميداني، وثقافة الآخرين في موضوع النبات.. لذلك فلا نستغرب منه الاعتزاز في تصحيح أخطاء الآخرين وبخاصة القدامى منهم كأبي حنيفة الدينوري، وأبي سعيد السكري، وصاحب النهاية في غريب الحديث، وعرام السلمي، والأصمعي، وما رواه ثعلب عن ابن الأعرابي. وقد يصل تصحيحه إلى المعاصرين أمثال الدكتور سيد خليفة، إذ يجده «في كتابه الأشجار والشجيرات يسمي الأثبة (ثعبة)، وشتان بينهما، فالثُعب نبات بعينه يتخذ من لحائه صبغة للثياب تسمى الثياب المثعبة».

وإن المؤلف، وهو يعرض معجمه النباتي، ينقل كلام الآخرين القدامى والمعاصرين، ومن ثم يقف هو برأيه وعلمه على ذلك النبات، وقد يؤيد أو يعارض، وغالباً ما يكون مع تلك الآراء، ولكن قد يعارض جزءً منها.. كأن يقول وهو بصدد (الندغ): وبعد أن استعرض كلام الآخرين: «قلت: لكل ما قيل عن هذه النبتة وجه من الصحة، إلا ما نسب إلى أبي عمرو من أن لها ثمراً، وحقيقة ذلك أنها تنور ولا تعقد كشجرة المظ: وهذه الشجرة من نباتات المنطقة». وقد يضفي المؤلف على معجمه النباتي نكهة طريفة من القصص والحكايات التي يرويها عن مشاهدة أو نقلاً عن كتب الآخرين، كقصته في (ص ٢٣) عن ثمر الخروع حين يجف وينفلق، وتتطاير الحبوب بقوة ضغط، تصيبهم وقد ظنوا أن أحداً يحصبهم. وكذلك حكاية الكلب الذي يطوف مهرولا في المزرعة متنقلاً من عشب إلى آخر يشم ثم يغادره إلى أن يهتدي إلى عشب مسهل ينظف أمعاءه. وقد يبدي المؤلف إعجابه بأوصاف الآخرين عن نباته، كأن يقول وهو يفيض عن (السُخاء): «وأحسن من وصف هذه النبتة وصفاً علمياً مبسطاً هي السيدة (بيتي) حيث قالت: تنمو هذه النبتة في الطمى فيما بين الصخور، وتتألف من أوراق شوكية تشكل نموذجاً هندسياً من السنابل والأزهار الزرقاء، تبزغ بين الأوراق الجاسئة الخضراء الفضية. وفي فصل الأمطار توجد عند أسفل النبتة أوراق أكثر نعومة وهذه هي التي يأكلها (الضب)، وكان يطلق على هذه النبتة اسم (بليفاريسي ايدوليس) باللاتينية، ربما لأن أزهاره تؤكل، ويقال إنها مفيدة للمعدة». وقد اعتمد المؤلف في معجمه على اللغويين العرب أمثال ابن منظور في لسانه، وابن سيده في مخصصه، والجاحظ في حيوانه، بالإضافة إلى المؤرخين والعلماء العرب المعاصرين وعلى رأسهم حمد الجاسر. وإذا لم يراع المؤلف الترتيب المعجمي، فلأن هذا البحث يعتبره مقالا مستلاً من كتابه (النبات في عسير).





الأساطير في الشعر المعاصر

بقلم: أحمد سويلم

دعونا نسأل في البداية : متى يبدع الشاعر .. وكيف ؟ .

إن الشاعر يبدع حينما يدفعه الحس الداخلي إلى إفراغ شحناته الانفعالية على الورق .. تلك الشحنات التي تتكون عنده ـ أو تتراكم لديه ـ عندما يختل توازنه الداخلي نتيجة ظروف داخلية وخارجية ، ثم سرعان ما يستعيد هدوءه واستقراره وتوازنه بعد أن يفرغ من عملية الإبداع .

إن مهمة الشاعر إذن تتمثل في قدرته على التشكيل والبناء وإعادة صياغة عناصر متناثرة متباعدة . وتتمثل كذلك في الإيحاء والكشف والارتياد .. ومن هذا وذاك يحدث نوعاً من التآلف بين ما هو متنافر .. ويحيل الصمت إلى موسيقى .. ويمنح الوجود إلى اللاوجود .. ويفرغ لهاث القلب المتدفق في قدم مربعة من الورق .

ولما كان الشاعر لا يجوز له أن يواجه حقيقة الأشياء بطريقة مباشرة أو تقريرية .. فهو يلجأ إلى معطيات كثيرة ، وحيل فنية وأشكال ورموز .. تساعده في بناء عالمه الشعري بحيث يثير في وجدان المتلقي أكثر من مجرد القراءة والاستمتاع .

والشعر يتخذ من الكلمات مواده الأولية ، في البناء الشكلي .. والكلمة ما هي إلا رمز ينطوي على معنى .. وحينما ننطق بالكلمة .. فإن ما يعنينا منها هو رمزها .. وما توحي به أو تشير إليه .

وقد عرف الإنسان رموز الحروف والكلمات منذ أزمان موغلة في القدم .. وأصبحت الكلمة تؤدي وظائف وجدانية كاملة لدى الإنسان .. إلى جانب أنها كذلك تؤدي وظيفة الإيحاء الرمزي .. أو التصور البدائي .

ومن هذا الطرف الخفي .. يقترب عالم الشعر من عالم الأسطورة .

إن الشعر فن يقوم على الرمز والإيحاء .. وكذلك الأسطورة ... إنها تتصل بالتصورات العقائدية الأولى للبشرية .

ويكاد يوجد اندماج كامل بين الفن بألوانه .. وبين الأسطورة منذ وجد الإنسان على هذه الأرض ، تشهد بذلك أقدم النقوش الحضارية على جدران المعابد القديمة .

ولكي نقترب أكثر من هذه العلاقة الحميمة بين الشعر ـ كفن ـ وبين الأسطورة : كعنصر من عناصر الشعر الجيدة .. **يحسن أن نتعرف على مفهوم الأسطورة .. ثم نلقي الضوء على علاقتها بالإبداع الشعري خاصة .. ثم قدرة الشعراء المعاصرين على تطويعها لتكون مادة معاصرة في قصائدهم .**

مفهوم الأسطورة

يقر الباحثون أن الأسطورة ترتبط دائماً ببداية الحياة على الأرض .. منذ مارس الإنسان القديم طقوس العبادة لمظاهر الطبيعة المختلفة التي تحيط به .. ولم تكن تلك الطقوس إلا سعياً فكرياً لتفسير كثير من غوامض هذه الطبيعة والكشف عن مجاهيلها .. ويبدو أن الإنسان كان يرمي من وراء ذلك إلى كسب ود هذه القوى لكي تفتح أبواب العالم أمامه يخوض خلالها .. ويفسر كثيراً من ظواهره .

وارتبطت هذه الطقوس الأولى بالتراتيل والأناشيد الكلامية المصحوبة بالموسيقى في المعابد القديمة التي قدس الإنسان فيها القوى الخفية .. كما ارتبطت كذلك بألوان السحر والشعوذة التي أغرقت الإنسان في عالم الخيال .

ولم يصل أحد من الباحثين إلى قول فصل في نشأة الأسطورة .. لكن هناك نظريات عدة تتعلق ببداياتها ووجودها لا مجال هنا للتفصيل فيها .. لكن مجمل القول فيها أن منها ما هو ديني المنشأ .. ومنها ما هو تاريخي .. ومنها ما هو رمزي .. ومنها ما يرد إلى الطبيعة وتشخيص عناصر الكون .

وسواء أكانت هذه التقسيمات صحيحة أم غير ذلك .. فإن الأسطورة ولا شك هي ثمرة جهود الإنسان في الغوص إلى مظاهر الكون من حوله .. وارتياد ظواهره إلى بواطنه .. والكشف عن أسراره الغامضة ..

لهذا تعتبر الأسطورة ـ كالشعر ـ شكلاً رمزياً أصيلاً من أشكال الحضارة الإنسانية .. إنها ذلك القالب الرمزي الذي تصب داخله أفكار الإنسان منذ ما قبل الفلسفة .. وما قبل العلم كذلك .

إن التصور الأسطوري للعالم . . هو تصور درامي يقوم على أساس من الصراع بين الإنسان والعالم . . وقد كان الإنسان دائماً هو الطرف المهزوم في هذا الصراع . . ولأن طبيعة الأسطورة تنطوي على الحركة والفعل والنمو والمد والجزر جميعاً . . لهذا . . تجد الشعراء على مدى التاريخ يتخذون أشكالهم الدرامية من هذه المادة الديناميكية التي تتيح لهم مرونة كافية في الأخذ وإعادة الصياغة وقلب الصور واستحداث الجديد المعاصر .

كما أن في عالم الأسطورة اعتقاداً راسخاً بوحدة الحياة . . واحتجاجاً ضد العدم والفناء . . وتحدياً متجدداً للمجهول . . لهذا فإن عنصر الخيال كامن فيها كموناً يقرنها بالفن وبوجدان الإنسان معاً . . ومن ثم تنبه إلى هذه العلاقة الحميمة شعراء كل العصور . . تشهد بذلك الأعمال الأدبية المشهورة منذ **الإلياذة والأوديسة** حتى الكوميديا التي أبدعها **دانتي اليجيري** .

لكن الشعراء المعاصرين في كل بقعة من العالم ـ **ومن بينها المنطقة العربية** ـ قد أقبلوا على الأسطورة وكأنهم اكتشفوا منجماً ثميناً لا ينضب . . أو وضعوا أيديهم على منابع الإبداع الحقيقية المعاصرة .

واستخدام الأساطير في الشعر المعاصر يعد من أبرز الظواهر الفنية في هذه التجربة . . ذلك أن الشاعر المعاصر أمام واقعه المرير يواجه معطيات تكاد تكون جامدة في معظمها . . وهو مطالب أن يحرك ذلك الجمود بما يضيفه من نفسه ووجدانه وثقافته .

ونظرة أولى إلى مناهج تناول الأسطورة في الشعر المعاصر تؤكد لنا محاولات الشعراء الاقتراب إلى هذا العالم الخصب .

فقد يلجأ الشاعر إلى جعل الرمز الأسطوري إطاراً فنياً يقول من خلاله ما يريد باعتباره شاعراً يعيش عصراً مختلفاً عن عصر هذا الرمز الأسطوري . . إنه يصب في هذا الإطار أفكاره وتجربته المعاصرة . . محاولا إحداث صلة ما بين الماضي والحاضر . . يجمع فيها بين **الأصالة والمعاصرة** . . ويعتمد ذلك بطبيعة الحال على قدرة الشاعر في تضفير عناصر الرمز وتطويرها . . وبعث مواتها . . وإلقاء حسّ العصر على تلك المساحات الغامضة من الأسطورة .

وهذا المنهج بطبيعة الحال يختلف عن مجرد سرد دقائق الأسطورة في القصيدة وكأنه بحث تاريخي بحت . . إذ يغيب الفن . . وتغيب قدرة الشاعر على تطويع الرمز .

وهناك أسلوب آخر يتمثل في مجرد الإشارة إلى الأسطورة أو إلى بعض عناصرها . . ولا شك أن الشاعر هنا يعتمد كثيراً على ثقافة المتلقي . . وعلى مدى استيعابه للأسطورة فيفضل أن يشير ويوحي دون أن يوضح ويبوح ويشرح . . فيستدعي بذلك القارئ هذه الأسطورة بمجرد أن يدخله الشاعر إلى عالمها .

وقد تتم هذه الإشارة باستدعاء اسم الشخصية أو الإحالة عليها . . أو ذكر ملمح من ملامحها المعروفة التي سرعان ما تكشف عنها وتمهد الطريق إلى استيعابها .

وهناك **منهج ثالث** بجانب الإطار والإحالة . . ذلك أن الشخصية أو الرمز الأسطوري قد يكونُ من الغنى والثراء بحيث يحمل أكثر من دلالة معاصرة . . تتيح للشاعر أن يختار أيها ويسوق قصيدته من خلالها . . فقد يتناول شاعران شخصية واحدة لكنهما يختلفان في النظر إليها . . وهذا بطبيعة الحال يؤكد وجود منهج نفسي اختياري مقتحم لعالم الرمز . . **وكأن الشاعر هنا يحدث أمثولة جديدة عن طريق الدلالة التي اكتشفها وحده .**

كما يوجد **منهج رابع** يتمثل في محاولة الشاعر المعاصرة قلب الأسطورة أو التغيير في ملامحها بهدف الوقوف على عناصر التغيير فيها . . إن الشاعر هنا يتبع (**العمود الفقري**) للأسطورة ولا يلتزم (**بالإطار**) . . ولا شك أن هذه الرؤية لا يقبل عليها الكثيرون لصعوبتها فهي تسير في اتجاه معاكس لمنهج الإطار ـ أو القناع ـ والشاعر هنا مطالب أيضاً ـ لكي يكسب عمله عنصر الجدة والجودة معاً ـ أن يقع على معطيات تتوازى مع هذا المنهج مثل الفولكلور . . والأساطير الشعبية وغيرها من المساحات التي لم تتناول كثيراً .

وعموماً . . فالإخفاق في التقاط الرمز الصالح يفسر كثيراً من هذا الغموض الذي يسود كثيراً من كتابات المعاصرين . . ذلك أن الشاعر وهو يقبل على الأسطورة . . لا يمد يده إليها عشوائياً . . لكنه يضعها تحت معايير نفسية وواقعية دقيقة . . يكتشف فيها أبعادها ودلالاتها وإمكان استدعائها للواقع المعاصر .

إن أحمد شوقي مثلاً قد اعتمد كثيراً في أشعاره على مجرد الإشارة التفسيرية للأسطورة ، وهي إشارة لا يكتفي بإيرادها فقط . . لكنه في كلمات قلائل يسوق لنا ماذا يعني هذا الرمز وكأنه لا يخرج من دائرة التشبيه المجرد في كثير من الأحيان .

نقرأ له مثلاً هذه الأبيات التي يؤرخ فيها **لكبار الحوادث في وادي النيل** :

إن تَلِ البر . . فالبلاد نضار	أو تل البحر فالرياح رخاء
أو تل النفس فهي في كل عضو	أو تل الأفق . . فهي فيه ذكاء
قيل : **إيزيس** ربة الكون لولا	أن توحدت . . لم تك الأشياء

الأسطورة كالشعر، فن بشري قديم، وشكل رمزي أصيل من أشكال الحضارة الإنسانية .. إنها ذلك القالب الرمزي الذي تصب داخله أفكار الإنسان منذ ما قبل العلم والفلسفة

بل إنه بعد عدة غير قليل من الأبيات يعود ليكرر نفس المعنى حين يقول :

إيزيس ذات الملك حين توحدت ... أخذت قوام أمورها الأشياء

وبنفس الأسلوب الإشاري التفسيري يقول في قصيدة **أبي الهول :**

عجبت للقمان في حرصه ... على لبد والنسور الأخر

....

وآبيس في نيره العالمون ... وبعض القصائد نير عسر

وكما فعل **شوقي** .. فعل **حافظ إبراهيم** حين استخدم الإشارة التفسيرية .. يقول **حافظ** شاكياً :

لقد كانت الأمثال تضرب بيننا

بجور (سَدُوم) وهو من أظلم البشر

فلما بدت في الكون آيات ظلمهم

إذا (بسدوم) في حكومته .. (عمر)

إن سدوم هذا قاض ظالم لمدينة سدوم إحدى مدائن قوم لوط الخمس .. حتى بلغ ظلمه مضرب المثل حين قالوا (**أظلم من قاضي سدوم**) .

والشاعر هنا يكاد يشير ويفسر فقط دون أن يدخل إلى عمق الرمز .

وللعقاد في شعره مجموعة من القصائد أطلق عليها قصص وأماثيل .. وهي مستمدة من الأساطير القديمة اليونانية والفارسية والعربية .. وبعضها استحدثها من واقع إحساسه العصري .. ومن هذه الأماثيل [**كولمب في الأوقيانوس ـ غادة أثينا ـ أورمزد واهرما ـ أكاروس ـ إبليس ـ ترجمة شيطان** .. وغيرها] .

لكننا لا نكاد نجد غير قصة تروى بالشعر .. يحكيها الشاعر كما هي .. دون تدخل منه .. إنه يروي دقائق الأسطورة القديمة نثراً أحياناً ثم يحكيها شعراً مرة أخرى .. فلا نكاد نجد فرقاً واضحاً بين ما كتبه نثراً .. وما حكاه شعراً .. وربما كان **العقاد** ـ رحمه الله ـ يريد أن يقف قارؤه على مثل هذه الأساطير البعيدة عن ثقافته جاذباً إياه لها عن طريق نظمها في قصائد .

وحينا نتصفح ديوان **علي محمود طه** .. تستوقفنا مطولته (**أرواح وأشباح**) التي كتبها عام ١٩٤٢م ، إلى جانب بعض قصائده الأخرى التي تتناول الأساطير بطريقة سردية دون وعي بدلالة الرمز الأسطوري وإمكانية إضافته إلى التعبير المعاصر .

لقد وقع هؤلاء الشعراء ـ ومن عاصروهم ـ في براثن (**الفن التفسيري**) إذا جازت هذه التسمية لعناصر الأسطورة القديمة ..

فابتعدوا عن أسرارها الكامنة .. ذلك لأنهم كانوا يقعون على الرمز فيتعاملون معه بإرادة ووعي .. وليس بفن ووجدان كما فعل فيما بعد شعراء المدرسة الحديثة : **صلاح عبد الصبور وخليل حاوي والبياتي والسياب وأمل دنقل** وغيرهم .

إن أكثر الرموز الأسطورية دوراناً في الشعر العربي الحديث هي شخوص **السندباد وتموز وعشتروت وديك الجن وسقراط وأوديب وسيزيف** وغيرها من رموز الحضارات القديمة . وكان الشاعر بهذا يريد أن يؤكد دوره في اكتشاف هذه العوالم الصامتة التي تميزت بالثراء الفني والتاريخي .

إن **صلاح عبد الصبور** مثلاً يؤكد لنا دور الأسطورة في الكشف عن وجدان الإنسان أين يكون .. إنه يقول في قصيدته المستمدة من ألف ليلة (**مذكرات الملك عجيب بن الخصيب**) .

لو قلت كل ما تسره العيون

لقلتمو : مجنون

لكنني أبحث عن يقين ..

في مجلس الصبح أنا تاج وصولجان

تقطيب عينين .. وبسمتان ..

أبحث في كل الحنايا عنك

يا حبيبتي المقنَّعة .

ويستمر الشاعر لابساً قناع البطل الأسطوري حتى يسوق لنا كل عناصر دراما الموقف بلا تدخل إرادي أو سرد تاريخي .. لكنه الشاعر ـ البطل ـ الأسطورة ـ الواقع المعاصر جميعاً .

وحين يتحدث **البياتي** عن ديك الجن .. وكيف كانت علاقته بحبيبته التي ظن بها السوء .. نجده يحمل عبء التجربة الإنسانية العامة .. يكشف عن وجهها وملامحها من خلال رؤية خاصة وتعامل يكشف عن الدلالة الكامنة في أعماق الرمز .. فينقل الرمز الخاص إلى رمز عام .. والشخص الفردي إلى شخص جماعي .. والتأثير المحدود إلى أثر لا محدود :

ماذا لنار بعثُها أفول

فهذه الطبيعة الحسناء ..

قدرت الموت على البشر ..

أنا أمير حلب اليتيمه

مهاجر في داخل المدينه



★ أقبل الشعراء المعاصرون في كل بقعة من العالم، ومن بينها المنطقة العربية، على الأسطورة، وكأنهم اكتشفوا منجماً ثميناً لا ينضب، أو وضعوا أيديهم على منابع الإبداع المعاصرة

من شارع لبيت . .
على جواد الموت .

ويتخذ شاعر مثل **خليل حاوي** إطاره الشعري عبر رحلته الطويلة من شخصية السندباد . . فيجعله عالمه الخاص والعام . . يرمز به إلى كل غائب يواجه قدره ومصيره ومعوقات حياته ويجسد مأساة انتظار الإنسان المعاصر للذي قد يجيء . . ولا يجيء :

سيعود . . لا . . غرق السفين من المحيط إلى القرار
سيعود . . لا . . حجزته صارخة العواصف في إسار
يا سندباد . . أما تعود
كاد الشباب يزول . . تنطفئ الزنابق في الخدود
فمتى تعود . .
أواه . . مدّ يديك بين القلب عالمه الجديد
بهما ويحطم عالم الدم والأظافر والسعار
يبني ولو لهنيهة دنياه
آه . . متى تعود .

ويستمر **خليل حاوي** معانقاً السندباد . . داخلاً إلى أعماق ذاته وخارجاً منها . . وأمام عينيه واقع العصر الذي يعيشه .

وعندما نقرأ قصيدة **السيَّاب (المومس العمياء)** نجده يستخدم منهج الإشارات بذكاء شديد ، ولعله لجأ إلى هذا الأسلوب بقصد إضافة صفة أو ظل أو خطوة تتيح للمتلقي استدعاءها . كما يود الشاعر له أن يستدعيها . . ومن هنا كانت قدرة الشاعر على اختيار منهج الإشارة والإحالة دون التدخل الإرادي أو التفسيري الذي يسقط روعة الرمز .

من هؤلاء العابرون
أحفاد أوديب الضرير ووارثوه المبصرون
جوكست أرملة كامس . . وباب طيبة ما يزال
يلقي أبو الهول الرهيب عليه . . من رعب ظلال
والموت يلهث والسؤال .

ثم يقول بعد ذلك :

المال شيطان المدينة
لم يحظ من هذا الرهان بغير أجساد مهينة
فاوست في أعماقهن يعيد أغنية حزينة
. . . .
وطلول مقبرة تضم رفات هابيل الجنين
يأجوج يغرز فيه من حنق . . أظافره الطويلة .

مثل هذه الشخصيات الكثيرة تنتشر في ثنايا القصيدة الطويلة . . وهي شخصيات قد يكون لها وجود تاريخي وقد لا يكون . . لكن دلالاتها لدى الشاعر أسطورية في المقام الأول . . وحينما يريد الشاعر أن يحدد ملمحاً أو جزئية بعينها في هذه الشخصية يسرع إلى جذب القارئ إليه قبل أن يهرب منه إلى دلالة أخرى .

بقي أن نتساءل الآن عن ضرورة وجود الأساطير في الشعر الحديث .

وفي رأينا أن الأساطير في انتقالها عبر التاريخ ومن أمة إلى أمة ومن مكان إلى مكان ، إنما كانت تسجل إلى حد كبير وجدان الإنسان وذاكرته . . فبقدر ما تدل عليه تصاوير الكهف القديم . . بقدر ما تدل على أن لها معنى سحرياً . . وقد تدل كذلك على إمكان سيطرة الإنسان على عالمه من وجهة نظر التاريخ .

من هذه الوجهة النظرية يمكن أن نجيب بارتياح على هذا السؤال :

فالشعر ظل طوال التاريخ سجلاً لذاكرة البشرية في صورة مروية ثم مدونة .

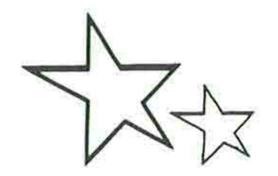
والأسطورة كذلك تسجل شيئاً عن التاريخ والإنسان .

لهذا كان اللقاء بين الشعر والأسطورة لقاء مفيداً لوضع التاريخ في لوحات الفن والاستيعاب . . إذ يلتقي كل منهما بنفسه على جسد التاريخ . . وإن اختلفت طرق الوصول . . وأدوات البحث والتنقيب والكشف .

وبعد :

ففي تصورنا أن الشعر الحديث لو أخلص في استحداث مناهج مختلفة أكثر قرباً من وجدان العصر في تناول الأساطير . . لحقق بهذا فتحاً عظيماً في عالم التجربة الشعرية الحديثة .

إن أمام الشعراء آفاقاً أرحب من مجرد إطار القصيدة الغنائية . . إن أمامهم المسرح والرواية والكتابة للأطفال وغير ذلك من الأشكال التي تصلح لأن تصب فيها الأساطير ونخرج منها بالجديد النافع .





بقلم: محمد المكي إبراهيم

بـالله هـلْ وادي العقيـق ومـاؤه
العـذبُ الـزلال وضالـه المتـداني

كالعهـد زاهٍ زاهـر أم غـيَّرتْ
منـه السـنونُ وطـارقُ الحـدثان

يا بـالي الأطـلال قُـلْ لي هـل دَرَى
أهلـوك أن الشـوق قـد أبـلاني

لو كنـت شـاهدنا عشـية وذَّعـوا
وحـدا الـظعائن سـائق الأظعـان

لعلمتَ أن لـواءَ أربـاب الهـوى
بيـدي وإني لا أقـاسُ بشـان

لو سئل المرء عن قائل هذه الأبيات الجزلة التي تتحدث عن وادي العقيق ، وما به من شجر السِّدر الكثيف ويقف شاعرها على الأطلال مستذكراً مشهد الرحيل ، وقد رفع الحادي عقيرته بالغناء ، ولـو كان المرء ممن لا يعرف الشاعر لجاز أن يذهب به الظن إلى أنه من شعراء العصر العباسي الأول أو الثاني .

الشاعر .. وحياته

وحقيقة الأمر أنها للشاعر محمد سعيد العباسي شيخ الشعراء في السودان وأحد الأصوات الجهيرة الداوية في مسيرة الشعر السوداني ، فهي عباسية فقط من حيث انتسابها لشاعرها العباسي لقباً وليس بالعباسي عصراً وزماناً . فقد ولد الشاعر في رمضان سنة ١٢٩٨ للهجرة في قرية على **النيل الأبيض بالسودان** . ومات عن نيف وسبعين سنة .

كان مولده في أسرة دينية كبيرة من أعرق الأسر السودانية .. فجده زعيم ديني كبير له أتباع ومريدون في مصر والسودان ، ووالده كان وريث ذلك المجد على عهد الحكم التركي في السودان ، وكان من علماء العهد البارزين ، وعليه تتلمذ **محمد أحمد المهدي** محرر السودان من حكم الأتراك ، ومنشئ الدولة الإسلامية التي حفظت للسودان كيانه المستقل قرابة عقدين من الزمان في عهد تميّز بالاكتساح الاستعماري لكل أركان العالم القديم .

وتعلم العباسي يدين في الأساس لوالده وأصدقاء والده من العلماء .. **فعلى أيديهم تلق علوم الدين واللغة ومبادئ الشعر** ، وفي عام ١٨٩٩ للميلاد سافر إلى مصر ملتحقاً **بالكلية الحربية** فيها بين نفر قليل من السودانيين وكان ذلك خليقاً بأن يجعله من أرباب السيف والقلم **كالبارودي ، وحافظ** ولكن نظام الترقي في الكلية ، والقائم على أقدمية الالتحاق دون سواها من الاعتبارات لم يتجاوب مع طموحه وتفوقه الدائم على أقرانه فاستعفى من الخدمة العسكرية قبل التخرج وعاد إلى السودان .

البيئة العلمية

ويروي لنا العباسي أنه اتصل على أيامه في مصر بأستاذ اللغة العربية بالكلية الحربية وأنه **« مال إليه » ، و « أدناني ، وصار يملي علينا في الحصة شيئاً من الشعر ويطالبني بنوع خاص باستظهاره وحفظ معانيه »** ، ويقول عنه العباسي أنه « أحد اثنين نشَّآني على الأدب وقرض الشعر أحدهما **أبي الأستاذ محمد شريف »** . وواقع الحال أن الفضل الأكبر في ثقافة العباسي **يعود لوالده والبيئة العلمية التي نشأ في أحضانها** بفضل ذلك الوالد ، وما كانت الفرصة لتتاح له للتبحر في علوم اللغة والنحو والعروض لولا نشأته الخاصة في ذلك البيت العريق من بيوت العلم والفضل في السودان ، لا سيما أن العهد السياسي الذي نشأ في أحضانه تميز بالحروب والقلاقل ، واقتصر التعليم فيه على أساسيات الدين والكتابة والقراءة .

وبعد عودته إلى السودان وجد العباسي صعوبة بالغة في التكيف مع البيئة السائدة ، ومع أبناء جيله الذين تميز عنهم بالعلم الذي تلقاه بينما أغلبيتهم الساحقة **من الأميين** . وجدَّت ظروف عائلية حرمته من تولي الرياسة في بيته وعشيرته ، فآثر البعد عن كل ذلك **معتصماً ببوادي السودان** التي ظل يجوبها من أقصاها لأقصاها ، مطوَّفاً على أحبابه ومريديه وعارفي فضله ، خاصة في إقليم النيل وغرب السودان بين القبائل البدوية المترحلة ، مشاركاً إياها حياة البداوة والتجوال التي راقت له ولمست أكثر من وتر في نفسيته ، بما فيها من قيم البساطة والحرية والانطلاق .. فأحب البادية بمجامع قلبه ، وأحب أسلوب حياتها حباً صافياً نبيلاً ولا غرو في ذلك فهو القائل :

ومرامي إحدى اثنتين فإما
عيش حر أو لا فوتة حر

ولا غرابة أن يتعشق العباسي **أسلوب الحياة البدوي** فقد كان فارساً بالنشأة والدراسة ، وكانت له مثل عليا في الحياة تجاوبت مع البيئة البدوية ، كما تجاوبت معها روحه الشاعرة ، وما يختزنه صدره من سوامق الشعر العربي القديم الذي يعبر هو الآخر عن بيئة بدوية مماثلة .

شعره

ويتقمص العباسي في أشعاره عن البادية **شخصية الشاعر العربي القديم وأسلوبه** .. فيميل إلى **الجزالة والقوة** حتى ليبدو الفرق واضحاً كبيراً بين أشعاره البدوية وأشعاره فيما عدا ذلك من الأغراض . وإذا عقد المرء مقارنة سريعة بين المقطوعتين التاليتين لوجد في



الأولى (**الحضرية**) عذوبة مترقرقة ولوجد في الثانية (**البدوية**) فحولة وقوة وجزالة نابعة من الجرس القوي المهيب والألفاظ المدوّية الرنانة .

هذه الأبيات من قصيدة يتشوّق فيها لأيام الشباب في مصر :

يـا حبـذا واد نـزلتُ وحبـذا
إبداعُ مـن ذرأ الـوجودَ ومـن بـرا
مصر ومـا مصر سوى الشمس الـتي
بهـرتْ بثـاقب نـورها كل الـورى
يا مَنْ وجـدت بحبهـم مـا أشتهـي
هل مـن شـباب لي يبـاعُ فيُشـترى
ولو انهـم ملـكوا لما بخلـوا بـه
ولأرجعـوني والـزمان القهقـرى

أما في المقطوعة التالية فيصف العباسي رحلة على ظهور الإبل من الخرطوم إلى مدينة النهود في غرب السودان :

لا تعـذليني فـإني اليـومَ منصرفٌ
يا هـذه لهـوى المهـرية القُـود
لم يبـقَ غـيرُ السُّرَى مـما تُـسرُّ بـه
نفسي وغير بنات العيـد مـن عيـد
المدنياتي مـن رهـطي ومـن نفـري
والمبعـداتي عـن أسري وتقييدي
أثـرتها وهـي بـالخرطوم فـانتبذتْ
تـكاد تقـذف جلمـوداً بجلمـود
تؤمُّ تلقاءَ من نهـوى فـكم قـطعتْ
بنـا بـطاحاً وكم جـابتْ لصـيخود
حتى تـراءت لحـادينا النهـودُ وقـد
جئنـا على قـدر حـتم ومـوعود

وقارئ هذا الشعر على أزماننا هذه سيميل بلا شك إلى اعتباره شعراً تقليدياً بالمعنى الحرفي للكلمة باعتبار أنه شعر ينظر إلى قصائد المتقدمين وينسج على غرارها دون أن يكون وراء ذلك **صدق شعوري أو تجربة معاشة** .

ولقارئ اليوم أن يدّعي أن صاحب هذه الأبيات قد نظر إلى قصيدة **المتنبي «عيد بأية حال عدت يا عيد»** ثم نسج على منوالها مقلداً دون أن يتكلف عناء التجربة والشعور . وقد يصدق هذا التحليل على كثير من شعراء التقليد ، لكنه لا ينطبق على العباسي الذي أسلفنا أنه قضى الشطر الأكبر من زمانه في حياة البادية والبداوة ، وأنه يصدر في شعره عن تجربة حقيقية ، ولا يضيره أن يترسم خطى الأقدمين في التعبير عن تلك التجربة فإن **شعر الأقدمين هو موروثه الشعري الوحيد وأنموذجه التعبيري القياسي** .

وقد يخفى ـ إلا على العارف والفطن ـ أن السودان **ليس كله فيلاً وغابات** وأن الجزء الأكبر من إقليمه **صحراوي أو قريب إلى الصحراوي** ، وتقطنه قبائل عربية خالصة اعتصمت بالبوادي بعيداً عن

●● قصيدة (عهد جيرون) للشاعر السوداني محمد سعيد العباسي ●●

أرقتُ من طـول هـم بـاتَ يعـروني
يثيرُ مـن لاعـج الـذكرى ويشـجوني
منّيـتُ نفسي آمـالا يمـاطلني
بها زمـاني مـن حـين إلى حـين
ألـقى بصـبري جسـام الحـادثات ولي
عزمٌ أصدُّ بـه مـا قـد يـلاقيني
ولا أتـوق لحـال لا تـلائمها
حـالي ، ولا مـنزل اللـذات يلهيـني
ولستُ أرضى مـن الـدنيا وإن عـظمت
إلا الـذي بجميـل الـذكر يـرضيني
وكيف أقبلُ أسباب الهـوان ولي
آباء صـدق مـن الغـر الميـامين
النـازلين على حـكم العُـلا أبـداً
مـن زيّنـوا الـكون منهـم أيَّ تزيين
مـن كل أروع في أكتـاده لبـد
كالليث والليث لا يغضي على هـون
وقد سلا القلبُ عـن سـلمى وجـارتها
وربمـا كنـت أدعـوه فيعصـيني
مـا عـذر مثلي في اسـتسلامه لهـوى
يا حالة النقص مـا بي حـاجة ، بيـني
مـا أنسَ لا أنسَ إذ جـاءتْ تعـاتبني
فتّـانة اللحـظ ذات الحـاجب النّـوني
يا بنـت عشريـن والأيـام مقبلـة
ماذا تـريدين مـن مـوعود خمسـين

كل تأثر . . فحافظت على خصائص العنصر العربي فيها من مظهر مادي ، وأسلوب حياة ، ولهجة تخاطب ، على عكس القبائل العربية التي استقرت على طول النهر **فاختلطت بالعناصر الحامية والزنجية** ، واعتمدت حياة زراعية مستقرة ، وأخذت من تلك العناصر عديداً من التأثيرات رغم حفاظها على المكونات الأساسية للعنصر العربي فيها .

وتسكن بادية غرب السودان **قبائل الكبابيش والهوار ودار حامد وبني جرار** . ولا خلاف يذكر بين أسلوب حياتهم وأسلوب البدو في أي بلد عربي آخر ، فهم يسكنون **بيوت الشعر** ، ويعيشون على تربية الإبل في ترحال دائم وراء مصادر الماء والكلأ ، ولهم رحلة سنوية يقومون بها إلى مشارف **الصحراء الليبية وصحراء « التشاد »** طلباً للكلأ الذي يزهر في الصحراء في فصل الشتاء ، فإذا فرغوا من ذلك عادوا إلى صحراء السودان في فصل الخريف الذي يقع في أشهر الصيف فيجدون الغدران ممتلئة بالمياه ومنابت الكلأ مزدهرة بالخضرة والإيناع .

وقد عاش العباسي في هذه البادية بين قبائل الكبابيش وقال فيها الكثير من قصائده ، وافتتاحيات بعض قصائده الأخرى . وحين تقدم به العمر واستقر به المقام بين أهله على النيل ظل يتذكر أيام البادية مستعبراً على ما حفلت به من **الصفاء الروحي والسعادة المادية** . وتسيطر على ذكرياته منزلة الحمراء في بادية الكبابيش (وهي عاصمة إدارية صغيرة) ويخصها بكثير من بدايات قصائده :

يا برق طالع ربى « الحمرا » وزهرتها
واسق المنازل غيداقاً فغيداقا
وإن مررت على الحتان حي به
من المناشط قيصوماً وطبّاقا
ومن إذا سمعوا من نحونا خبراً
والليل داج أقاموا الليل إيراقا

وله أيضاً كلمة يقول فيها :

فيا دارة الحمراء بالله بلّغي
هناك حبيباً بين كثبانك الرُبد
بأني لا أنسى وإن شطت النوى
ليالي وصل غير مذمومة العهد
مُنىً قد أخذناها من الدهر خُلسة
بزهرة ذاك الحي في عيشة رغد
فمن لي بمَنْ يُملي الأحاديث عنهمو
ويا ليت شعري ما الذي أحدثوا بعدي
متى يأذن المولى في ذمّة السُّرى
وصولي وأيدي العيش ترفل أو تحذي

الشاعر . . والغزل

إلا أن التأثير الأقوى والأعمق للحياة البدوية يتجلى في **غزلياته** التي تدور في إطار بدوي من الحرية والانطلاق . وتتميز التجربة الغزلية عند العباسي **بقوتها التعبيرية وشحنتها الانفعالية العالية** . وفيها يجد الشاعر صوته الخاص مزيجاً عن نفسه ركام المحفوظات والتأثرات . ونضرب مثلاً على ذلك بهذه المقطوعة الرقيقة التي **يفتتن بها أهل الأدب في السودان أيما افتتان** :

مررتُ بالحيّ ضُحىً أروضُ مهراً أدهما
مرتدياً من الشباب ضافياً منمنما

قد كان لي قبل هذا اليوم فيك هوى
أطيعه ، وحديث ذو أفانين
ولامني فيك والأشجان زائدة
قوم وأحرى بهم ألا يلوموني
أزمان أمرح في بُرد الشباب على
مراسح اللهو بين الخُرّد العين
والعود أخضر والأيام مشرقة
وحالة الأنس تغرى بي وتغريني
أفديه فاتر الحاظ وقل له
« أفديه » حتى سعى نحوي يفديني
يقول لي وهو يحكي البرق مبتسماً
« يا أنت يا ذا » وعمداً لا يسميني

يا عهد جيرونَ كم لي فيك من شجن
باد سقاك الرضا يا عهد جيرون
ولا يزال النسيم الطلق يحمل لي
ريا الجناب ويرويه فيرويني
واليوم مذ جذبت عني أعنتها
هذي الظباء وولت وجهها دوني
وعارض العارضين الشيبُ قلتُ له
أهلاً بمَنْ رجحتْ فيه موازيني
كففتُ غربَ التصابي والتفتُّ إلى
حلمي ولم اك في هذا بمغبون
وصرت لا أرتضي إلا العلا أبداً
ما قد لقيت من التبريح يكفيني



لقيتــــه في أربــع بيض كأمثـال الـدُمى
شـابهن أزهـار الـربيع وحـكين الأنجما
أو الجمان نـظموا فـريدَه فـانتظما
وقفـتُ فـاستسقيته وشـدَّ مـا بي مـن ظما
جـاء بمـاء قلـتُ هـلْ حاجة مثلي منك مـا (ء)
أنشدته من فـاخر الشـعر رصـيناً محـكما
فــرقَّ لي مـستسلما ومـال نحـوي منعما

كما يوفق العباسي في شعره الغزلي إلى التعبير عن البيئة السودانية وملامحها الخاصة ، والسلوك المميز لإنسانها . وفي المقطوعة التالية يتحقق للعباسي هذا التعبير الخصوصي عن البيئة حين يجعل حبيبته تناديه قائلة **(يا أنت يا ذا)** جرياً على سنة نساء السودان في الحشمة والتأدب والحياء بعدم مناداة الرجل (زوجاً أو حبيباً) باسمه الصريح :

أزمان أمرح في برد الشباب على
مراسح اللهو بين الخرد العين
والعود أخضر والأيام مشرقـة
وحالة الأنس تغري بي وتغريني
في ذمة الله محبوب كلفت بـه
كالريم جيْداً وكالخيروز في اللين
يقول لي وهو يحكي البرق مبتسماً
«يا أنت يا ذا» وعمداً لا يسميني

ولا يخفي العباسي على قارئه أن تلك التجارب العاطفية وقعت لـه في البادية إذ يفهم القارئ عنه ذلك من مقتضيات السياق :

إنْ زُرتُ حيًا أطـافتْ بي ولائـده
يفدينني فعلَ مـودود بـودود
وكم بَـرزْنَ إلى لقيـاي في مـرح
وكم ثنـين إلى نجـواي مـن جيـد
لو استطعنَ وهُـنَّ السافحاتُ دمى
رشفنني رشف معسول العناقيد

وكذلك في قوله :

والله مـا الـروض المطـير سقته أنفـاسُ الغمامـه
بـالذُ مـن وصـل الـذي قـد زرتُ في لهف خيـامه
حـتى انتهيـتُ لخـدره ونـزعتُ عـن قمـر لثـامه
فـرنا وبـات مـطوِّقاً من ساعدي طوقَ الحمامه

وقد توحي هذه النماذج العديدة وما قدمناه عن ولع العباسي بالبادية بأنه **سلفي التفكير ، ومن دعاة الانغلاق على أسلوب الحياة الموروث** . ولكن قارئ ديوانه يفاجأ **بفكره المتقدم** الذي يتركز حول قضية التحرر من الاستعمار ويرى في العلم وسيلة أساسية لبلوغ ذلك الهدف ، فنجده ينادي **بنشر التعليم** كما ينادي **بتعليم المرأة** ويحض الشعب على الأخذ بأسباب التقدم والبناء في مختلف مظاهرهما وأشكالها .

ويتخذ من الحضارة الغربية موقفاً متوجساً متردداً ، فهو يعرف ما تنطوي عليه من أسباب القوة والتقدم والرفاه ، لكنه يبصر ما تنطوي عليه من المحاذير والأخطار فيدعو إلى **الحذر** في التعامل معها وعدم الاستغراق فيها ، لكنه لا يجد منهجاً لذلك .. فهاجسه الوحيد هو **الحذر** :

واحـذروا هـذه الـتي زفهـا
الغـرب إليكم حضـارة بـراقه

ثم :

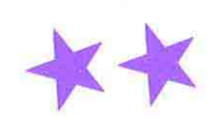
يا حسنها لو حوت أمناً وعافية
لكنها قد حوت فتحاً وإحداقا

ثم :

جزى الله هاتيك الحضارة شر ما
جزى من تصاريف الزمان المعاند
فلم تـك يـوماً والحوادث جمة
حمى لضعيف أو صلاحاً لفاسد

ولا شك أن هذه نظرة مصيبة من رجل مضى على مولده مائة عام تتالى من بعده المفكرون المسلمون فأوضحوا **محاذير الغزو الثقافي الغربي وما يمثله من مخاطر على أصالة الشرق المسلم ، وتراثه الروحي والحضاري** ، فأثبتوا بالعلم والتجريب ما توصل إليه بالحدس والشعور .

رحم الله العباسي فقد ترك إضافة مبدعة لتراث الشعر في السودان ، وعبر السودان أضاف إلى تراث الشعر العربي صوتاً بدوياً مجلجلاً تستحليه الأذن (حتى الأذن الحديثة) في زمان يتميّز **برخاوة التعابير وخفوت الصوت وغموض المعاني** . فالله نسأل له الرحمة والغفران بقدر ما أسدى لحركة الثقافة في وطنه وأمته .





ماكس فريش .. ومسرح المستقبل الحر

بقلم: جلال العشري

تياران متناقضان قدر على المسرح أن يمضي فيهما معاً وفي وقت واحد ، أحدهما هو تيار المسرح الملحمي الذي أطلقه الكاتب الكبير برتولد بريخت ، مؤكداً أن الشكل الملحمي هو أنسب الأشكال تعبيراً عن الدراما المعاصرة ، وهو أكثر الأطر ملاءمة لتصوير أزمة إنسان العصر ، فهو الأقدر على احتواء الوجود البشري ، وهو الأجدر بحمل هموم المجتمع الإنساني ، لأنه في النهاية الصانع لنسيج الدراما على مقاس صورة العالم .

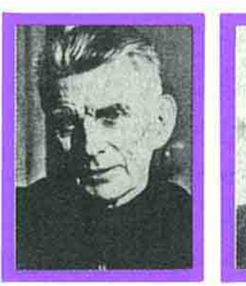
أما التيار الآخر فهو تيار **المسرح العبثي** ، الذي تبلور على أيدي كل من **صمويل بيكيت ، ويوجين يونسكو ، وآرتور آراموف** وغيرهم ممن حاولوا تحطيم الصيغ المنطقية للدراما التقليدية ، سواء في مفهوم الشكل والمضمون واللغة ، أو في معنى الحدث والزمن والمكان ، انطلاقاً من رؤية فلسفية خاصة للحوار الدائر بين الواقع والحياة ، وسعياً وراء اكتشاف أبعاد جديدة للدراما المعاصرة .

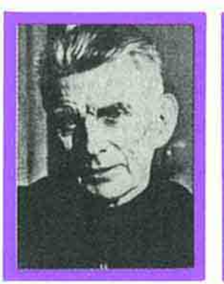
رد اعتبار الوجود البشري

وبينا يمضي تيار المسرح الملحمي في خط مواز ولكنه متناقض مع تيار المسرح العبثي ، وفي الوقت الذي أشعلت فيه نيران **الحرب العالمية الثانية** ستائر المسرح الألماني ، ظل مسرح زيوريخ بالرغم من انعزال سويسرا عن معترك السياسة العالمية ، هلّ شعاع الأمل الأوحد لتجسيد الدراما الألمانية ، واحتضان الفكر الإنساني الحر الذي يعمل على رد اعتبار الوجود البشري .

فوق خشبة هذا المسرح ، ترعرعت أعمال الكاتبين السويسريين .. **ماكس فريش ، وفريدريش ديرنمات** ، وقد جاء كل منها من نبع ليصب في واد ، فاتفاقهما تلاق بين رؤيتين ، واختلافهما تباعد بين رأيين ، ولكنهما بالتقائهما في الرؤية وابتعادهما في الرأي ، حاولا بصدق حقيقي أن يزاوجا بين هذين التيارين في مركب جديد ، يأخذ منهما ويضيف إليهما ، غير منعزل عن ملحمة الواقع العبثي ، أو منسلخ عن عبث الواقع الملحمي .

فبينا يعتمد ديرنمات على المفارقات الاجتماعية الصارخة والتناقضات البشرية الحادة ، من أجل تركيب مواقف درامية لاذعة ومريرة ، نجد فريش يغلف مسرحه بغلالة شعرية حزينة ورقيقة ، فيها شجن إنساني نبيل ، وبوح عاطفي راق ، وبينا يعمد ديرنمات إلى إظهار الشرخ القائم في العلاقات الاجتماعية ، والصدع الظاهر في الكيان البشري ، نجد فريش يغوص في أعماق


★ ديرنمات ★


★ بيكيت ★

الوجود الإنساني ، باحثاً عن الجرثومة الرابضة في أعماق هذا الوجود ، تحاول أن تثقبه من حين لآخر ، من أجل النفاذ إلى سطح العالم .

السباحة ضد .. ومع التيار

أجل .. لقد ظهر الكاتب المسرحي السويسري ماكس فريش حائراً بين كلا التيارين .. يحاول السباحة في أحدهما دون أن يطيق الابتعاد عن السباحة في التيار الآخر ، فلا هو قادر على السباحة في كلا التيارين ، ولا هو قادر على الاكتفاء بأحدهما دون الآخر ، لذلك كان لزاماً عليه أن يزاوج بين كلا التيارين ، وأن ينشئ منهما تياراً واحداً جديداً ، يكون بمثابة المركب من النقيضين .

وكان هذا التيار الجديد هو ما سماه الناقد الدرامي الشهير **مارتن إيسلن بمسرح المستقبل الحر** ، ذلك المسرح الذي يمزج العبثي بالملحمي ، محاولا الكشف عن عبث الواقع في إطار ملحمي ، وإبراز ملحمة الواقع بأسلوب عبثي ، معتمداً على نقاط التلاقي بين محاولة **برتولد بريخت** تفجير الطاقة الكامنة في



ضمير الإنسان ، ومحاولة **صموئيل بيكيت** تمزيق القشرة الخارجية لمأساة الإنسان .

ومن هنا كانت محاولة ماكس فريش البحث عن الفردوس البشري المفقود ، بإعادة الكرامة إلى ضمير الإنسان ، والحنين إلى قلب العالم ، وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، حين أسدلت ستائر المسرح الأوروبي ، ولاذ كتاب المسرح إما بالصمت أو بالفرار أو بالانتحار ، ولم يعد غير **مسرح زيوريخ في سويسرا** كوة للنور التي يلوح منها ضياء الأمل وإشعاعات المستقبل .

وربما كان هو المستقبل الضبابي القاتم ، والأمل الترابي الحزين ، ولكنه الشيء الأفضل من اللاشيء ، لأنه محاولة التوافق مع العالم من جديد ، والتزاوج مع الحياة مرة أخرى .

وهذا ما عبَّر عنه ماكس فريش بقوله : « قد أعتبر أن مهمتي ككاتب مسرحي قد انتهت تماماً لو أن إحدى مسرحياتي توصلت إلى طرح السؤال بحيث لا يقدر المتفرجون على العيش إلا إذا وجدوا الجواب ، جوابهم ، جوابهم الخاص ، ذلك الجواب الذي لا وجود له إلا في الحياة ذاتها » .

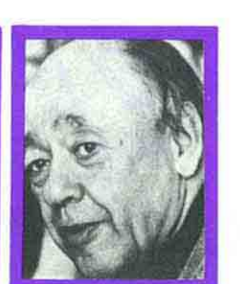
مسرح الأمل اللامعقول

وماذا عن مسرح ماكس فريش ؟

إنه كما يقول زميله ومعاصره فريدريش ديرنمات : « مسرح الأمل اللامعقول ، الأمل الذي لا تغير له ، الأمل الذي لا يقهر ! » .

ويفسر ماكس فريش ذلك بقوله : « لقد علمنا أن في نسيج الواقع ثقوباً تفغر أفواهها ، كما علمنا أن برهان كل شيء غير ممكن ، ولذلك فأنا آمل ، وإن لم يكن ثمة أمل ، إنني أستقي دواعي أملي بالرغم من العقل ، من نعمة اللامعقول » .

وهذا هو مغزى الرواية التي كتبها ماكس فريش بعنوان « **ليكن اسمي جانتبين** » . وهي



★ يونسكو ★ ★ بريخت ★

قصة رجل أراد أن يكون أكثر من شخص واحد ، وأن يعيش أكثر من حياة واحدة ، وأن يدخل في أكثر من إطار اجتماعي ونفسي ، وذلك لكي يكشف المجتمع أو ينكشف له المجتمع .

وهذه القصة وإن أكدت أن الإنسان أكثر من شخص واحد ، إلا أنه لا يعرف تماماً أي هؤلاء الأشخاص هو نفسه ، ويؤكد ماكس فريش أن الإنسان لكي يعرف نفسه يجب أن يكون إنساناً آخر ، صحيح أن المشكلة التي سوف يواجهها أي إنسان عندما يقوم بهذه التجربة هي مشكلة كيف يعود إلى نفسه أو كيف يرتد إلى حقيقته ، ولكن ألسنا كما يقول **جان بول سارتر** نعيش مع الآخرين ، والحياة مع الآخرين تجعل الإنسان « آخراً » بالنسبة إلى نفسه . . . تجعله « واحداً » من الآخرين ، وهو عندما يكون آخراً بين الآخرين ، يختلف تماماً عن حقيقته ، ويبتعد كثيراً عن ماهيته ؟ .

ولكن إحساس الإنسان بأنه « مع » الآخرين ، لا يدل على أنه موجود معهم ، وإنما متجاور معهم في المكان فقط ، وهذا التجاور مشروط ، لأن الإنسان لكي يعيش مع الآخرين ، عليه أن يلتزم قيود الآخرين ، تلك القيود الحريرية التي لا تكاد ترى ، وعليه أيضاً أن يتشابه مع الآخرين وأن يندمج فيهم ، وفي هذا التشابه وذاك الاندماج تتشكل دراما الحياة البشرية ، أو مأساة الوجود البشري ، دراما الصراع بين الوهم والحقيقة ، ومأساة التناقض بين الواقع والخيال .

هذه العلاقة المتوترة بين كلا الطرفين . . هي التي ينشأ عنها الصراع ، وهو ما يسميه ماكس فريش بجوهر الدراما ، أو بتعبيره هو المجال المسرحي .

نظرية المجال المسرحي

يقول ماكس فريش ، رداً على سؤال من سأله ، ما المسرح ؟

« المسرح . . ماذا أقول لك . . لو أنني صورت اثنين يجلسان معاً ويتناولان فنجاناً من القهوة ، إلى هنا ليس في الأمر شيء . . أما إذا علمت أن في فنجان أحدهما جرعة من السم ، هنا تولد الدراما ويوجد المسرح ! » .

وهذا معناه أن الفعل الخارج عن حدود المصادفة ، الفعل الحادث في هذا المشهد ، هو الشيء الذي يستحق المشاهدة ، وهو الرمز الدال على الصورة ، وبدونه تصبح الصورة شيئاً عادياً بلا معنى . هذا بالإضافة إلى أنه يصبح كما النافذة التي تفتح على مساحة أخرى ، والتي تدعونا إلى الدخول وتسمح لنا بالمشاهدة ، وهكذا فنحن نجلس في صالة المسرح ، ونشاهد الأشياء عارية ، نرى الحقائق بوضوح .

من داخل هذا المجال المسرحي خرج ماكس فريش برؤيته الخاصة عن الفن ، فعنده أن مهمة الفن ، إن كانت للفن مهمة على الإطلاق ، ومن ثم مهمة الدراما في عصرنا الحاضر ، هي إيجاد شيء محسوس ، شيء له شكل ، وأفضل نوع لتحقيق هذا هو **الكوميديا** ، فالتراجيديا ، وهي أكثر الأنواع الفنية تحديداً ، تفترض عالماً يتمتع بالشكل ، أما الكوميديا ، طالما لم تكن مجرد سخرية من مجتمع بعينه ، مثل الكوميديا الموليرية ، فهي تفترض أن العالم لا شكل له ، وإنما هو بصدد التشكيل ، أو أنه يعاد تشكيله من جديد .

ولكن هل يعني هذا موت التراجيديا ؟

كلا بطبيعة الحال ، فالتراجيدي ما زال ممكناً ، رغم أن التراجيديا الخالصة لم تعد كذلك .. تراجيديا خالصة ، ولكننا **نستطيع أن نحقق التراجيديا من خلال الكوميديا ، كلحظة مرعبة ، كهوة تفتح فجأة ، كقنبلة مسيلة للدموع ، وما تراجيديات شكسبير حقاً سوى كوميديات ينشأ عنها التراجيدي .**

وعند ماكس فريش كما عند فريدريش ديرنمات أن العالم أكبر بكثير من أي إنسان ، ومن ثم فهو بالضرورة يهدده بصورة مستمرة ، وإذا ما استطاع الإنسان أن يقف خارج العالم ، لما أصبح لتهديد ذلك العالم أي وجود ، ولكن الإنسان لا يملك الحق ولا المقدرة على أن يكون غريباً عن العالم ، فما زال في الإمكان تصوير الإنسان على أنه مخلوق شجاع .

تكرار هي الحياة !

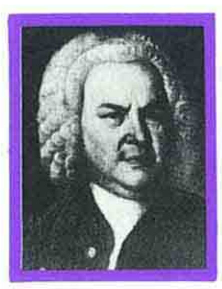
من فوق هذه الفلسفة الدرامية كتب ماكس فريش مسرحيته « **أمير الأراضي البور** » عام ١٩٥١ م ، وفيها نجد نوعاً من المزج بين الحقيقة والحلم ، بين الواقع والخيال ، بين الذي مضى والذي سوف يجيء . . .

فبطل هذه المسرحية رجل من رجال القضاء ، ولكن أحداً لا يعرف بالضبط إن كان الذي حدث له حلم أم حقيقة ، وإن كان يحلم بتغيير العالم أم بتغيير نفسه ، وما إذا كان قد عاش من ألوف السنين أم أنه يعيش في عالمنا الحاضر ؟ .

كذلك لا يعرف أحد بالضبط إن كانت الخادمة التي تعيش معه ، وتسهر على راحته هي حقاً خادمة ، أم أنها غير ذلك ، وإن كان ما قد رآه هو حلم خادمة ثم التقى حلم الخادمة وحلم سيدها في هذه المسرحية :



★ شكسبير ★



★ باخ ★

« هو : يجوز . . . ويجوز لا . بكل هذه الأشياء يربط الناس آمالهم .. السهرات والإجازات ، إنهم يقضون حياتهم بحثاً عن شيء بدلا من شيء آخر ، حتى الحياة بعد الموت ، إنها بديل عن هذه الحياة أيضاً ، فمن الممكن حرمان الناس المعذبين الذين يجلسون إلى مكاتبهم من مثل هذه البدائل .. وحينئذ تصبح حياتهم أليمة ، وتتحول نفوسهم إلى شيء مخيف ، من يدري ؟ ربما كانت هذه الفعلة التي نسميها جريمة ليست إلا اتهاماً دامياً للحياة نفسها .. ضد تأجيل البحث عن شيء بديل ! » .

على أن هذا الضباب الكثيف الذي يجثم فوق صدر الحقيقة فنراها وهماً ، ويجثم على عاتق الواقع فيتبدى لنا خيالا ، وهو ما عبَّر عنه ماكس فريش بقوله : « ليست الحياة إلا وهماً ، بدأت أعي ذلك وأدركه ، تكرار هي الحياة ، وعندما يخترق الإنسان الجدران ، تحل اللعنة ، وتكون النهاية ، ولا تعود لأية « فأس » فائدة ، تكرار هي الحياة ، حتى يستيقظ الإنسان على موته ، كما لو أن كل ذلك لم يحدث أبداً ! » .

أقول إن هذا الضباب الكثيف الذي بدد ضوء الحقيقة أمام عتمة الواقع ، هو الذي أدى إلى ميلاد العبث في عالم ماكس فريش ، ذلك أن الموت باعتباره الحقيقة الأليمة التي تجعل من الحياة ظاهرة عرضية أو عارضة ، هو جوهر العبث .

والفأس التي أشار إليها بطل هذه المسرحية ، إن هي إلا رمزاً لرفض النظم الآلية ، واللوائح الوضعية التي تلغي إنسانية الإنسان ، وتكشف عن التناقض الكامن في طبيعة هذه القوانين التي وضعت أصلاً للمحافظة على إنسانية الإنسان ! .

العبث يمشي على قدميه

وفي مسرحية « **مشعلو الحرائق** » التي كتبها ماكس فريش عام ١٩٥٨ م ، نراه يتحدث عن مدى سذاجة الإنسان ، وفقدانه القدرة على الحب ، وإقدامه على حرق كل ما صنعت يداه بكل هدوء وبساطة ولا مبالاة .

فعندما ظهر **هتلر** في ألمانيا ، وجهز جيوشه للحرب ، واعداً الجماهير بالخير الوفير ، لم يتشكك أحد في نواياه ، ولم يرفض أحد سماع كلماته ، الناس .. كل الناس .. صدقوا ما سمعوه ولم يصدقوا ما رأوه ، صدقوا أنه رجل سلام ولم يصدقوا أنه مجرم حرب ! .

والمسرحية تؤكد هذا المعنى وتجسده ، فهي تصور رجلاً يخشى على بيته من الحرائق ، رغم أن كل البيوت المجاورة احترقت جميعاً بطريقة واحدة ، ويتقدم من بيته أناس يؤكدون له أنهم من مشعلي الحرائق ، ولكنه لا يصدقهم ، ويحاول أحدهم أن يؤكد له أنه حقاً من هؤلاء الناس ، حتى يغادر بيته ، ولكنه أيضاً لا يصدقه ، وتكون النتيجة أن يقدم مشعلو الحرائق على حرق بيته ، بنفس الطريقة التي أحرقوا بها بيوت الآخرين ، ورغم هذا كله ، لا يتصور الرجل الساذج ، السبب الحقيقي لإحراق بيته ، ويقف متسائلاً عن حقيقة هذا العبث ! .

ترى .. متى يدرك هذا الرجل الطيب أن الحرب هي أكثر الأشكال هستيرية لفزع العالم وحماقة الإنسان ؟! .



قيود .. ولكن من حرير!

ولكن إذا كان الوهم هو الذي أدى إلى ظهور العبث، فمن العبث ينشأ التمرد، صحيح أنه التمرد السلبي الذي يقف عند حدود الانفعال، وليس التمرد الإيجابي الذي يتجاوزه إلى الفعل، ولكن الفرار على أية حال أفضل بكثير من الانتحار، فهو يبقي على الأزمة بالوجود دون أن يقضي عليها بالعدم.

ففي مسرحية «سور الصين العظيم» ١٩٤٦م، يكشف ماكس فريش عن حقيقة الأسوار المصطنعة باسم النظام الاجتماعي، والوضع القانوني، والمبدأ الأخلاقي. فهذه جميعاً قيود من حرير، قيود تكبل حرية الإنسان، وتعوق حركته، وتنهاه عن الفعل، ليست كلها بطبيعة الحال، ولكن ما كان منها ضد طبيعة الإنسان.

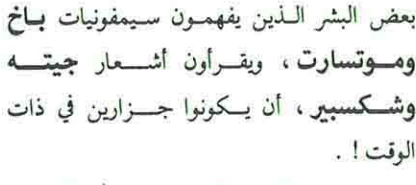
وفي لحظة بعينها يدرك الإنسان هذه الحقيقة، ويراها بعيون المثقفين، ويحاول أن يتخذ منها موقفاً، يحاول أن يهدم السور، ويقذف بحجارته في وجه ما في هذه النظم والأوضاع والمبادئ من زيف وخداع، ولكن الإنسان العادي سرعان ما يكتشف أن المثقف لا يفعل شيئاً، يقول كثيراً.. نعم.. ولكنه لا يفعل شيئاً! وكأنما وقف دوره عند الفكر دون أن يتجاوزه إلى الفعل.

وما هكذا ينبغي أن يكون دور المثقف، المثقف وعي ووعاء يحتوي كافة هموم البشر، مشاهدة لما يجري في العالم من حوله، ومشاركة لتصحيح مسار العالم، ولا يمكننا أن نعزل في المثقف بين القراءة والحياة، بين أنغام الموسيقى وصخب الشارع، بين صمت الكتب وعواء البشر.

أجل كما قال أحد أشخاص المسرحية.. لا يمكن أن يقال هذا شعب ذو ثقافة عالية لمجرد امتلاكه سيمفونيات رائعة وأشعار مجيدة، فمن



★ موتسارت ★ ★ جوته ★



خبرات جيلنا الحاسمة، اتضح لنا أنه في إمكان بعض البشر الذين يفهمون سيمفونيات **باخ وموتسارت**، ويقرأون أشعار **جيته وشكسبير**، أن يكونوا جزارين في ذات الوقت!.

هذا هو «التزاوج الشيزوفريني» أو الانفصام الفكري في تكوين بعض المثقفين!.

الفرجة .. والفكر!

غير أنه إذا كان لا بد من الفرجة لكي يكون الفكر، ولا بد من الانفعال لكي يكون الفعل، فإننا نرى «أندريا» في **مسرحية «أندورا»** التي كتبها ماكس فريش عام ١٩٥٩م، غاضباً بطريقته الخاصة، وغاضباً تمثلت قوته الغضبية في محاولته تحطيم الأطر التقليدية الجاهزة والبالية التي أعدها له المجتمع، وفرضها عليه فرضاً دونما عقد اجتماعي.

ولكنه عندما أحس بالعجز عن تصحيح المسار، وشعر بالفشل في تغيير الوضع، لم يترك نفسه فريسة لليأس، ولكن للشعور باللاجدوى، والإحساس باللامعنى، فما كان منه إلا أن حمل نفسه على قدميه، ووضع همومه على كتفيه، وارتحل إلى ذلك المكان البعيد من العالم، مدبراً عن كل شيء، ومديراً ظهره إلى كل شيء!.

ويأخذ فعل الهرب والفرار شكلاً أكثر فعالية في **مسرحية «دون جوان.. أو عاشق الهندسة»** التي كتبها ماكس فريش عام ١٩٥٢م، إذ نرى دون جوان الرومانسي الحالم، المشغول بذاته وملذاته عن كل ما حوله ومن حوله، يحاول التمرد على وضعه في نهاية المسرحية، فيقفز أمام المدعوين إلى قاع الجحيم، وهو يصيح:

«الحب وحده هو الذي يملك أن يهبنا نفوسنا!».

وعندما يسأل عن الحب.. هل هو جميل؟ وهل هو أيضاً بلا سبب؟ يأتيه الجواب:

«الحب يا صغيري جميل.. الحب كان منذ البدء.. الحب وحده هو الذي لا يبحث عن السبب!».

العرب .. فن وحضارة!

هذه إسقاطات ضوء على مسرح ماكس فريش، ذلك الكاتب السويسري العالمي، الذي زار عالمنا العربي في الآونة الأخيرة، حاملاً في قلبه كل الحب لهذا العالم، ذاكراً في عقله كل التقدير لحضارة هذا العالم.

وكم كان صادقاً ومنصفاً عندما قال على لسان بطله «دون جوان» في مسرحية «عاشق الهندسة» عن حضارة العرب في الأندلس:

«كم كانوا موهوبين أولئك العرب الذين شيدوا هذه الحدائق.. كانت لديهم موهبة الاستمتاع بالحياة.. كل هذه الأفنية.. وهذه البساتين الرطبة المنعشة.. مناظر جميلة في كل مكان.. والهدوء الذي يحتمه تصميم هذه الأماكن ليس هدوءاً موحشاً يشعرك بجو القبور.. بل هو هدوء يشعرك بغموض خيالي لهذا الأفق الأزرق الذي تراه من خلال تلك التكعيبات الرائعة.. يا له من فن.. ويا لها من حضارة!».





بقلم: عبد الفتاح مقلد الغنيمي

لقد كان من أثر تدفق الإسلام واندفاعه عبر الدروب والمسالك الصحراوية الممتدة من الشمال الإفريقي إلى منطقة السفانا جنوب الصحراء الكبرى أن ظهرت إلى الوجود ممالك إسلامية في تلك المنطقة الممتدة من جنوب الصحراء الكبرى حتى منطقة الغابات الاستوائية، ومن تلك الممالك **مملكة سنغاي** التي نقدم للقارئ نبذة عنها وعن النشاط الثقافي والفكري في تلك البلاد، وكذلك **ممالك غانا، ومالي، والفولاني، والتكرور، والهوسا، وكانم، والبرنو، وباجرمي، ووادي**.

وسنغاي أو سنغي أو سغي هي إحدى إمبراطوريات منطقة السودان الغربي أو غرب إفريقيا، كذلك فهي إحدى إمبراطوريات منطقة السفانا وهي المنطقة الواقعة بين خطي عرض ٩ درجات إلى ١٧ درجة شمال خط الاستواء، وتمتد هذه المنطقة حوالي ٦٠٠ أو ٧٠٠ ميل شمال خط الاستواء وذلك عندما تبدأ الصحراء الكبرى.

وهي نسبة إلى قبيلة سنغاي وهي قبيلة تسكن حول حوض نهر النيجر ثم أخذت تنتقل إلى الشمال مع النيجر، وفي القرن السابع الميلادي، كانت تسكن في منطقة تمتد حوالي ١٥٠ كم٢، ومن ثم بدأ شعبها يخضع لسلطة واحدة، **أما اليوم فهم يتوزعون بين جمهورية النيجر ومالي وفي المناطق المحيطة بغاو، وتوجد أقليات منهم في أغاديس وتمبكتو وجني وشمال داهومي**.

ومن ثم فإنه يمكن القول إنه إذا كانت إمبراطورية غانا هي أول إمبراطورية إسلامية تقوم في غرب إفريقيا ثم تنتهي على أيدي **شعب الماندنجو** من سكان مالي وتقوم بعدها دولة مالي لتسيطر على المساحات الواسعة التي كانت تمتلكها دولة غانا، فإن سنغاي قد جاء دورها لكي تقوم على أنقاض دولة مالي بعد أن تقوض بناؤها السياسي وتحل محلها في منطقة غرب إفريقيا ولذا ظهر اسم سنغاي في عالم القارة الإفريقية وعالم البلاد الإسلامية والعلاقات الدولية مع دول أوروبا وغيرها من الدول المعاصرة لها.

المد الإسلامي إلى سنغاي

لقد بدأ المد الإسلامي يتسرب إلى شعب سنغاي عن طريق العلاقات التجارية التي نشأت بينه وبين بلاد المغرب العربي أو عن طريق حركة القوافل المستمرة عبر الطرق الصحراوية أو عن طريق هجرات القبائل الرعوية وتحركها سواء كانت قبائل عربية أو بربرية أو عن طريق الرعاة الذين كانوا يخرجون للجهاد في سبيل إعلاء كلمة الحق، وليس من شك في أن لهذه الصلات المختلفة أثرها في التعريف بالإسلام في بلاد سنغاي.

ولقد أدى انتشار الإسلام على نطاق واسع إلى ظهور سنغاي عام ١٠٠٩م، كدولة إسلامية قوية، ولكن عظمة سنغاي وازدهارها قد بدأت في عهد **أسكي محمد** (١٤٩٣ ــ ١٥٢٨م)، فقد أفادت الدولة من خبراتها السابقة واتخذت حركتها التوسعية مظهراً إسلامياً واضحاً حين اتجه هذا الفاتح الإسلامي إلى إعلان الجهاد ضد الممالك الوثنية (**مملكة الموسى**)، ثم انساح في سهول السودان وبسط نفوذه غرباً إلى بلاد الماندنجو والفولاني وشمالاً حتى مواطن **الطوارق البربر**، وامتد نفوذه جنوباً بعد إخضاعه بلاد الموسى الوثنية، وتجاوز المد الإسلامي لسنغاي حتى وصل إلى شمال نيجيريا وإمارات الهوسا، وكان هذا المد الإسلامي بداية لظهور الثقافة الإسلامية وحضارتها الزاهرة، ونمو الحركة الفكرية والثقافية في هذه الجهات وذلك برحيل العلماء من تمبكتو إلى هذه الجهات في ظل نفوذ سنغاي الواسع، وأشرف النفوذ الإسلامي لسنغاي إلى منطقة **بحيرة تشاد** شرقاً، وبذلك **فإنه يمكن القول إنه لا توجد دولة في تاريخ السودان الغربي قد وصلت إلى هذا القدر من التوسع والازدهار وامتداد السلطان مثلما بلغت سنغاي**، فقد شمل نفوذ هذه الإمبراطورية منطقة السفانا كلها على امتدادها من الشرق إلى الغرب.

وقد استطاعت سنغاي أن تستمر دولة قوية الجانب ما يقرب من ستة قرون متواصلة وذلك حتى عام ١٥٩١م، عندما أرسل **السلطان منصور السعدي** سلطان المغرب الأقصى، قواته العسكرية لأنه كان يريد أن يعيد إلى الأذهان دور **المرابطين** في توسيع حركة المد الإسلامي إلى أرض السودان جنوباً، وكان ذلك في عهد **الأسكي إسحاق الثاني**، واستطاعت قوات المغرب أن تستولي على **العاصمة غاو**، ودخل جيش المغرب البلاد دون أدنى مقاومة.

علاقات سنغاي الخارجية

لقد كانت العلاقات القوية والمتينة التي ارتبطت بها سنغاي مع بلاد العالم الإسلامي سبباً قوياً في نمو الحركة الثقافية والفكرية في البلاد، وذلك لأن ملوك سنغاي قد سعوا إلى الاتصال بالقوى الخارجية الإسلامية المعاصرة تحقيقاً لروح الأخوة الإسلامية.. فقد خرج (الأسكي، يعني سلطان) محمد إلى الحج عام ٨٨٩هـ، واجتمع في موسم الحج بزعماء المسلمين، وتأثر بما رآه في مصر وبلاد المغرب التي مر بها من ثقافة عربية إسلامية مزدهرة، فاتصل **بالإمام السيوطي** وغيره من علماء عصره، ومن ثم عاد إلى بلاده متأثراً بما رآه من روح إسلامية خالصة، وقد تحدث **محمود كعت التمبكتي** في كتابه **«تاريخ الفتاش»** عن ذلك، ثم إن هذا السلطان أولى **جامعة تمبكتو** المزيد من العناية وشجع ازدهار الثقافة الإسلامية العربية إلى أبعد الحدود وشجع حركة الثقافة والفكر في بلاده،

الحركة الثقافية والفكرية في سنغاي

ولذا فإن **الحج كان من وسائل العلاقات القوية بين سنغاي والعالم الإسلامي** ، إذ إنه كل عام كانت تخرج قافلة كبيرة تضم بينها الأمراء والحكام وباقي عامة الشعب ، وكان يصحب هذه القافلة طلاب العلم والمعرفة في **جامعات القيروان وفاس والأزهر ومكة المكرمة والمدينة المنورة ودمشق وبغداد .**

وقد ارتبطت سنغاي بصلات قوية مع بلاد المغرب ، ولذا تأثر السكان بحضارة المغرب وأخذوا الإسلام على المذهب المالكي ، وتعاطوا الكتابة على الطريقة المغربية . وكان في كل مدينة من مدن سنغاي الكبرى مثل تمبكتو وجاو وجني وولاته وغيرها من المدن جالية مغربية كبيرة تتكون من العلماء والفقهاء والمدرسين والوعاظ والدعاة والتجار ، ومعظمهم كانوا قد تزوجوا بسودانيات مسلمات ، ومن طول المعاشرة وكثرة الوافدين من المغرب ومصر وباقي بلاد العالم الإسلامي انتشرت تعاليم الإسلام بين الجماهير الشعبية في السودان الغربي وخاصة سنغاي .

وكان لسلاطين سنغاي اتصال مع بلدان إفريقيا الغربية المجاورة ، وكذلك كان اتصال سنغاي ببلاد أوروبا وبلاد الشرق الأقصى بطريق غير مباشر ، إذ كان يتم الاتصال عن طريق مصر والمغرب ، وبذلك فإن العلاقات الخارجية لسنغاي كانت متصلة دائماً ، ولذا يمكن القول إن الصلات المختلفة والعلاقات المتبادلة ساعدت على ازدهار الحركة الفكرية في البلاد .

الثقافة الإسلامية في سنغاي

إنه يمكن القول بعد انتشار الإسلام على نطاق واسع فإن الثقافة التي سادت سنغاي كان طابعها عربياً لم تدخله أية تأثيرات أخرى ، ذلك لأن الشعوب الزنجية التي اعتنقت الإسلام وتشربت بروح الثقافة الإسلامية العربية لم تكن لها تقاليد ثقافية قبل قدوم الإسلام إلى تلك الديار ، ولذا فإن الثقافة التي انتشرت في طول البلاد وعرضها كانت ذات طابع مغربي ، وهذا طبيعي ، لأن الإسلام دخل هذه البلاد من المغرب فحمل معه إلى غرب إفريقيا تقاليد المغرب وثقافته ، لذا فقد انتشرت المعارف الإسلامية في البلاد وتعمقت المفاهيم الإسلامية أيضاً في نفوس الشعب ، لذا فإن سنغاي عندما ظهرت إلى الوجود قوية مستقلة عن مالي كانت دولة إسلامية في معارفها وعقيدتها ، ولقد كتب **الحسن الوزان** (ليو الإفريقي) يصف مظاهر الحضارة في سنغاي فيقول : « يوجد بها كثير من دكاكين الأطباء والعقاقير ومكاتب للقضاة ومنازل للفقهاء والمدرسين ورجال الدين ، وإن العلاج الذي كان يعالج به الأطباء ، والأحكام التي يصدرها القضاة ، والمفاهيم التي عرفها العالم الإسلامي ، سواء في الدين أو الرياضة أو المعارف العامة ، والتي كانت تملأ عقول المتعلمين كانت كلها هي نفس المعارف التي عرفها العالم الإسلامي » . وبذلك فإن سنغاي قد عرفت كل المعارف التي توصل إليها العالم الإسلامي ، سواء عن طريق الكتب التي تصل عن طريق الفقهاء والتجار ، أو عن طريق طلاب البلاد الذين كانوا يدرسون في مصر وشمال إفريقيا والحجاز .

وقد وصل العلماء إلى سنغاي من فاس والقيروان وطرابلس وتونس والحجاز وبلاد الشام والعراق ، وقد ظهر ذلك واضحاً في كتابات السعدي وأحمد بابا ومحمود كعت وغيرهم ، وقد ظهرت مؤلفات العلماء السودانيين من أهل سنغاي في الفقه والمنطق والنحو والتاريخ والعروض وكلها تأليف علماء من سنغاي ، كما قام بعض أهل سنغاي من العلماء بالتدريس في الأزهر مثل **الفقيه المعتز بن عبد الرحيم ، وصبح بن عبد الله** الذي اشتغل بعلم الحديث وتدريسه في دمشق .

دور اللغة العربية في الحركة الفكرية

لقد كانت جميع المعارف تدرس وتستوعب بواسطة **اللغة العربية** ، وكانت هذه اللغة هي لغة الكتابة الرسمية والثقافة على السواء ، كانت هي اللغة التي يدرس بها الطلاب العلوم المختلفة ، أما الوعظ والإرشاد والتدريس في المساجد فكانت تستخدم فيه اللهجات المحلية للعامية ، **وهكذا فإن اللغة العربية أصبحت لغة تخاطب بين سكان سنغاي وهي لغة الإدارة والمراسلات والمعاملات والمراسيم والدواوين ، وبذلك طبعت البلاد بطابع عربي إسلامي ،** ولقد كان الاهتمام **بالقرآن الكريم** يستدعي الاهتمام عند أهل سنغاي بدراسة لغته الغراء التي اكتسبت سمة من التقديس ، فقد كانت هي اللغة السائدة وفي ذلك يقول **أرنولد توماس** في كتابه (**الدعوة إلى الإسلام**) : « لقد غدت اللغة العربية القادمة من الشرق لغة تخاطب يتخاطب بها أكثر من نصف سكان القارة الإفريقية » .

ويقول آخر : « لم تكتف القبائل الإفريقية بدخول الإسلام بل طبعت بطابع عربي بسبب انتشار اللغة العربية في تلك البلاد » .

ولقد كانت هناك خصائص معينة في نطق حروف اللغة العربية وفي كتابتها التي كانت بالخط العربي على الطريقة المغربية ، ولقد كانت اللغة العربية وهي لغة العقيدة والحضارة ، تقوم بدور كبير من حيث سعة الانتشار والبقاء طول فترة الاستعمار الأوروبي لتلك الأرجاء ، ولقد تركت اللغة العربية أثرها المباشر في اللغات المحلية مثل **لغة الهوسا والفولاني والسنغاي والماندنجو والولوف ،** ولا تزال إلى اليوم آلاف الكلمات المستخدمة في بلاد سنغاي في شتى مظاهر الحياة الدينية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية ، وفي الحرب والسياسة ونظم الحكم والمدن والحيوانات والنباتات ، ولقد كان انتشار اللغة العربية على نطاق واسع بسبب دخول المعارف الإسلامية إلى سنغاي ، وقيامها بدور فعّال في ميدان الحركة الثقافية العربية الإسلامية .

أثر اللغة العربية في التعليم

لقد كانت مملكة سنغاي أكثر الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا تطبعاً بمفاهيم الإسلام وثقافته ، ولقد اهتمت الدولة وسلاطينها اهتماماً كبيراً بنشر العلم وتشجيع رجال التعليم وجموع الطلاب وكان ذلك مستمداً من توجيهات الإسلام ، وكان المعلمون يحظون باحترام كبير . ولقد كان تعليم القرآن الكريم وحفظه هو المادة الأساسية في التعليم بجانب الإلمام ببعض العلوم الإسلامية الأخرى واللغة العربية والخط ، وكان طلبة القرآن ومعلميهم لهم مشاركة اجتماعية في البلاد ، وكانت المواد تدرس في المساجد سواء في المدن الكبرى أو الصغرى أو القرى ، وكانت المواد التي تدرس بجانب القرآن الكريم تأخذ من أمهات الكتب الكبيرة التي عرفها المسلمون في العالم الإسلامي ، ولقد نبغ كثيرون من أبناء سنغاي في شتى المعارف الإنسانية ، وذلك لأن هؤلاء كان لهم إقبال كبير على العلم وكان كثيرون منهم يقومون برحلات إلى مصر والمغرب وباقي بلاد المشرق ، ولقد بلغ من كثرة ورودهم على مصر أن أسست لهم إدارة الأزهر رواقاً خاصاً . ولقد انتشرت الجامعات والمدارس العليا في البلاد وأسهمت في الحضارة الإسلامية ، لذا يمكننا القول إن الحركة التعليمية في

سنغاي كانت على درجة عالية من الازدهار ، وإنها كانت تشبه في جميع جوانبها ما كان موجوداً في البلاد الإسلامية الأخرى من تضلع الأساتذة في أنواع المعارف وحبهم للتدريس وإقبال الطلاب على الأخذ عنهم .

ولقد كانت سنغاي بحق مركز الحياة التعليمية والثقافية في غرب إفريقيا وقلب الحركة الفكرية والثقافية النابض اجتمع فيها علماء من كل جنس ولون من المغاربة والأندلسيين والمصريين والحجازيين والشاميين والعراقيين ، ووفد إليها الناس من كافة أنحاء السودان الغربي ، من السنغال والنيجر وإمارات الهوسا وبرنو وكانم وتشاد والسودان ، وكل هذه الطوائف جاءت إلى سنغاي طلباً للعلم والمعرفة ، وكان هؤلاء العلماء يشتغلون بالتدريس ، وكان نظام التدريس شبيه من عدة وجوه بذلك النظام السائد في الجامع الأزهر .

الحركة الفكرية

لقد كان من أثر انتشار اللغة العربية والتعليم في البلاد أن ظهرت الثقافة الإسلامية العربية ونمت الحركة الفكرية في البلاد وأثرت في حياة البلاد تأثيراً قوياً ، وبذلك ظهرت في عالم السودان الغربي حركة فكرية إسلامية في ميادين الأدب والتاريخ والعلوم والفنون وعلوم اللغة العربية (**النحو والصرف ، العروض ، البلاغة**) وشتى مظاهر الحياة الأخرى ، فلم يكن لأهل سنغاي أدب مكتوب قبل قدوم الإسلام إلى تلك الأصقاع بل كانت حكايات مشافهة ، فلما جاء الإسلام وانتشر وانتشرت معه اللغة العربية وتمكنت الشعوب من استيعاب مفاهيمه ، وتمكنوا من دراسة اللغة العربية وانتشرت حركة التعليم ، ظهرت مؤلفات على النمط الذي كان سائداً في بلاد المشرق والمغرب العربي . ولقد ظهر نوع من الكتابات الأدبية والشعراء والبلغاء ورجال الفكر (**عبد الرحمن السعدي ، أحمد بابا ، محمود كعت**) وغيرهم من الذين ظهروا في سنغاي ، كذلك ظهرت حركة التأليف والمعرفة في كثير من البلاد ، وظهر العلماء والفقهاء الذين تولوا مناصب عليا في سنغاي ، وظهر أيضاً علماء في مجال الفقه والتفسير والحديث واللغة والفرائض والأحكام الشرعية .

كذلك تأثرت كل فروع الحياة في البلاد بما كان يجري على الساحة العربية الإسلامية في المشرق والمغرب ، وكان الناظر إلى الحركة الفكرية والعلمية والثقافية في البلاد لا يكاد يميز بين ما يسودها وبين ما يسود باقي أقطار العالم الإسلامي ، ولقد امتدت الحركة الفكرية من سنغاي غرباً إلى المناطق الواقعة شمال نيجيريا (إمارات الهوسا) بعد أن دخلت هذه البلاد في الإسلام وخضعت لنفوذ سنغاي ، بل إن الثقافة الإسلامية نفذت من سنغاي في بلاد كانم وبرنو .

ولقد كانت الثقافة العربية الإسلامية وحركة انتشارها في البلاد تتوقف على الأحوال السياسية ، فطالما كانت سنغاي في تقدم وازدهار وقوة ويسودها الأمن والطمأنينة ولا توجد الحروب التي تعكر صفو الحياة الفكرية ، فإن البلاد كانت تأخذ بأسباب الحضارة الإسلامية المتطورة وبجانب ذلك اهتمام الحكام والسلاطين والملوك بتشجيع الحركة الفكرية والثقافية وبذل العطاء لها وتشجيع قدوم العلماء كما فعل **السلطان محمد الأول مع الشيخ جلال الدين السيوطي والشيخ عبد الكريم المغيلي** وتشجيع الطلاب على الأخذ بمناهل العلم والمعرفة المختلفة وتشجيعهم على الذهاب إلى بلاد الشرق الإسلامي للدراسة في مدارسها ومعاهدها ومساجدها وجامعاتها مثل : مكة المكرمة ، والمدينة المنورة ، وبغداد ، ودمشق ، والقاهرة ، والقيروان ، وتونس ، وفاس بل قرطبة وكل مراكز العلم المنتشرة في طول البلاد وعرضها ، بل إن الوثائق التي حصل عليها في تلك البلاد تشير إلى وصول علماء من سنغاي إلى بغداد شرقاً للبحث والدراسة والفقه ، ومن هنا يمكن القول إن الحركة الفكرية والثقافية في سنغاي قد بلغت شأناً عظيماً في القرن الثاني والثالث عشر الميلاديين .

وقد ظهرت حركة الفكر واسعة وقوية في تلك الأنحاء في وقت لم يكن العالم قد بدأ يسمع عن أكسفورد وكمبردج وباريس وغيرها من جامعات أوروبا في ذلك الوقت ، وظهرت حضارة إسلامية متطورة ونامية آخذة بأسباب الرقي والتحضر في وقت كانت أوروبا فيها تخوض حروباً فيما بينها ، وكانت المنازعات تسودها ، ولكن هنا في سنغاي وفي غرب إفريقيا التي اتهمها الغرب والاستعمار بالتخلف ، كانت البلاد تموج بحركة ثقافية وفكرية إسلامية واسعة ، شهدها رجال الاستعمار وحركة الكشوف الجغرافية بأنفسهم ، ووصفها لهم الحسن الوزان (**ليو الإفريقي**) في كتابه (وصف إفريقيا) .

ولقد قال **أسوي أديكو** أحد المؤرخين الإفريقيين يصف أثر الإسلام في تطور المعارف الفكرية وإصلاح الأفكار الإنسانية وتكييفه للبيئة الزنجية فيقول : « إن الإسلام ، لم يأت في هذا المجال ، إلا بكل جيد وطريف ، وبذلك فقد طور الإسلام الحياة الحضارية والفكرية والثقافية وطبع البلاد بطابع حضاري عميق منذ ذلك الحين » .

ومن هذا يتبين لنا أن الاتجاه نحو إصلاح المعارف الإنسانية ثم اتخاذها الشكل الإسلامي بصورة واضحة في سنغاي .

المجال الأدبي

لقد عمل سلاطين سنغاي على دعوة الكثير من العلماء من مناطق العالم الإسلامي المختلفة للتدريس وإيجاد حياة علمية وأدبية وثقافية في البلاد ، وقد بذل هؤلاء السلاطين الكثير من ضروب المساعدة مما يحملهم في كثير من الأحيان على الإقامة لمدة طويلة ، كما فعلوا مع المغيلي وجلال الدين السيوطي ومع عدد آخر من علماء فارس ومراكش ومصر ودمشق وكل هذا نجد له صدى واسعاً في كتابات السعدي ومحمود كعت وأحمد بابا وابن مريم وغيرهم ، حتى لقد أدى ذلك إلى طور هام في الإنتاج الأدبي والتبادل الثقافي فقد ظهرت مؤلفات وشروح في الفقه والمنطق واللغة والنحو والعروض والتاريخ ألفها العلماء من أهل سنغاي وكان ذلك الإنتاج يتم باللغة العربية وساعد ذلك على مشاركة البلاد بدور واضح وفعّال في ميدان الإنتاج العلمي داخل نطاق الحضارة الإسلامية .

وقد أدى ذلك إلى ظهور حركة التأليف في ميادين مختلفة منها الأدب العربي والنحو والمنطق والفقه واللغة والتفسير والحديث والفلك وذلك يعطي فكرة واسعة عن اطلاع هؤلاء العلماء على كثير من الكتب التي كان يتم اقتناؤها وكانوا يتداولونها في مختلف فروع المعرفة وفي هذا الصدد نقل **السلاوي في كتابه الاستقصا جـ ٥** ، ص ٢٤٥ ، عن أحد علماء سنغاي وهو أحمد بابا قوله : « أنا أقل عشيرتي كتباً وقد نهبت لي ستة عشر مائة مجلداً » .

وقد ظهر عندهم **الشعر باللغة العربية** وكان نظمه جيداً ومن شعرائهم **يحيى التادلسي ، ومحمد سميدع ، وعريان الرأس** ، ولذا فإننا نلاحظ أن التطور الأدبي في البلاد قد تركز في ميادين النشاط الإنتاجي والتعامل التجاري مثل تمبكتو ، غاو جني وولاته وسواها علماء ومفكرين وقضاة قد تمكنوا من دراسة العربية والإسلام حتى أصبحوا ينتجون في ميادينها مختلف مؤلفاتهم بالشروح والكتابات التاريخية والفقهية على النمط الذي كان عند العرب في الشرق أو الغرب على السواء .

وإن النوع من الأدب السوداني وهو الذي أمكن تسجيله باللغة العربية فإنه لا يمثل إلا إنتاج الأقلية من المثقفين من أبناء الشعب ولكن ذلك لا يمكن أن ينقص من قيمته لأن تلك الأقلية التي ساهمت في الإنتاج المادي بالرغم من كونها أقلية فإنها كانت تمثل النخبة الرائدة في البلاد وتمثل الوسط الذي يسعى بالبلاد في الدخول في ميادين التقدم والرقي وعليها يقع عبء خلق حياة أدبية أفضل وعلى ضوء هذا الإنتاج أخذت الحركة الأدبية في التطور .

الحركة الثقافية والفكرية في سنغاي

الشعر

وعلى الرغم من عدم العثور على دواوين شعر كاملة إلا أن كثيراً جداً من علماء البلاد كانوا يستشهدون بأشعار كثيرة في كتاباتهم وهناك كتابات كثيرة لشعراء العرب وإن كانوا قد ساروا على النمط الشرقي في دواوين الشعر ، عبد الرحمن السعدي يصف تمبكتو وصف الهمذاني البصرة في مقاماته . وقد ظهرت أشعار كثيرة في البلاد وهذا يدل على سعة اطلاع أبناء سنغاي الكافي على الأشعار العربية والكتابات المنمقة لدى **الهمذاني والحريري** . وكان أسلوب الكتابة شيق وجزل ومتين ، فهو شيق من حيث موضوعية مضمونها وجزالتها في تمكن قائلها من الألفاظ التي استعملها وفي المفردات التي تتركب منها الجملة فهي كلها متناسقة مما جعل الجمل تبين كيفية التمكن من اللغة العربية .

ومن الاطلاع على ما كتبه هؤلاء الأدباء في كتبهم المختلفة يمكن القول إن الكتابة باللغة العربية قد بلغت مستوى لا يمكن إنكاره لدى الكتاب من أهل سنغاي وغيرها من بلاد السودان الغربي ، فقد كتب هؤلاء في مواضيع اجتماعية عديدة (محمد بن بللو ، انفاق الميسور بذكر بلاد التكرور) أثناء تصديهم للكتابة في التاريخ والفقه لكن إنتاجهم الأدبي وكتاباتهم الشعرية كانت في حاجة إلى دراسة يقوم بها المتخصصون في دراسة الأدب والشعر ولا سيا الأدب الشعبي والقصص اللذان كانا يسودان كتابات أهل سنغاي .

علوم اللغة العربية

لقد تحدث السعدي في كتابه **« تاريخ السودان »** كثيراً عن العلماء والفقهاء الذين تولوا كثيراً من المناصب في سنغاي وأيضاً شاركه الحديث محمود كعت في كتابه **« تاريخ الفتاش »** ، وقد زاد عددهم عن المائتين وكان كل واحد منهم متمكناً من العلوم العربية ، وبذلوا جهوداً عظيمة في الدرس والتحصيل ، ولكن ربما لا يوجد إلا عدد قليل من بين هذا العدد كان لهم اطلاع واسع في الأدب العربي بالإضافة إلى الفقه والتفسير وبعضهم كان يحسن المنطق ، ولذا يمكن القول إن مادة الفكر التي كانت سائدة هي العلوم الإسلامية وعلوم اللغة العربية .

وذكر أحمد بابا في كتابه **« الديباج »** بأن هؤلاء العلماء كانوا يتباهون بعلمهم على الناس ولعل دخول الاستعمار الأوروبي وسيطرته على تلك المناطق وقبله السيطرة المغربية عام ١٥٩١ م ، قد أضاعت الكثير من المخطوطات التي كان يستخدمها هؤلاء العلماء ، ولا شك أنه **وجدت مخطوطات كثيرة في النحو والصرف والعروض والبلاغة وعلم البيان والفرائض والمواريث ، والحساب والرياضة** فإن وجود **جامعة سانكري في تمبكتو** وغيرها من المدارس قد كان يلتزم وجود العديد من المؤلفات ، فإذا كان بعض المؤرخين قد هضم هؤلاء العلماء حقهم في التأليف والكتابة فيكفي أن كتاباتهم لا زالت متداولة وتطبع حتى اليوم وهي باللغة العربية ، تاريخ السودان للسعدي ، انفاق الميسور بذكر بلاد التكرور لمحمد بوللو ، تاريخ الفتاش لمحمود كعت ، نيل الابتهاج لأحمد بابا) وغيرهم من العلماء والأدباء والشعراء الذين ذاع صيتهم ، وذكرهم **ياقوت الحموي** في كتابه معجم البلدان .

التاريخ

لقد ساهم كتاب غرب إفريقيا بكتابات كثيرة تاريخية وعلمية والكتب المذكورة هي من إنتاج المؤرخين الأفارقة الذين تحدثوا فيها عن بلادهم وأحوالهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ولقد ذكر أحدهم وهو عبد الرحمن السعدي في كتابه تاريخ السودان يقول : « لما رأيت انقراض علم التاريخ في بلادنا ودروسه وذهاب ديناره وفلوسه وأنه كبير الفوائد كثير الفرائد ، لما فيه من معرفة المرء بأخبار وطنه وأسلافه وتواريخهم ووفياتهم ، فاستعنت بالله تعالى في كتابة هذا الكتاب ورويت فيه عن ملوك السودان ، وأهل سنغاي وقصصهم وأخبارهم وسيرهم وغزواتهم وذكر بلادهم وبعض العلماء والصالحين الذين سكنوا البلاد » . فهل بعد هذه المقدمة يستطيع إنسان أن ينكر الدور الهام الذي ساهم فيه علماء البلاد في إنماء الحركة الفكرية والثقافية في بلاد سنغاي وهل يمكن لعاقل أن يقرأ هذه المقدمة وهذا الجمع الشامل لأحوال البلاد ولا يحكم بأن ذلك هو عبارة عن موسوعة مصغرة لأحوال سنغاي .

وخلاصة القول إن الناظر إلى الحركة الثقافية والفكرية في بلاد غرب إفريقيا وبصفة خاصة سنغاي يجد أن الأبحاث العلمية كانت ممتازة ونشيطة في علوم الإسلاميات والشرع والحديث والتفسير واللغة العربية ولكنها ربما ظلت تحذو حذو السائد في بلاد المغرب العربي والمشرق أيضاً ، أما الأدب فربما نظراً لضياع المخطوطات لم يصل إلى أيدينا إلا القليل ويمكن القول إن الإنتاج كان قليلاً وضعيفاً ، ولكن الحركة الفكرية شهدت نشاطاً ملحوظاً في **ميدان التاريخ** ، وقد كانت ولا تزال مؤلفات عبد الرحمن السعدي ، ومحمود كعت وأحمد بابا عنواناً للإنتاج الفكري في بلاد سنغاي .

كذلك ساهم أهل البلاد في **فنون الرقص والموسيقى والغناء والنقش والعمارة** وكان لهم إنتاجهم في تلك الميادين المختلفة الذي كان ذا **صبغة عربية وبيئية زنجية** .

ولذا فإنه يمكن القول بعد هذا العرض الموجز للحركة الفكرية والثقافية في بلاد سنغاي ، إن الحضارة والثقافة الإسلامية الزاهرة قد وصلت في مدها القوي إلى ما يقرب من خط الاستواء وإنه قامت في تلك الديار ،مراكز حضارية إسلامية ذات أصول عربية في وقت لم يكن العالم الإسلامي قد بدأ يسمع كما هو يسمع اليوم عن أكسفورد وكمبردج وباريس وفيينا وغيرها من جامعات الدول الغربية .

إن الوقت قد حان للدول العربية والإسلامية أن تعيد تلك الثقافة العربية إلى سابق عهدها كما كانت قبل دخول الاستعمار إلى تلك البلاد التي نشر فيها لغته الإنجليزية والفرنسية وثقافتها .

بعض المصادر والمراجع

١ ــ أحمد بابا : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ، فاس ، ١٨٩١ م .

٢ ــ جانهايز جون : الثقافة الإفريقية ، ترجمة عبد الرحمن صالح ، القاهرة ، د . ت .

٣ ــ حسن محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا ، القاهرة ، دار النهضة ، ١٩٦٧ م .

٤ ــ عبد الرحمن السعدي : تاريخ السودان ، نشره هوداس ، باريس ، ١٩٦٤ م .

٥ ــ عبد القادر زبادية : مملكة سنغاي ، الجزائر ، ١٩٧٤ م .

٦ ــ محمود كعت التمبكتي : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان ، باريس ، ١٩١٣ م .

٧ ــ نعيم قداح : إفريقيا الغربية في ظل الإسلام ، دمشق ، ١٩٦٣ م .

٨ ــ دائرة المعارف الإسلامية ، مادة سنغاي .

٩ ــ Fage, J. An introduction to the history of West Africa, Cambridge, 1955.

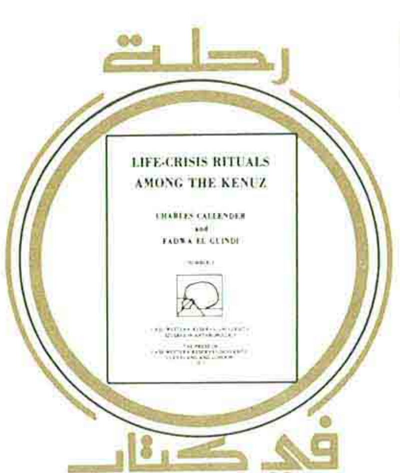
١٠ ــ Roche, J. La religion et la magie Songhay. Paris, 1956.

١١ ــ Shinnie, M. Ancient African Kingdoms, London, 1965.

١٢ ــ Trimingham, J.S. The influence of Islam upen Africa, London, 1968.

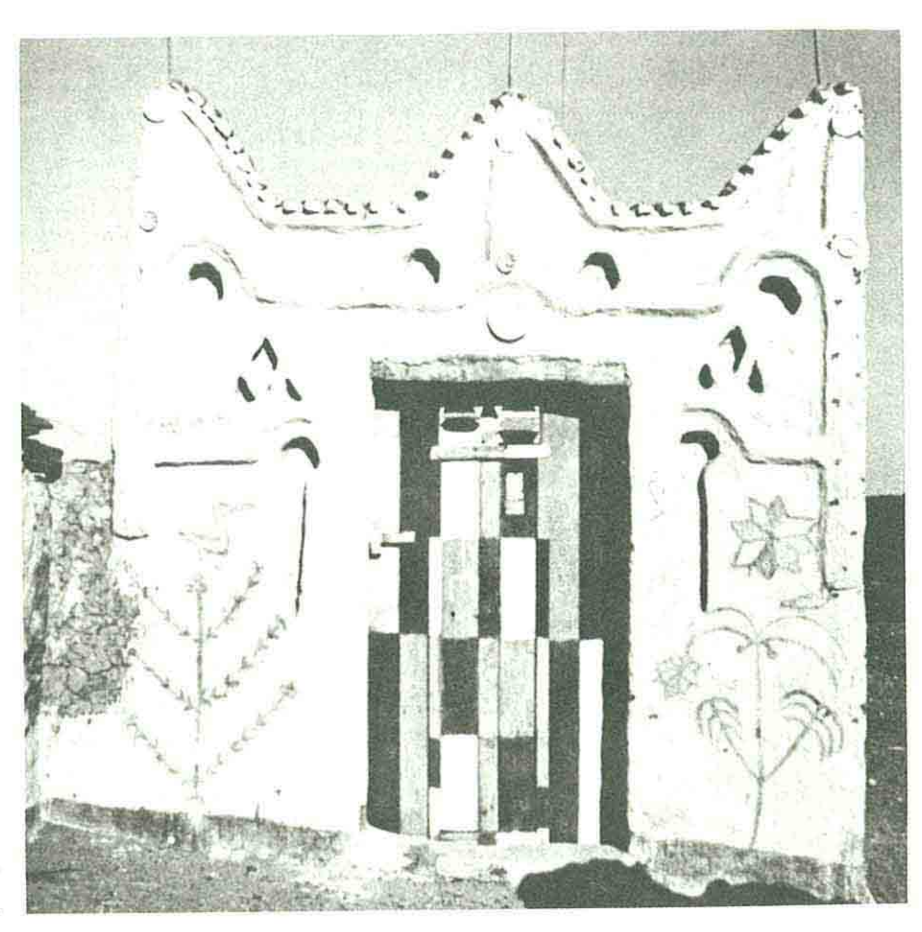
رحلة في كتاب

تأليف :
شارلز كالندر، فدوى الجندي
عرض وتلخيص :
د. جلال مدبولي


LIFE-CRISIS RITUALS
AMONG THE KENUZ

CHARLES CALLENDER
and
FADWA EL GUINDI

شعائر دورة الحياة عند الكنوز


★ مدخل لأحد البيوت عند الكنوز ★

تعتبر دراسة شعائر دورة الحياة عند الكنوز من الدراسات الأثنولوجية للنوبة المصرية التي قام بها مركز البحوث الاجتماعية بالجامعة الأميريكية بالقاهرة[1]، الهدف منها تسجيل الثقافة النوبية قبل أن تندثر أو تعتريها عوامل التغيير، بسبب بناء السد العالي وانتقال النوبيين إلى بيئة أخرى، ومعايشتهم لثقافات أخرى مغايرة لثقافتهم الأصلية.

يعمل شارلز كالندر ـ مؤلف هذا الكتاب ـ أستاذ الأنثروبولوجيا بجامعة « Case Western Reserve University » الأميريكية، وقد قام قبل إجرائه هذه الدراسة ببحث أولي

عن المهاجرين من النوبيين المقيمين في القاهرة والإسكندرية الذين ينتمون إلى جماعة الكنوز، وهي واحدة من المناطق الثلاث التي تنقسم إليها النوبة المصرية، والتي تنضم إلى جانب الكنوز العرب والفاديجا.

وقد ظهر هذا الكتاب في عام ١٩٧١ م، محتوياً على (٨٢) صفحة من القطع الكبير، ومعتمداً في إخراجه على المادة العلمية التي جمعتها **فدوى الجندي** ـ التي تعمل بقسم الأنثروبولوجيا بجامعة تكساس ـ وهي من النساء النوبيات اللاتي ينتمين إلى **قبيلة «المهناب»** في دهميت. ويعرض الكتاب تاريخ الكنوز، ولدورة الحياة عندهم من الميلاد إلى الوفاة، كما وصف بصورة تفصيلية الشعائر والطقوس التي تصاحبها. كما اهتم بصفة خاصة حول تفسير مدلول ظاهرة «المشاهرة» التي تهدف أغلب هذه الشعائر والطقوس إلى تجنب أخطارها.

وبدأت هذه الدراسة في **منطقة دهميت** في أكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٦٢ م، حيث أقام كالندر قرابة عام (١٩٦٢ / ١٩٦٣ م) بمصاحبة عدد من باحثي **مركز البحوث الاجتماعية بالجامعة الأمريكية بالقاهرة** لدراسة التنظيم الاجتماعي، وبخاصة السلالات القرابية (الجنيولوجي). وقد ظهر التقرير المبدئي لهذه الدراسة في عام ١٩٦٢ م.

أصل الكنوز.. ومنطقتهم

إن تاريخ الكنوز ـ كما يقرر كالندر ـ على جانب كبير من التعقيد، إذ تجمع ثقافتهم بين السمات العربية والنوبية، وفي ذلك يقول **هيرتزوج**: «إن الكنوز في عهد **الإمبراطورية الرومانية**، كانوا يعانون من ضغط القبائل الإفريقية في الجنوب، وإنه عندما انسحبت الفرق الرومانية، هاجر الكنوز شمالا نحو **أسوان**، ولم يقاوم الرومانيون هذه الحركة لأنهم رحبوا بوجود شعب يفصلهم عن الشعوب المعادية، وهكذا فإن جميع الجماعات النوبية كان لها اتصال عميق بالجماعات العربية ومن ثم بالحضارة العربية[٢]».

ويذهب كالندر في حديثه عن تاريخ الكنوز إلى أن بعض القبائل العربية نزحت بعد الفتح الإسلامي لمصر في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، واتجه بعضهم نحو الشمال في صعيد مصر والمناطق الصحراوية القريبة منها، ومن ثم اختلطوا بالأجيال المتعاقبة من النوبيين مكونين بذلك ما يعرف جماعة «الكنوز».

ودهميت ـ منطقة الدراسة ـ عبارة عن خط ممتد في وادي النيل يقدر طوله بنحو من خمسة إلى سبعة كيلومترات تحيطه الصحراء من كل جانب، ويوجد في الجزء الشمالي منطقة الكنوز الواقعة شمال النوبة المصرية.

وقد أحدث بناء **خزان أسوان** عام ١٩٠٢ م، ومراحل تعليته في عامي ١٩١٣ م، ١٩٣٣ م، شللاً في نظام الزراعة عند الكنوز، كما عملت على زيادة موجات الهجرة، وإقامة معظم رجال النوبة في المدن المصرية. ولم يبق منهم سوى أقلية لا تتعدى ٢٠٪ في الموطن الأصلي.

وترتب على ذلك أن تميز سكان دهميت بخصائص وسمات ديمجرافية، منها أن تعدادهم وقت الدراسة، لم يتعد قرابة (١٠٥٥ نسمة) يمثلون إجمالي السكان البالغ عددهم نحو (٥٤١٥ نسمة). كما لوحظ أن ٢٥٪ من السكان تبلغ أعمارهم أقل من ١٠ سنوات، ٤٠٪ منهم تحت سن العشرين، بينما ٧٥٪ من المقيمين بالفعل في المنطقة من النساء اللاتي تبلغ نسبة المتزوجات منهن أو المطلقات والأرامل ٥٢٪. ولذلك يعتمد تنظيم المجتمع في دهميت أساساً على الذكور المقيمين فيها، وهم جماعة صغيرة لا يزيد عدد أفرادها عن ٨٣ رجلاً يمثلون ما يقرب من ٨٪ من مجموع السكان.

ويدين الكنوز بالإسلام منذ أكثر من ألف عام، ويزاولون شعائرهم في المساجد، وقد أتت إليهم الطرق الصوفية من السودان.

مجتمع الكنوز

ويتكون المجتمع في دهميت من اثنتي عشرة قبيلة يقطنون عدداً من النجوع التي تسودها القرابة الأبوية. وتعتبر كل قبيلة من القبائل الاثنتي عشرة وحدة سياسية وإدارية في حد ذاتها، ولكل قبيلة مظاهرها الطقوسية التي تدعم الروابط والصلات بين أفرادها. كما أن لكل منها مركز العبادة الخاص بها ويتبع غالباً مقام أحد الأولياء الذي ينسب إليهم لإقامة الشعائر، كما أن لكل قبيلة محلها التجاري.

ويلاحظ أن التكامل الاجتماعي في دهميت قد أشيد على النظام القبلي الذي يربط بين السكان المقيمين في الموطن الأصلي وبين أقاربهم من المهاجرين في المدن المصرية الكبرى **كالقاهرة والإسكندرية**، والذين يمثلون الأغلبية ويعتمد عليهم سكان دهميت في حياتهم الاقتصادية بصفة رئيسية إلى جانب مصادر الدخل المحدودة الأخرى من الأرض ومياه الري التي تقع في حوزة القبائل. كما أنهم يستمدون منهم قادتهم إلى جانب

صلات القرابة والعلاقات الزوجية التي ساعدت بدورها على توطيد العلاقات بينهم .

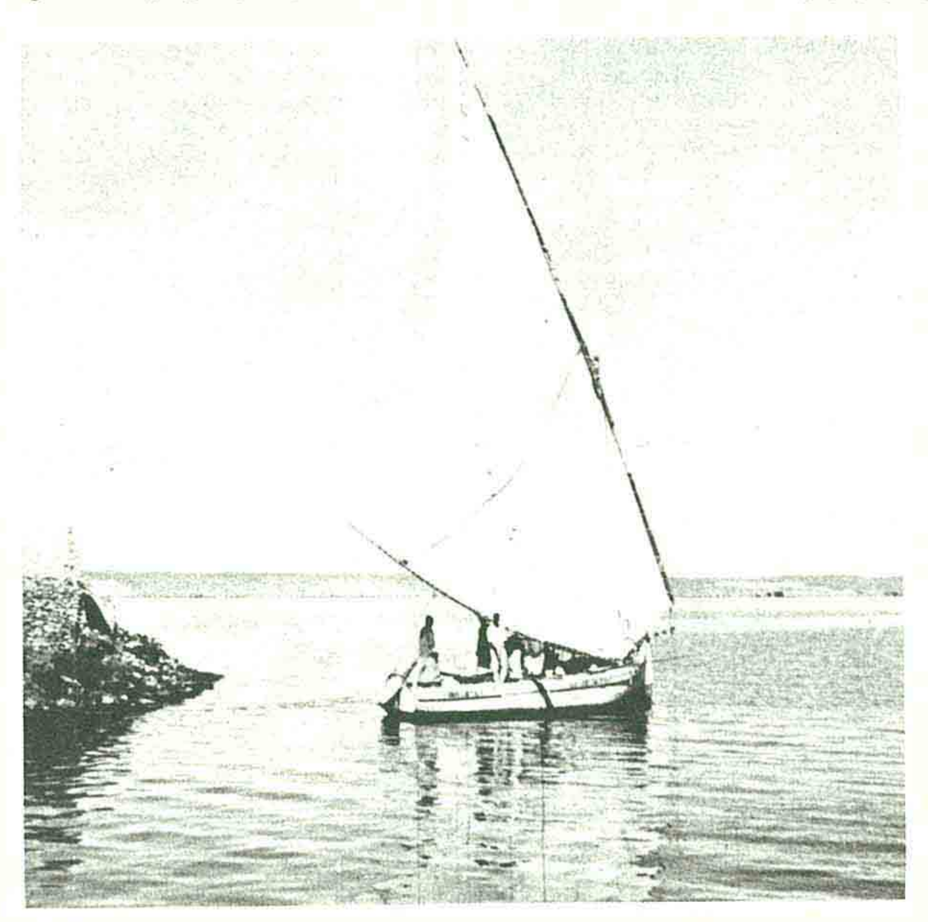
ركز المؤلف قبل استطراده في وصف أحداث دورة حياة الفرد عند الكنوز وما يصاحبها من شعائر وطقوس ، على دراسة بعض المعتقدات والخرافات الشائعة عندهم مثل الاعتقاد في **أخطار العين الشريرة** (Evil Eye) التي تجلب الشر والأذى ، وعن الوسائل والطرق التي يتبعها النوبيون لاتقاء هذه الأخطار ، وكذلك الاعتقاد في المشاهرة ، وطبيعة هذه الظاهرة وأوقاتها ومسبباتها ، وما للملابس من دلالات مختلفة في أحداث دورة الحياة ، وأيضاً ما للسكينة والسيف من مكانة في حياة الكنوز ، واستخدامات مياه النهر ورمزياتها إلى غير ذلك من المعتقدات .

والاعتقاد في أثر العين الشريرة منتشر . كما يقول كالندر في دهميت كما هو الحال في كل بلاد الشرق الأوسط . فالذين يتمتعون بالرخاء المادي أو الحظ الحسن أو الجمال أو غير ذلك من الصفات والخصائص يكونون موضع الانتباه والإعجاب من الآخرين إلى الحد الذي يثير حسدهم ويجلب عليهم أذاهم من المرض وسوء الحظ .

ظاهرة المشاهرة

وإلى جانب الاعتقاد في العين الشريرة ، اهتم كالندر بصفة خاصة بدراسة **ظاهرة المشاهرة** . وقدم لنا تحليلاً وافياً عن هذه الظاهرة من حيث طبيعتها وأوقاتها ومسبباتها . ويرى أنها سمة من سمات الثقافة السودانية كما ذهب **« ثرمنجهام »** في بحثه عن الإسلام في السودان J.S. Trimingham, Islam In The Sudan, London, Exford, 1949.)

والنساء والأطفال هم أكثر الفئات تأثراً بظاهرة المشاهرة حيث سينتاب المرأة في سن الإنجاب خوف يهددها بالعقم يبدأ منذ إجراء عملية **« الختان »** لها ، وهو الخوف الذي يلعب دوراً هاماً عند زواجها ، كما تتوقعه في الوقت الذي تلد فيه من أن يجف لبن رضاعها ، وتنتهي مدة المشاهرة بإقامة شعائر الاحتفال بـ « سبوع » الطفل ، بينما يظل مفعولها – في رأي آخر – سارياً حتى ظهور القمر في الشهر التالي . ويتأثر الطفل أيضاً بالمشاهرة وهو لا يزال في السادسة من عمره إذ تجعله مريضاً هزيلاً



★ إحدى وسائل النقل المائية لدى الكنوز ★

أو قد تتسبب في وقف نموه كما يتوهمون .

وقد كونت أغلبية الشعائر والطقوس الخرافية التي تصاحب أحداث دورة الحياة عند الكنوز نظاماً من الأفعال يهدف إلى وقاية الأشخاص القابلين للإيذاء أو للمشاهرة « Vulnerables » من الأخطار وذلك بإحاطتهم بالوسائل الفعالة لتحقيق ذلك . وتعتبر « **العزلة** » « Isolation » إحدى هذه الوسائل . وتنتهي هذه الفترة بعد سبعة أيام ، وقد تمتد لليوم الأربعين بالنسبة للأطفال والنساء حديثي الولادة على السواء .

عادات .. وتقاليد

وتقدم خلال أحداث دورة الحياة بعض الوجبات الخاصة من الطعام ، ومما يعتقد أن لها دلالات معينة . فالنساء حديثي الزواج أو الولادة يطعمن الفراخ والحمام بصفة خاصة . كما يطعمن أنواعاً أخرى من الطعام لها رموز على جانب كبير من التعقيد . فالأطعمة التي يدخل في إعدادها هي أطعمة مرغوبة لدرجة كبيرة للونها الأبيض الذي يعتبر رمزاً للخير والحظ الحسن والتفاؤل . وكذا « **البليلة** » ، و « **العصيدة** » ، و « **البلح** » الذي يرمز للرخاء والخير .

وترمز **الملابس** التي يلبسها الكنوز خلال فترات أحداث دورة الحياة إلى مؤشرات هامة وبخاصة **الملابس البيضاء** ، كما تشير الطريقة التي تلبس بها المرأة « **الشجة** » أو « **الشال** » إلى المناسبة التي ارتدت من أجلها سواء أكان بغرض الذهاب إلى المنزل أو لزيارة قرية أخرى أو للعزاء . ويعتبر اللون الأبيض هو اللون المشترك « للشجة » التي ترتديها المرأة في كل أحداث دورة الحياة المختلفة ، إذ ترتديها الفتاة عقب ختانها ، وترتديها العروس ليلة زفافها ولعدة ليال متتالية ، ويلف بها « النعش » الذي يحمل امرأة وغالباً ما تكون حمراء اللون وهكذا .

ونذكر أفعال الخير نحو الذكور حول استخدام السكينة أو السيف كشكل من شعائر دورة الحياة عن الفتيان والرجال . فعندما تأخذ النساء « خلاص » المولود الذكر لإلقائه في النهر يجري خلفهن طفل ذكر يحمل سكيناً في يده ، كما توضع السكين أيضاً بجانب سرير الطفل الذكر حديث الولادة . وقديماً كان يقف خلف الطفل الذكر الذي ستجرى له عملية الختان رجل يشهر سيفه أثناء جمع « **النقوط** » له . ويحدث نفس الشيء في **حفل الزفاف** حيث يلبس العريس حزاماً به سكين منذ أن يعلن عن موعد زفافه وعند استقبال المدعوين . ويظل حاملاً هذا السيف حتى بعد إتمام زفافه بأربعين يوماً . كما يعتبر السيف من مكونات أثاث العريس لكي يحمله العريس وهو يتجه إلى النهر كمظهر من مظاهر الاحتفال بالزواج .

وكثير من طقوس دورة الحياة تستمد من استخدام مياه النهر ، فالنساء ينثرنها في أرجاء بيوتهن معتقدات أن في ذلك وجود لساكني النهر من الجن الطيبين الذين تحل البركة بوجودهم . فالبركة تحتل مكانة هامة عند الكنوز وتتخذ أكثر من مظهر من مظاهر المعتقدات في دهميت . ويعني بالبركة التبرك كما يشير بذلك « جرتيز » عند مناقشته لهذا المفهوم كمظهر من مظاهر المعتقدات في **مراكش**(G. Geertz, Islam, 1948. Observed, New Haven, Yale) .

كما تعني البركة عدداً من الأفكار المترابطة مثل الرخاء المادي والصحة الجسمية والرضاء أو الكفاية والحظ الحسن والقوة الخارقة . . . إلخ . فالبركة مصدرها الله ثم الأولياء الصالحين ، وبخاصة ما يعرف منهم باسم « **الدوجري** » من ساكني النهر من الجنيات الصالحات ، وأيضاً عن ممارسة شعائر الطريقة الميرغنية .

ويخلص المؤلف من عرض هذه المظاهر الاجتماعية عند الكنوز في دهميت إلى تقرير أن الشعائر التي تصاحب معظم مظاهر الاحتفال بأحداث دورة الحياة عندهم إنما تهدف إلى جلب الحماية والأمان من الكائنات فوق الطبيعية أو الخارقة للعادة ، وذلك من الأخطار التي قد يتعرضون لها في فترات هذه الأحداث ، والتي تعتبر — في الواقع — مناسبات اجتماعية يشترك فيها كل الحاضرين من الجيران والأهل والأقارب وأهل القرى المجاورة إلى جانب أفراد القبيلة جميعهم .

الولادة .. والزواج

يعتبر الميلاد من الأحداث الرئيسية في دورة الحياة عند الكنوز وبخاصة في قرية الأم ، لأن النساء في دهميت يرغبن في ولادة الأطفال ، وبخاصة الذكور ، لأنهم في نظرهم بمثابة الأمان القوي لإعالتهن ورعايتهن في المستقبل إذا ما ترملن . ومما يقوي من هذه الرغبة نظام الزواج عند الكنوز الذي يسمح بتزويج الفتيات وهن لا يزلن في أعمار تقل عشر سنوات على الأقل عن أعمار أزواجهن ، الأمر الذي يجعل أغلب النساء — من كبار السن — أرامل ، وأن عدداً كبيراً منهن يترملن وهن لم يبلغن بعد الحلقة الوسطى من أعمارهن أو وهن صغار السن . وهذا مما يضفي أهمية على ولادة الطفل الذكر عند الأم ، إذ يحضر هذه المناسبة أفراد قبيلتها وقبيلة زوجها ، إذا كانت متزوجة من خارج قبيلتها ، للمشاركة فيها وتقديم التهاني ، ويفعل ذلك كل أقاربها وجيرانها .

★ بعض من فتيات الكنوز بالملابس الشعبية ★



ويجد الرجل الذي يفتقر إلى الأبناء الذكور دافعاً كبيراً إلى الزواج مرة ثانية سواء أتم طلاقه من زوجته الأولى من أجل هذا الدافع أو رأى الإبقاء عليها .

وتهدف أغلب الأفعال الطقوسية التي تصاحب عملية الولادة إلى حماية الأم من ناحية ، ومن ناحية أخرى ، وهذا هو الأهم ، إلى الإبقاء على حياة الطفل ، في حين أن بعضها يهدف إلى جلب التفاؤل ، كما يذهب غيرها إلى إبطال مفعول المشاهرة والعين الشريرة بما تحدثه من أفعال السحر وما شابه من الأخطار ولذلك يعمل للطفل المولود « حجاب » ، وهو عبارة عن كيس صغير من القماش يحتوي على « **الحبل الصري** » للمولود إلى جانب بعض من حبات من الفول والملح والحناء وغيرها ، ويلف هذا الحجاب حول رقبة الطفل . كما يعتقدون في وجود « الدوجري » من ساكني النهر في أثناء الولادة حماية للطفل ولأمه حتى موعد « الأربعين » ، ولا تغادر الأم حجرتها بعد الولادة حيث تستقبل فيها زائراتها من الأهل والأقارب ، وتتناول فيها أيضاً وجباتها الغذائية المعدة خصيصاً لهذه المناسبة طوال هذه الفترة .

فطام الطفل وختانه

وتعتبر **فترة « الفطام »** Weaning فترة خطرة في حياة الأم ووليدها إذ يسود الاعتقاد عند الكنوز أن الأم ووليدها يتعرضان لمفعول المشاهرة في هذا الحدث الذي قد يسبب لها العقم أو جفاف لبن الرضاعة . ولذلك تستعد الأم لفطام طفلها الرضيع في نهاية الشهر القمري وذلك بترك باب فناء بيتها مغلقاً ، ولا تسمح لأي زائرة من أهلها بالدخول عليها إلا بعد أن تستأذن في الدخول وتعلن عن نفسها بعد الدق على الباب . وفي الليلة الأولى من الشهر القمري الجديد يوضع في فناء البيت إناء فيه نار مشتعلة منثور عليها الملح ، وعلى الأم أن تتخطى هذا الإناء سبع مرات أخرى وبعدها تغسل أيدي الطفل ورجليه فوق وهج النار المشتعلة وبانتهاء هذا الطقس يبطل مفعول المشاهرة .

أما الاحتفالات الطقوسية بعملية **ختان الابن الذكر**[3] Circumcision في دهميت قد تغيّرت كثيراً في خلال القرن الحالي ، إذ فقدت الكثير من مظاهر الاحتفال بها بعد أن كانت على درجة كبيرة من

التعقيد والأهمية لكل أفراد الجماعة . وكانت هـذه العمليـة تجرى عنـدما يفيض النيل ــ قبل بناء السد العالي ــ وذلك لارتبـاطه بفكـرة الخصـوبة والنماء .

ويحاط الطفل الذي تجرى له عملية الختان بشعـائر طقـوسية الغـرض منها وقايته من الخطر الذي قد يصيبه في هذه المنـاسبة والـذي قـد يهـدد « رجولته » « Virility » إذا ما أقدم على الزواج في المستقبل . وكانت هـذه العملية تجرى للذكور وهم في السن ما بـين الثـامنة أو العـاشرة وأحيـاناً الثانية عشرة ، أما الآن فتجرى لهم في سن أصغر يفضل المهاجرين الذين يقلدون أهالي المدن المصرية في هذا السبيل .

ولا يوجد سن محددة تجرى فيهـا عمليـة الختـان للبنـت « Excision »[4] . ولكن المرأة في دهميت تعتقـد أنـه كلما كبرت الفتـاة ازدادت آلامها من جراء هذه الجراحة . وتصبح البنت بعد عملية الختان عرضة للمشاهرة مثلها في ذلك مثل الطفل الذكر . وتحمل الأم فتاتها بعد ختانها على ذراعيها لتخرج بها من باب بيتها إلى الشـارع وتقف بهـا بعض الوقت قبل أن تعود بها مرة ثانية إلى دارهـا ، وذلك بهـدف وقـايتها مـن خطر المشاهرة . ثم تضعها بعد ذلك على حصـيرة في فنـاء البيت حيث يجتمع حولها الأطفال ليشاركونها أكل البيض المسلوق المعـد لهـذه المنـاسبة لتعويضها عما افتقدته من الدم أثناء إجراء هـذه الجـراحة لهـا . ويقـدم الحاضرون في هذه المناسبة « **النقوط** » كمشاركة منهم في الاحتفال بها .

حياة الأطفـال

يقضي الأطفال الصغار ــ بصرف النظر عن نوعيتهم ــ معظم أوقـات فراغهم في فناء بيوتهم أو أمامها يلعبون ، ونادراً مـا يبتعـدون عـن هـذه الأماكن إلا بمصاحبة أحد أقاربهم مـن الشبـان . وينتـظم الأطفـال في المدرسة الابتدائية عند بلوغهم السابعة .

ولقد لعبت المدرسة دوراً هاماً في مرحلة الطفولة حديثاً ، بينما لم يكن ذلك ممكناً أو متاحاً فيما مضى ، وذلك لأن الخدمات التعليميـة في دهميت كانت محدودة وكانت **الكتاتيب** الملحقة بـالجوامع ، الـتي يـديرها الأئمة المسلمون ، هي المكان الوحيد للتعليم الذي يتلـقى فيـه الأطفـال الـذكور التعاليم الدينية ويحفظون القرآن الكريم ونادراً ما كـانـوا يتلقـون معلـومات إضافية أخرى خلاف ذلك .

ويكون تلاميذ المدارس من الذكور البالغين ما بين السـابعة والحـادية عشرة من أعمارهم جماعات وفقاً لأماكن إقامتهم من حيث الناحية والجوار والقربى ، أما الذين يبلغون الثانية عشرة فأكثر فـإنهم يميلـون إلى تـكوين جماعات خارج نطاق القرية أو القرى المحيطة بقـريتهم ، ويعـرف الأطفـال عادة بسنهم أكثر مما يعرفون لمجال إقامتهم .

ويقلد التلاميذ الكبار في ألعابهم ، فتبني كل جماعة منهـم لهـا ضريحـاً ينسب إليها يختلف في حـجمه عـن أضرحـة جـمـاعة الـكبار . وتتصرف الجماعة منهم التي تنتمـي لضريح معين وكأنها قبيلة فيدعو أفرادها التلاميذ الآخرين ليشاركونهم احتفالاتهم وليكونوا في ضـيافتهم ، حيـث يقيمـون حلقات الذكر المشابهة تماماً لما يفعله الكبار .

ويعتبر اشتراك الأطفال في أنشطة الكبار اشتراكاً هامشياً . وبينما يحضر الفتيان المناسبات العامة في جماعات منفصلة ومتميزة عن جماعات الكبار ، نجد الفتيات الصغيرات يختلطن بغيرهن من النسوة الكبار دون تمييز .

وينتقل الفتية والفتيات من مـرحلة الـطفولة إلى مـرحلة « **البلـوغ** » « Puberty » بطريقة تدريجية تمتد عبر سـنوات عـديدة ، ولا تتميـز هـذه الفترة باحتفال ما أو باعتراف رسمي لبلوغ الفتى أو الفتـاة هـذه المرحلـة . ويترك للبالغين من الذكور الحرية في ارتداء الملابس دون وضع القيود التي تفرض على الكبار ، إذ ينظر إليهم ــ في هذه الفترة ــ كمرحلة وسطى بين الفتيان والرجال ، أما مرحلة البلوغ بالنسبة للبنت فتمثل دلالـة هـامة إذ تعدها أمها للزواج .

مظاهر الزواج

تعتبر المظاهر الاجتماعية للزواج على درجة كبيرة من التعقيد إذا قيست بغيرها من أحداث دورة الحياة الأخـرى بـاستثناء الـوفاة ، وذلك لأنـه يتضمن سلسلة من الاحتفالات منها إقامة الولائم الكبيرة التي يشترك فيهـا أفراد القبيلة جميعهم وقد يحضرها أفراد القبـائل الأخرى في حين يقتصر بعضها على عائلتي الزوجين .

وبالرغم من أن الزواج المنتشر عند الـكنوز هـو « **الـزواج مـن الداخل** » « Endogamy » والقبيلة عندهم هـي عبـارة عـن وحـدة اندماجية « Endogamous Unit » إلا أننا نجد أن أهالي دهميت يـرحبون بالزواج من القبائل الأخرى التي تقـطن نفس المنـطقة . ويـوجد مـن الاعتبارات ما يجعل عدد الرجال المقبلين على الزواج أقل من عدد النسـاء ممـن هن في سن الزواج . ويرجع ذلك إلى السـن المتـأخرة نسبيـاً الـتي يتزوج فيها الشاب وتفضيله الزواج من خارج قبيلته . كما أن ظاهرة **تعدد الزوجات** Polygyny غير منتشرة عندهم .

ويبدو أن دور الفتاة في اختيار شريك حياتها عند الكنوز سلبياً تمـامـاً ، في حين نجد الشاب أكثر حـرية منهـا في الاختيـار . ويتـوقف ذلك على

اعتبارات كثيرة منها قـدرة الشـاب على الـكسب المادي ، ووضــعه الاقتصادي ، ومدى استقلاله . وهذا هو السب في زواجه بعد بلوغه العشرين وحتى سن الثلاثين بعـد أن يـكون قـادراً على الـكسب والاستقلال ، في الوقت الذي تتزوج فيه الفتاة في سن السادسة عشرة من عمرها على الأكثر .

وعندما يترك الشاب بيت أبيه لينتقل إلى بيت الزوجية عليه أن يقوم بأفعال وتصرفات تتمشى مع وضعه الجديد بعد أن تحرر أو « تخلى » عن سلطة أبيه وسلطته المباشرة التي كان يمارسها على أسرته . ومـن ثم تتسم بعض أفعاله وتصرفاته خلال تلك الفـترة ، الـتي تلي الـزواج ، بتغـيرات كثيرة باعتباره عضواً جديداً في أسرة الزوجية .

وتشارك أسرة الزوجين في نفقات احتفالات الزواج ، الذي يعتبر مـن أكثر أحداث دورة الحياة تكلفة . وتختلف مـظاهر هـذه الاحتفـالات باختلاف وسائل تقديمها ، ويتولى العريس وأسرته الإنفاق على معـظمها ، كما تساهم قيمة المساعدات المادية الكبيرة الـتي يتلقاها مـن أقـاربه في تخفيض هذه النفقات ، وهي عادة ما تكون من المال والطعام . وعلى أسرة العروسين أن ترد في مثل هذه المناسبات بهدايا مماثلة إلى الأسر الـتي

★ أطفال القرية في حفلات السمر ★



شاركتها بصرف النظر عن الكمية المهداة إذ ينظر إليها «كبركة» أكثر من كونها «معاملة اقتصادية» «An Economic Transaction».

مظاهر الوفاة

تختلف الشعائر التي يمارسها الكنوز عند الوفاة اختلافاً كبيراً عن تلك التي يتبعونها في بقية شعائر دورة الحياة. وهي ذات دلالة هامة بالنسبة للقبيلة والمجتمع معاً. كما أنها تتجه نحو أهداف مغايرة. فبينما تتركز شعائر أغلب الأحداث كالميلاد وختان الفتى أو الفتاة والزواج وغيرها حول حماية الأفراد الذين قد تصيبهم الأخطار بأذى أثناء مرورهم بهذا الحدث، إلا أنه يلاحظ أن طقوس الوفاة تهدف إلى حماية الأحياء جميعهم من تلك الأخطار من ناحية، ولفائدة روح المتوفي من ناحية أخرى، كما تحتاج الوفاة أيضاً إلى مشاركة كل أفراد القبيلة التي ينتمي إليها المتوفي، ولكن ذلك من قبيل الجبر والإلزام لهم بصرف النظر عن أماكن إقامتهم. ويتبع الكنوز في شعائر الوفاة التعاليم الإسلامية، وتختلف نوعية هذه الشعائر باختلاف نوعية المتوفي.

وتتراوح فترة العزاء ـ في دهميت ـ بين يوم واحد وسبعة أيام وذلك وفقاً للظروف والعادات عند القبائل، وإن كان قد حدث تغيير بواسطة المهاجرين الذين قد تمنعهم وظائفهم من المساهمة بصورة فعلية في هذه المناسبة. وفي صباح يوم الوفاة يقتصر العزاء على الرجال دون النساء. ويبدأ العزاء عقب حدوث الوفاة حيث يتجمع الأهالي في بيت المتوفي لتقديم العزاء الذي ينحصر غالباً في التحية باليد مع إظهار مشاعر الحزن أو الحداد وذلك لعائلة المتوفي وأقاربه. أما العزاء الرسمي فيتم في «**خيمة القرية**». وإذا توفي أحد المهاجرين فعلى الشخص الذي سمع الخبر أن يذهب في الحال إلى الخيمة التي تقع في منطقة بيت المتوفي ليعلن خبر الوفاة.

ويحرم على أفراد قبيلة المتوفي المشاركة في أي من الاحتفالات والمناسبات العامة فيما عدا القيام بأعمال البيع والشراء أثناء إقامة هذه المناسبات. وتمتد هذه الفترة أو تقصر عند الأفراد وفقاً لدرجة قرابتهم للمتوفي.

ويعد الموت من أكثر أحداث دورة الحياة التي تحوي طقوساً يتم تنظيمها وفقاً لأنساب القبائل. وتحكم هذه الطقوس أفعال وتصرفات الرجال أكثر من تحديدها لأفعال النساء. ولا يتأثر ذلك بنوعية المتوفي.

وهناك بعض الالتزامات مثل «فترة العزاء الطويلة» يساهم فيها كل أفراد القبيلة، في حين تختلف بعض الالتزامات الأخرى مثل «فترة التقييد» «Nourning Restrictions» في طولها وحدتها تبعاً لاختلاف الجنس والنسب داخل القبيلة.

ويخلص كلندر من عرض هذا الكتاب إلى القول إن هذه الدراسة لم تهدف إلى الوصول إلى مستخلصات عامة «Conclusions» أو اختبار فروض علمية معينة أو بغية وضعها في إطار مرجعي للبحث الاجتماعي. ولكن النتائج التي احتواها الكتاب هي من قبيل النتائج «العرضية» (Tangential products) التي رأى المؤلف عرضها لاعتقاده بأن الشعائر والطقوس من مكونات هذه الثقافة سوف لن تبق طويلاً، وأن في عرضها حفاظاً على سماتها قبل أن تندثر.

وفي الحقيقة تعتبر هذه الدراسة ـ المتضمنة لهذا الحشد الهائل من شعائر وطقوس دورة حياة الفرد عند الكنوز ـ على قدر كبير من النفع والأهمية وأن في مقارنتها لعدد من الدراسات كالدراسة التي قام بها «**باركلي**» عن السودان. (H.B., Barclay, Burri: A Suburban Cillage In The Sudan, Ithaca, Cornell, 1964). والدراسة التي قام بها **حامد عمار** في التنشئة الاجتماعية في قرية سلوى بأسوان عام ١٩٦٦م، إثارة العديد من النقاط الهامة التي يجد فيها المهتمون بهذا الميدان في مجالات خصبة للدراسة والبحث.

الهوامش

(١) لمزيد من التفاصيل عن هذه الدراسة يمكن الرجوع إلى:

a) R. Fernia, 1963 "The Ethnological Survey Of Egyptian Nubian: Report" Current Anthropology. TV: 78-83.

b) ———, 1966, "Contemporary, Egyptian Nubian, N. Haven H.R.A.F.

وقام بالإشراف على هذه الدراسات روبرت فرنيا: الذي يعمل الآن أستاذاً ومديراً لقسم الأنثروبولوجيا بمركز دراسات الشرق الأوسط بجامعة تكساس، وله عدد من الدراسات عن الأصالة البشرية في العالم العربي. والتنظيم الاجتماعي وتغيراته في الشرق الأوسط، وأيضاً دراسات عن المجتمعات الريفية ومشاكل الدول النامية.. وساهمت في التمويل مؤسسة فورد.

(٢) R. Fernia, preminary Report On Nubia, Social Research Center, A.U.C., ps: 2,3.

(٣) عملية الختان ـ في نظر كالندر ـ يحتمل أن تكون نوبية الأصل جاءت إليهم قبل دخول الإسلام هذه المنطقة. وقد أبقى الإسلام عليها بالنسبة للذكور. أما بالنسبة للبنات فقد ظلت هذه العادة ثابتة وذلك لإصرار النساء على إجرائها بينما يخالفهن الرجال في الإبقاء عليها استناداً إلى أن الدين الإسلامي لم يعاقب الممتنعين عن إتيانها.

(٤) يرى كالندر أنه ليس من الدقة العلمية إطلاق المصطلح «Circumcision» على ختان الذكور والإناث وبخاصة من الناحية البيولوجية وإن كان الكنوز يطلقون نفس الاسم لكل من الولد والبنت. ويرى استخدام مصطلح «Excision» لختان البنات.

موضوع خاص

العلم يكشف وأفيون المخ الطبيعي

بقلم:
د. سامي عزيز

كثيراً ما نتساءل لماذا يقف الألم بعد أن نجرح؟ لماذا لا يستمر ساعات طويلة؟ ما الذي يوقفه؟ وهل الجسم يستطيع أن يشفي نفسه بنفسه حقاً؟ عندما نصاب بالقلق والصراع النفسي، ما الذي يهدئ نفوسنا ويبعث فينا الراحة والطمأنينة مرة أخرى؟.

في سنة ١٩٧٧م، تقاسم العلماء الأميريكيين ر. س. بلو، ر. جيلمان، أ. ف. شالي جائزة نوبل في علم الفسيولوجيا نتيجة اكتشافهم قدرة خلايا المخ على إفراز مواد طبيعية لها تأثير المخدرات والمورفين والهيروين والمطمئنات المختلفة. كما توصلوا إلى طرق الكشف وقياس هذه المواد الموجودة في المخ وتحت المهاد (الهيبوثلاموس) وأيضاً في الغدة النخامية. والمخ يفرزها في وقت الألم وفي وقت الأزمات النفسية المختلفة. وهذا المورد الطبيعي الذي أودعه الله فينا من مواد مسكنة تجعلنا نتحمل العناء ونواجه الحياة ومشاكلها بوجه باسم وبقلوب مشرقة.





كيف نشعر بالألم ؟

مستقبلات الألم هي مستقبلات غير متخصصة أو متحورة ، إنها نهايات عصبية غير نخاعية (عارية) موجودة في الطبقات السطحية لأدمة الجلد وهذه النهايات العصبية في غاية الصغر وتسير في خطوط متوازية مع سطح الجلد ، وهي موجودة أيضاً في القرنية والغشاء البلوري والبريتوني . . . وغيرها . وتنتقل نبضات الألم (السيالات) من الجلد إلى الجهاز العصبي المركزي عن طريق الألياف الحسية الجسمية إلى الحبل الشوكي ثم المهاد أو السرير (الهيبوثلاموس) إلى قشرة المخ المنطقة ١ ، ٢ ، ٣ ، حيث يتم تقويم الأحاسيس وإدراكها على الصورة المألوفة المفهومة عندنا ، فنحن لا نقدر ولا نشعر بالأحاسيس شعوراً حقيقياً إلا بواسطة قشرة المخ .

وتستجيب مستقبلات الألم لشتى المؤثرات الميكانيكية والكيميائية والحرارية ؛ فليس المهم هنا نوع المؤثر بقدر ما تكون الأهمية لمدى شدته . . فمؤثرات الألم على اختلاف أنواعها ومصادرها تشترك كلها في صفة واحدة وهي فقد الأنسجة وإتلافها . ولذلك فشعورنا بالألم ينبهنا ويحذرنا بالابتعاد عن هذه المؤثرات المحدثة للألم وبالتالي تقليل الأنسجة المفقودة والمتلفة . وفي بعض الحالات المرضية يحدث اختلافاً في حساسية مستقبلات الألم مما يؤدي إلى زيادة الشعور بالألم . . فمثلاً المنطقة المحيطة بأي التهاب أو حرق نجدها أكثر حساسية عن باقي الجلد نظراً لاختلال حساسية مستقبلات الألم فيها .

الفعل المنعكس

ما الذي يجعلنا ـ دون أن ندري ـ ندفع بذراعنا بعيداً عن مصدر الألم ؟

عندما تمس جسماً ساخناً ، يندفع سيال حسي من هذه المنطقة إلى الحبل الشوكي ، فيقوم بتنشيط مجموعة من الخلايا العصبية المحركة في نفس العقلة من **الحبل الشوكي** وبذلك يحدث رد الفعل في التو . فتسحب يدك بعيداً . وبذلك فمثل هذه الأفعال لا تتطلب شيئاً من تقدير مراكز المخ العليا وتدبيرها فهي أفعال لا تقوم على التفكير والتعقل . فالغرض الأساسي منها هو الحماية والدفاع ، وتقليل نسبة الأنسجة المفقودة والمتلفة .

العتبة الحسية للألم

وهي أصغر قدر من التنبيه يستطيع الإنسان تمييزه . ويجب أن نؤكد بأن هناك اختلافاً بين إدراك الألم واستجابة الجسم للألم (التغيرات المصاحبة للألم مثل انقباض عضلات الوجه ، وارتفاع ضغط الدم ، وزيادة إفراز العرق ، واضطراب النبض . . إلخ) .

فإدراك الألم في الإنسان يكاد يكون ثابتاً بين الأشخاص المعافين ، وقد تظهر بعض الاختلافات البسيطة بين يوم ويوم وساعة وأخرى من ساعات اليوم . وقد وجد أن القبض على الأشياء والجذ على الأسنان يعيننا على تحمل الألم (كما تفعل السيدات أثناء الولادة) إذ يجعلنا لا ندرك المؤثرات المعتادة إلا إذا ارتفعت شدتها إلى ٤٠ ٪ كما أن تشتت الفكر وإحداث ألم في مكان آخر (كما هو الحال في العلاج بالكي) يؤدي إلى تقليل إدراكنا للألم الأساسي ولذلك يشعر المريض بالشفاء بعد كيه إذ إن إدراكه للألم ينتقل من مكان المرض الأساسي إلى مكان الكي .

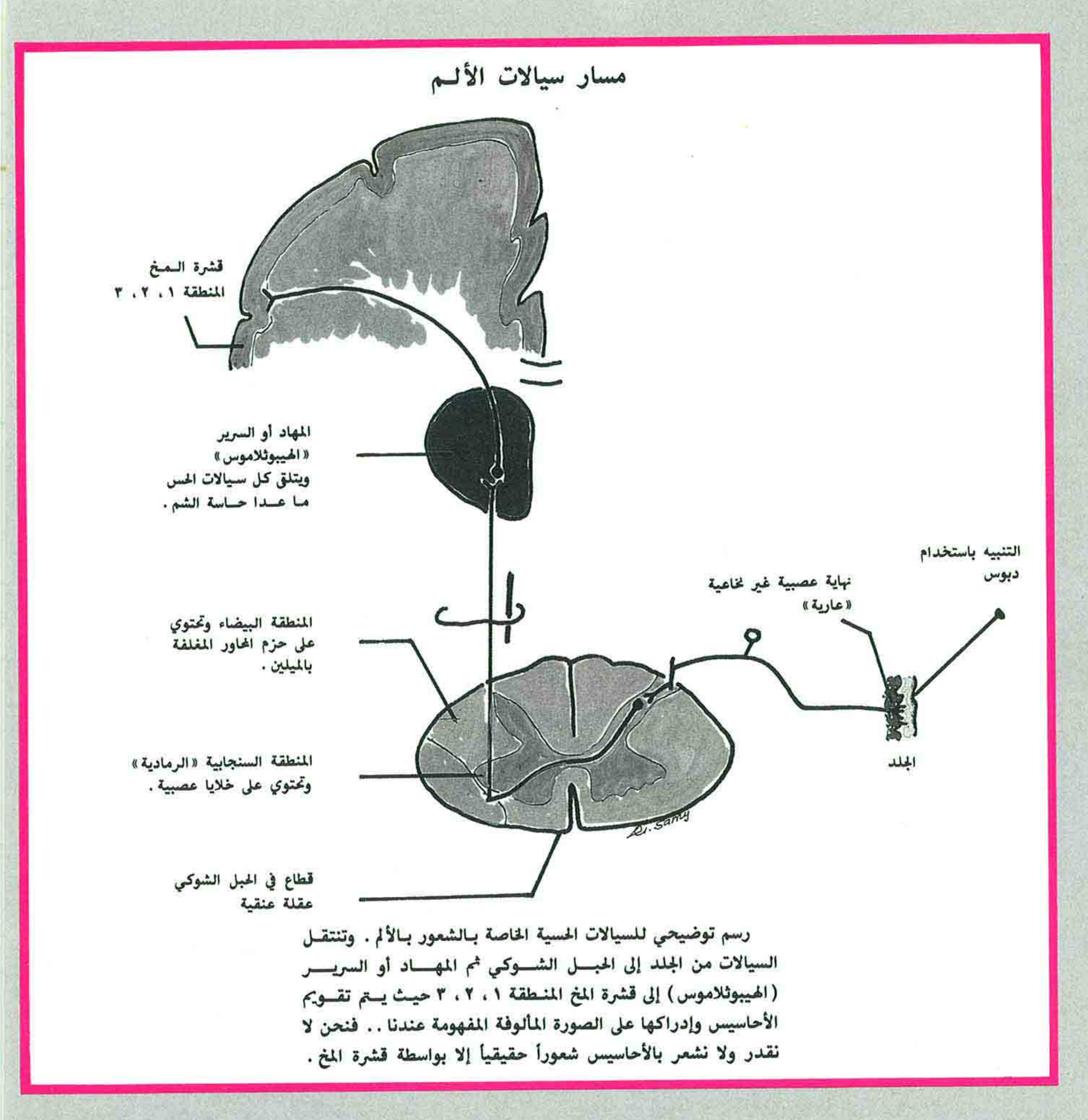
أما استجابة الجسم للألم فتختلف اختلافاً بيِّناً من شخص إلى آخر كما أن العقاقير المسكنة للألم ذات قيمة فعالة في تقليل هذه التغيرات المصاحبة للشعور بالألم .

ألم العضلات

الانقباض المنتظم لعضلات الجسم (التي تحصل على كمية الدم التي تحتاجها) لا يصاحبه أي شعور بالألم . وبمجرد أن تختل كمية الدم التي تصل للعضلات يبدأ الشعور بالألم مع حدوث تقلص شديد بها . ويستمر الشعور بالألم إلى أن ترد كمية الدم المطلوبة لهذه العضلات ويمكن أن يحدث ذلك عند انقباض العضلات بصفة مستمرة ولمدة طويلة وبدون فترات راحة بين الانقباضات ؛ مما يؤدي إلى نقص كمية الدم التي ترد إليها وبالتالي الشعور بالألم . وقد تم تفسير هذه الظاهرة بافتراض وجود مادة محدثة للألم (المادة ب) وهذه المادة تفرزها العضلات عندما تنقبض بصفة مستمرة ولفترة طويلة مما يؤدي إلى شعورنا بالألم (التقلص العضلي الذي يحدث للاعبي كرة القدم) وعندما تصل هذه العضلات المتعبة كمية الدم التي تحتاج إليها ويبدأ صرف (المادة ب) في تيار الدم يقل الشعور بالألم . كما أن الألم المصاحب للذبحة الصدرية والناجم عن قلة كمية الدم التي تصل عضلات القلب يمكن تفسيره على أساس زيادة (المادة ب) المحدثة للألم . ولذلك فالألم يقل مع الراحة التي من شأنها تقليل كمية الأكسيجين التي تستهلكها عضلات القلب ، وبالتالي تتاح الفرصة لكمية أكبر من الدم للمرور في الشرايين التاجية المغذية لعضلة القلب وتنصرف بذلك (المادة ب) مع الدورة ويقل الشعور بالألم .

الألم المرتجع

التهاب الحشا غالباً ما يؤدي إلى الشعور بالألم بعيداً عن مصدره



رسم توضيحي للسيالات الحسية الخاصة بالشعور بالألم . وتنتقل السيالات من الجلد إلى الحبل الشوكي ثم المهاد أو السرير (الهيبوثلاموس) إلى قشرة المخ المنطقة ١ ، ٢ ، ٣ حيث يتم تقويم الأحاسيس وإدراكها على الصورة المألوفة المفهومة عندنا .. فنحن لا نقدر ولا نشعر بالأحاسيس شعوراً حقيقياً إلا بواسطة قشرة المخ .

الحقيقي إذ يبدو الألم وكأنه صادر من بعض المناطق الجسمية .. وهذا النوع من الألم يسمى بالألم المرتجع ؛ فالألم ينتشر ويشعر به المريض في منطقة بعيدة عن مصدره الأصلي .. لذلك فمن الأشياء الهامة لكل طبيب معرفة الألم المرتجع وأماكن الشعور بالألم التي تصاحب أمراض الأعضاء المختلفة . وخير مثال على ذلك الألم المصاحب للذبحة الصدرية فمصدره الأساسي القلب ولكن المريض يشعر بالألم في الذراع الأيسر كما أن تهيج الجزء الأوسط للحجاب الحاجز يؤدي إلى الشعور بالألم في الكتف .. وأيضاً تمدد الحوالب يؤدي إلى الشعور بالألم في الخصية . ورغم ذلك فلا توجد قاعدة معينة للألم المرتجع فربما يحدث الشعور بالألم في مناطق أخرى غير هذه .. فمثلاً الألم الناشئ من قصور الدورة التاجية للقلب (الذبحة الصدرية) قد نشعر به في منطقة البطن (فم المعدة) أو في الذراع الأيمن أو حتى في الرقبة .

المخدرات الطبيعية

وجد حديثاً أن المورفين الطبيعي على أنواع . ويقوم الجسم بإفراز هذه المورفينات من مادة البيتا ليبوبروتين الموجودة في الغدة النخامية والمخ . ومادة البيتا ليبوبروتين

المـخ ـ السطح الأنسي

الأرقام تشير إلى مناطق المخ المختلفة . فلكل منطقة وظيفتها وأهم هذه المناطق :

المنطقة ٤ : منطقة الحركة .

المنطقة ٦ ، ٨ : ما قبل منطقة الحركة .

المنطقة ١ ، ٢ ، ٣ : منطقة الإحساس .

المنطقة ١٧ ، ١٨ ، ١٩ : منطقة الإبصار .



تم اكتشافها في هذه الأماكن من عدة سنوات ولكنها أهملت لأننا في ذلك الوقت لم نكن نعلم بفائدتها . وأهم أنواع المخدرات الطبيعية المعروفة الآن :

(١) مجموعة الأنكفالين : لها نفس تأثير المورفين . وتتركب من خمسة أحماض أمينية ، وغالباً ما توجد في النهايات العصبية عند اتصالها بالخلايا العصبية .

(٢) مجموعة الأندورفين : وتتركب من ٣١ حمض أميني وهي على أنواع فمنها :

★ ألفا أندورفين .

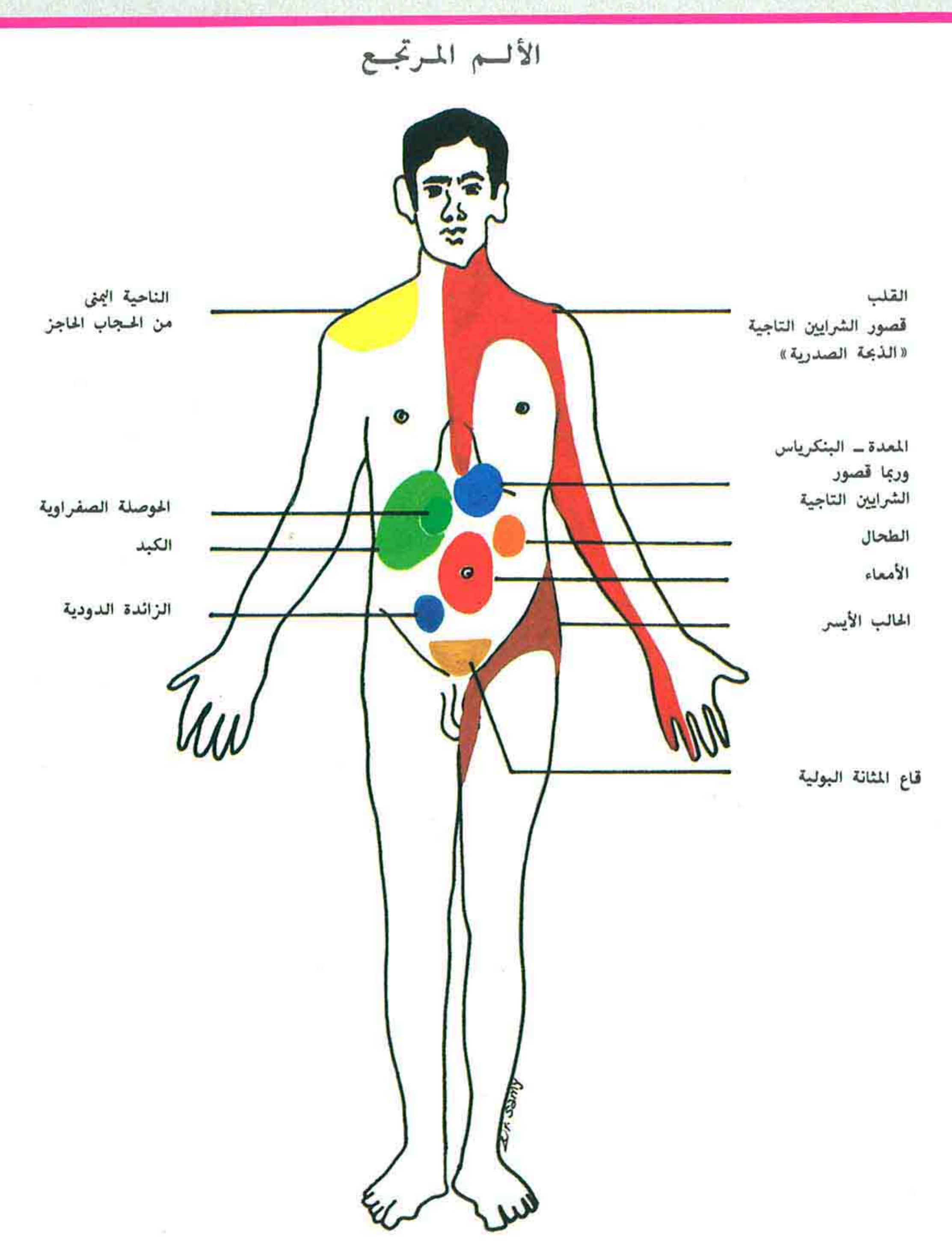
★ بيتا أندورفين .

★ جاما أندورفين .

ولقد وجد أن الألفا والجاما أندورفين والأنكفالين لهم نفس قوة وفعالية المورفين . أما البيتا أندورفين ففعولها يعادل ٥ إلى ١٠ أمثال تأثير المورفين . وعند حقن مادة البيتا أندورفين في حيوانات التجارب يحدث تسكيناً عاماً في الجسم لمدة ٣ ــ ٤ ساعات مما يدل على مدى فعاليتها .

وهذه المواد توجد ملتصقة على مناطق معينة من سطوح

الألـم المـرتجـع



التهاب الحشا غالباً ما يؤدي إلى الشعور بالألم بعيداً عن مصدره الحقيقي واللوحة توضح المنطقة التي يختص بها كل عضو.

الخلايا العصبية في مراكز الدماغ. مثل مراكز الألم والخوف والانفعالات .. إلخ، وطالما أن هذه المواد متوافرة وتغطي سطوح خلايا هذه المراكز فإن دماغ الإنسان هادئ ويعمل بروية وحكمة .. ولكن عند زيادة أو نقص هذه المواد عن أسطح الخلايا .. عندئذ تبدأ خلايا قشرة المخ في الاضطراب وتحدث الأزمات النفسية وأزمات الألم المختلفة.

المادة ب

هذه المادة لها تأثير مضاد للأنكفالين والأندورفين. فهي مثيرة للألم ويطلقها النخاع الشوكي عند الشعور بالألم لأي سبب من الأسباب لترتبط بمستقبلات حسية خاصة في مراكز الإحساس ومراكز الألم الجسدية والنفسية، وعندئذ يبدأ الشعور بالألم والتعب ولكن وجودها يجعل المخ



يبدأ في إفراز المورفين الطبيعي (الأندورفين والأنكفالين) بحسب الحاجة وحسب نوع الألم. وتتنافس (المادة ب) المثيرة للألم مع مواد (الأندورفين والأنكفالين) المثبطة للألم للوصول إلى مراكز الألم. فإن غلبت (المادة ب) شعر المريض بالألم باستمرار. وإن غلبت المورفينات الطبيعية سكن الألم ذاتياً. وربما يفسر لنا ذلك **اختلاف الاستجابة للألم من شخص إلى آخر، فبعض الناس نجدهم يشعرون بألم شديد لمجرد شكة الدبوس؛ في حين أن البعض الآخر قد تفاجئه كارثة نفسية وجسدية ونجده يتحملها. فالأمر هنا يتوقف على مدى وفرة (المادة ب) وقلة الأنكفالين والأندورفين في المجموعة الأولى. وزيادة إفراز المورفين الطبيعي في المجموعة الثانية.**

الأفيون نعمة ونقمة

لا نعرف على وجه التحديد متى بدأ استخدام الأفيون كدواء. ولكن بكل تأكيد تم استخدامه في **عصر ما قبل التاريخ**. ولا يزال الطب – إلى الآن – في حاجة إلى الأفيون فهو مسكن ومهدئ ومضاد للكحة وفعال في علاج الإسهال. ويتم الحصول على الأفيون من **نبات أبو النوم** OPIUM POPPY والعصير المستخرج منه يترك ليجف ثم يجمع.

ومادة الأفيون الخام استخدمت في الطب حتى سنة ١٨٠٣م، في هذه السنة تمكن **فريدريك سوتيرز** من استخلاص المادة الفعالة وبدأ في اختبارها على حيوانات المعمل، وعلى نفسه ثم على ثلاثة رجال آخرين. ولاحظ أن العقار يؤدي إلى انقباض الأطراف وأنه يريح ألم الأسنان ويمنع الإسهال ويهبط من نشاط الجهاز العصبي وسماه مورفين نسبة إلى الإله المزعوم في الخرافة **مورفيس** MORPHEUS وتقول الأسطورة إن مورفيس هو ابن **سومنس** SOMNUS إله النوم اللعين. وتصف الأسطورة مورفيس بأنه بدين وله أجنحة، وتقبض كلتا يداه على نبات أبو النوم وليس له وظيفة سوى أن يقف بجوار فراش والده النائم يحرسه حتى لا يقلق ويستيقظ بسبب الضوضاء.

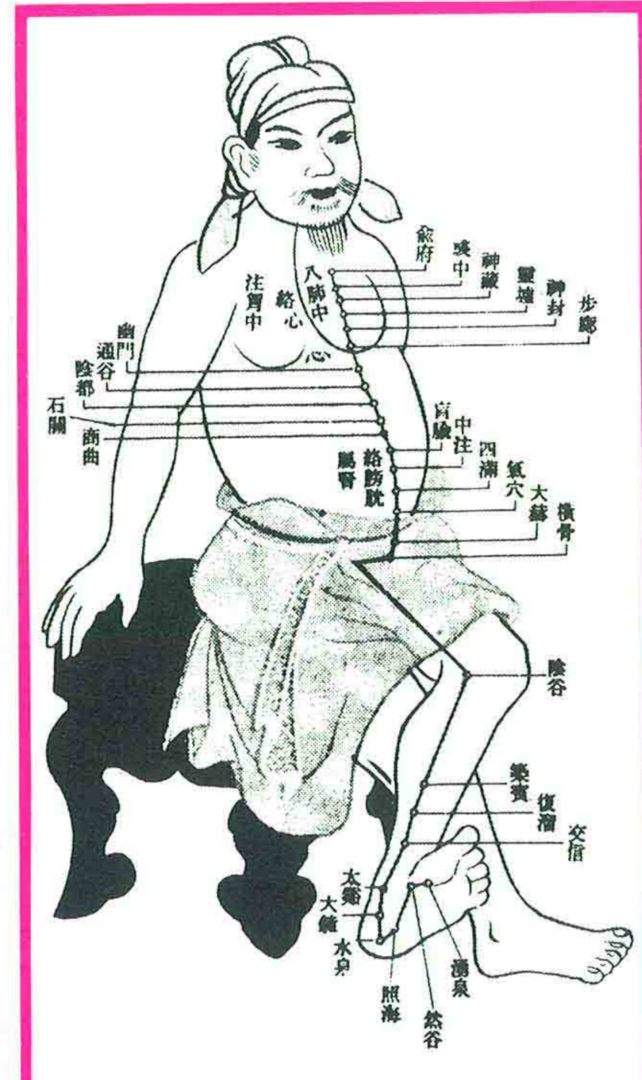
والأفيون يحتوي على العديد من القلويدات. ولكن أهم هذه القلويدات: المورفين والكودايين وربما هناك اثنين آخرين أقل أهمية هما: الناسكابين والبابافرين. ويستخدم المورفين كمهدئ في حالات الصدمة؛ ولكن نظراً لأن الأوعية الدموية (في حالات الصدمة) تكون في حالة انقباض شديد، لذلك فحقن المورفين تحت الجلد لا يفيد نظراً لتأخر دخوله تيار الدم لعدة ساعات. لذلك يفضل – في حالات الصدمة – إعطاء المورفين بالحقن في الوريد ببطء شديد أو في العضل، ولكن يلاحظ أنه في حالات فشل وظائف الكبد فإن الجرعات الصغيرة من المورفين ربما تحدث غيبوبة كما أن المورفين محرم في حالات نقص إفراز الغدة الدرقية؛ كذلك في حالات الأمفزيما (**انتفاخ الرئتين**)، وحالات أزمات **الربو الشعبي** يحرم إعطاء المورفين. أيضاً في **التهاب البنكرياس** وبعد عملية إزالة **الحوصلة الصفراوية**.

لماذا الإدمان؟

تغيرت نظرة العلم الحديث للإدمان وللمدمنين، فبعد الأبحاث الجديدة والكشف عن مادتي الأنكفالين والأندورفين ثبت لنا وجود اضطراب أيضي في الأشخاص المهيئين بطبيعتهم للإدمان؛ وهذا الاضطراب يختلف بحسب نوع الإدمان. هل هو إدمان للخمر؛ للأفيون أو للأقراص المنومة. وهذا الاختلاف يتوقف على طبيعة استجابة الجهاز العصبي الكيميائية لهذه المواد. فبعض الأشخاص يتناولون قرصاً أو قرصين من الأقراص المنومة يومياً لعشرات السنين بدون حاجة إلى زيادة الكمية. أما المدمن فجسمه يتعود على العقار بسرعة ويبدأ يحتاج إلى مزيد من الجرعات تدريجياً حتى يصل إلى الحالة التي تعود عليها عند بدء معرفته للعقار. وإذا ما توقف عن تناول العقار فتظهر عليه بعض الأعراض (كالتثاؤب والعرق الشديد، وإدماع العين، وسيل الأنف، وارتعاش العضلات، والانقباض المؤلم لبعض العضلات، والقيء والإسهال بصورة حادة) وبذلك يعود إليه مرغماً. وتفسير ذلك أن العمليات البيولوجية المختلفة أصبحت مضطربة وأصبح وجود العقار ضرورة حتمية، والذي يهمنا هنا تفسير هذه الظاهرة.. **ما الذي يجعل بعض الناس مدينة لعقار معين أو للكحول أو للأفيون؟** الأبحاث الأخيرة تشير إلى وجود علاقة بين الإدمان ونقص كميات أفيون المخ الطبيعي التي تفرز لتثبيط الألم. ومن ثم يحتاج المدمن لعقاقير خارجية مختلفة لمقاومة حدة الألم النفسي أو الجسدي. كما وجد أن استخدام العقاقير المخدرة يُوقف إفراز هذه المواد الطبيعية من خلايا المخ ويبدأ الجسم في الاعتماد على المواد الخارجية كبديل لا بد منه وتقوم بالتالي بعملها كمهدئ له. وبتكرار ذلك يتوقف الإفراز الطبيعي كلية... إذ لا حاجة إلى هذا العناء ما دام المورد الخارجي متوافر. وهذا يفسر لنا الأعراض المرضية التي يعاني منها المدمن عندما يبدأ في التوقف عن تناول المخدر.. ولماذا تفشل محاولاته في الامتناع ويعود مرة أخرى إلى الإدمان. ومن هنا كان لا بد عند علاج المدمنين إنقاص تناول هذه المواد المخدرة بطريقة تدريجية وليس بالامتناع المفاجئ عنها.

المورفين الطبيعي والإبر الصينية

الصورة المقابلة رسم من عهد **أسرة منج من القرن الرابع عشر**



رسم من أسرة منج . والكتابة الصينية تشير إلى أنه وصف لشفاء أمراض الكلية باستخدام الإبر الصينية وذلك برشق الإبر في الأماكن المبينة بالصورة .

الميلادي حتى القرن السابع عشر الميلادي . وتدل الكتابة الصينية التي على الرسم على أنه وصف لشفاء أمراض الكلية . وكان يعتقد أن الخط الرأسي على المريض يتعلق بالكلية وأن طريقة المداواة هي رشق هذا الخط بإبر في الأماكن السبعة والعشرين المبينة في الصورة .

وما زال فن المعالجة بوخز المريض على طول خطوط مرسومة من قرون سابقة ـ وهو ما يعرف بوخز الإبر ـ مستعملاً للآن . **واستخدامات الإبر الصينية تعددت وثبتت فعاليتها في علاج العديد من الأمراض فلكل مرض أماكن معينة وعدد معين من الإبر ،** وعند رشق الإبر في هذه الأماكن يختفي الألم وتذهب الأعراض . **كما أمكن استخدام الإبر الصينية في التخدير وأجريت العديد من العمليات بواسطتها ؛** فمثلاً أمكن قص عظام الصدر وإجراء عملية استئصال رئة كاملة باستخدام الإبر الصينية . والعجيب أن الجرَّاح يمكنه التحدث مع المريض أثناء العملية والمريض يجيب على أسئلته دون أن تبدو على وجهه أي علامات الألم أو شيء من هذا القبيل . كما أمكن إجراء **العمليات القيصرية** ، وإزالة الأورام والسرطانات من أماكن مختلفة ، وغير ذلك من العمليات . **والتخدير باستخدام الإبر الصينية ـ بدون شك ... يريح المريض من مضاعفات التخدير المعتادة ولكن لا بد أن نشير إلى أن استخدام الإبر الصينية له أيضاً مضاعفاته وعلى رأس هذه المضاعفات الإصابة بالالتهاب الكبدي الوبائي** . . ولا تقف استخدامات الإبر الصينية عند هذا الحد ولكنها استخدمت بنجاح في الأمراض الروماتزمية المختلفة وفي إيقاف آلام الأسنان وحتى في الإقلاع عن التدخين .

وميكانيكية فعالية الإبر الصينية ما زالت مجهولة ، ولو أن العديد من النظريات وضعت لتفسيرها إلا أنها كلها منقوضة ولا يمكن الأخذ بها والأبحاث التي أجريت أخيراً أثبتت أن التأثير المسكن للألم الذي تحدثه الإبر الصينية عند رشقها يرجع إلى إفراز مادة الأنكفالين التي تلتصق بسطوح الخلايا العصبية في مراكز المخ الخاصة بالألم ؛ مما يوقف الشعور بالألم .

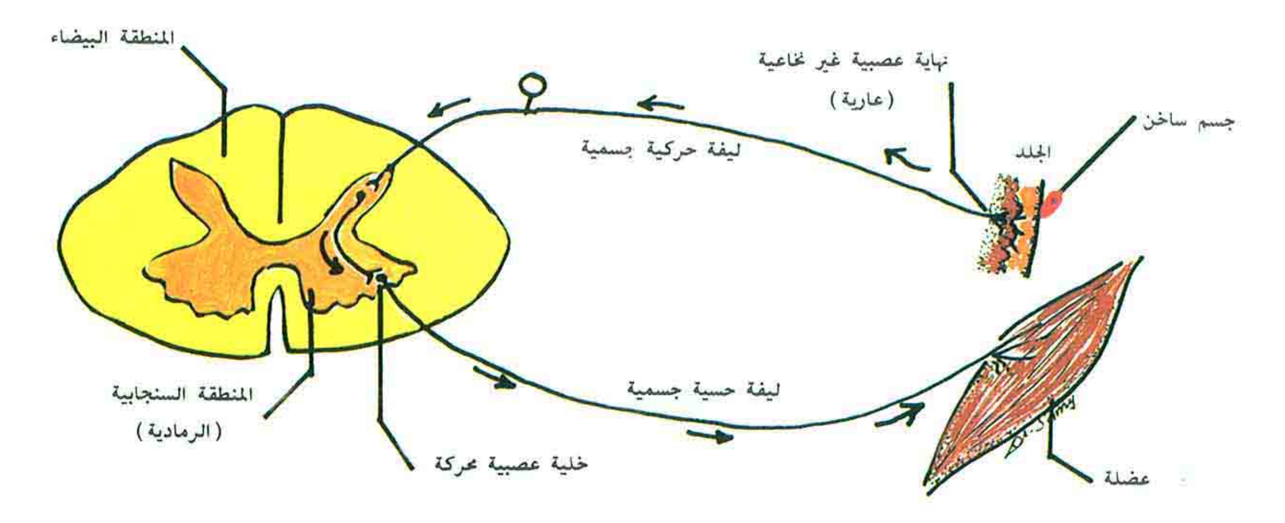
المورفين الطبيعي والغدد الصماء

وجد حديثاً أن بعض هرمونات الغدد الصماء يتم إفرازها عن طريق مادتي الأندورفين والأنكفالين . وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار المورفين الطبيعي مسؤول عن تنظيم إفراز بعض الغدد الصماء . لذلك فاضطرابات بعض الغدد الصماء قد يكون أحد أسبابها المورفين الطبيعي ؛ فحالات زيادة إفراز **هرمون البرولاكتين** التي يصاحبها عدم انتظام الدورة الشهرية عند النساء وأما في الرجال فتكثر الشكوى من **العنة** (العجز الجنسي) وفقدان الشهوة الجنسية ، قد يكون أحد أسبابها زيادة إفراز مادة الأندورفين . لذلك حاول العلماء علاج هذه الحالات بخفض مستوى البرولاكتين في الدم مستخدمين **عقار النالكسون** . والمعروف أن النالكسون هو المضاد المعروف للمورفين . وقد نجح النالكسون في العديد من الحالات التي تم علاجها بهذه الطريقة وهبط مستوى البرولاكتين في الدم مما يؤكد أن جزيء المورفين الطبيعي يشابه جزيء عقار المورفين . لذلك فالنظريات الجيدة تشير إلى أهمية المورفين الطبيعي لا كمسكن للألم فحسب ولكن لدوره الخطير كعامل وسيط في إفراز بعض هرمونات الغدد الصماء كما أن زيادة إفراز المورفين الطبيعي قد تكون أحد الأسباب المسؤولة عن اضطرابات الغدد الصماء .

مدخل للعديد من الأبحاث

- هل للمورفين الطبيعي دور في نشاط الجهاز الحركي ؟ .

الفعل المنعكس



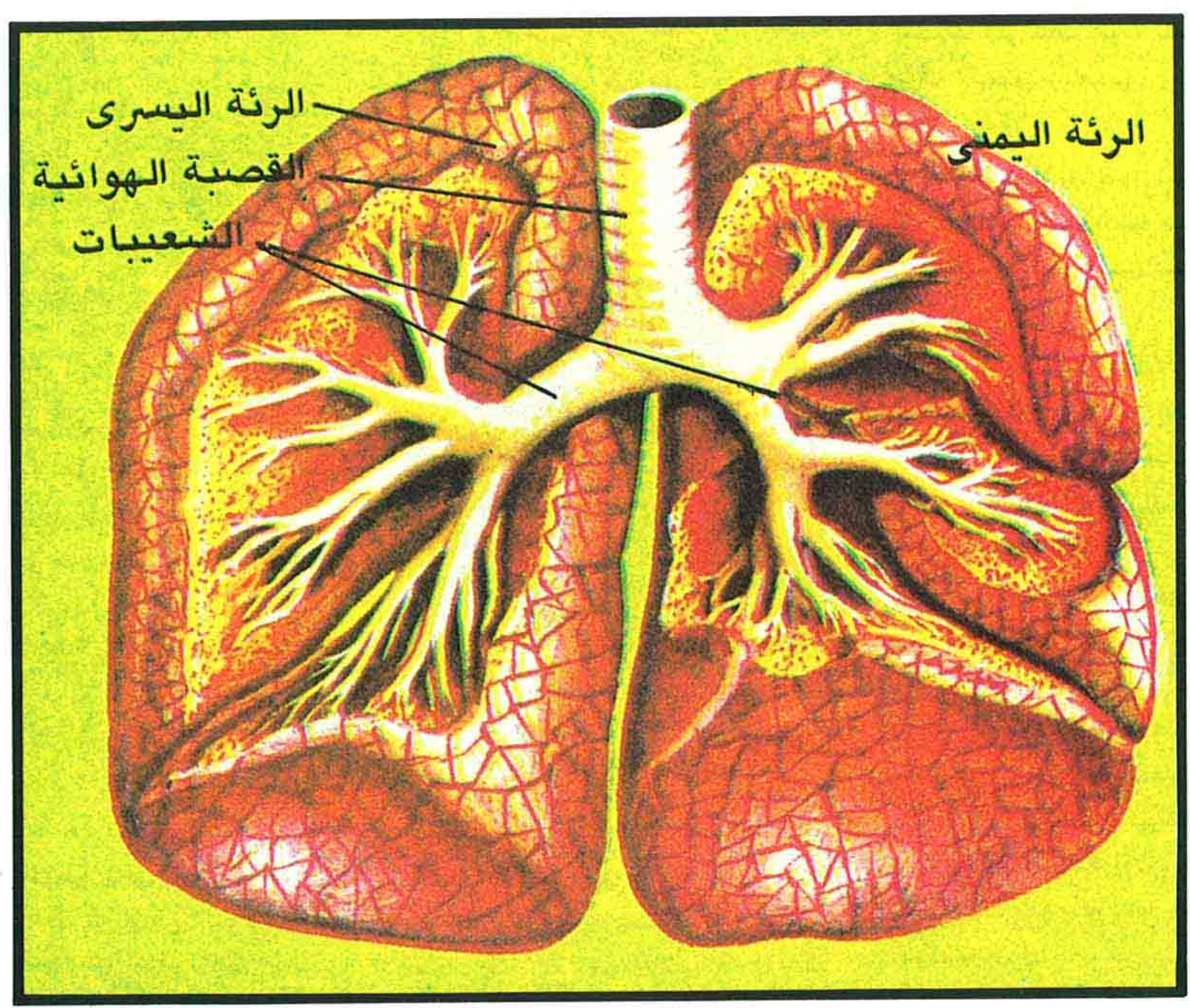
عند لمس جسماً ساخناً تندفع سيالات حسية من هذه المنطقة إلى الحبل الشوكي حيث تنشط مجموعة من الخلايا العصبية المتحركة في نفس العقلة من الحبل الشوكي وبذلك يحدث رد فعل في التو. فتندفع سيالات في الليفة الحركية الجسمية إلى عضلات هذا الجزء وتحدث انقباضها وبذلك تندفع اليد بعيداً عن الجسم الساخن.



- هل للمورفين الطبيعي دور في حفظ درجة حرارة الجسم ثابتة ؟.
- ما دور المورفين الطبيعي في فسيولوجيا الناحية الجنسية ؟.
- كيف يعمل المورفين الطبيعي في منطقة الهيبوثلاموس ؟.
- هل للمورفين الطبيعي دور في تنظيم عمل الغدة فوق الكلوية ؟.
- ما علاقة المورفين الطبيعي وهرمون الأنسولين ؟.
- هل اختلاف المزاج والطبع والتصرف من شخص إلى آخر.. تحدده كمية المورفين الطبيعي الذي تفرزه خلايا المخ ؟.
- ما هو الدور الحقيقي الذي يلعبه المورفين الطبيعي أثناء تعرضنا للأزمات النفسية ؟.
- هل يمكن استخدام قياس المورفين الطبيعي في الدم كمؤشر يدلنا على بعض الأمراض ؟.
- هل للمورفين الطبيعي دور علاجي ؛ هل يمكن إنتاجه على هيئة عقاقير ؟.
- ما دور المورفين الطبيعي عند الإصابة بأحد السرطانات ؟.
- ماذا بعد المورفين الطبيعي ؟.

العديد من الأبحاث نقرأ عنها كل يوم في المجلات الطبية، وهي بلا شك تؤكد أهمية اكتشاف المورفين الطبيعي (الأندورفين والأنكفالين).. وهكذا فالبحث العلمي لا يعرف نهاية ولا حدود، وكل إضافة علمية هي شمعة على الطريق لمزيد من المعرفة ولحياة أفضل ــ بدون ألم ــ لكل مريض ما زلنا نسعى ونبحث له عن علاج، وسبحان الله الذي أبدع فيما خلق، وسنظل نلهث ونتعجب لكل جديد نكتشفه فيما أبدعه الخالق.

☆ ☆ ☆



★ الرئتان كما تظهران من الأمام، وقد أزيل جزء من النسيج الرئوي ليظهر تفرع الشعيبات ★

أضواء على مرض

الربو الشعبي

بقلم: نعمة عبد الكريم أحمد

الربو الشعبي من الاضطرابات النفسية الفسيولوجية المعروفة باسم «الاضطرابات السيكوسوماتية» أي أنه أحد الأمراض البدنية Physical illnesses التي تلعب العوامل النفسية دوراً بارزاً وخطيراً في الإصابة بها، ولاصطلاح الربو الشعبي أصول منها أن كلمة «ربو» مشتقة من الكلمة اليونانية التي تعني «يلهث» أو «يتلهف للتنفس» To Pant or To gasp for breath . وتعد تسمية الربو بهذا الاسم تعبيراً وصفياً، ولا يشير الاصطلاح إلى الأسباب التي تؤدي إلى الإصابة به . والواقع أن الربو مرض يثير التفاقات والإثارات الحادة خلال الفترات التي يتخللها الأعراض . ومعظم نوبات الربو قصيرة الأمد تستمر من دقائق ولكنها قد تطول وتمتد إلى ساعات .

مرض الربو الشعبي

أعراض الربو

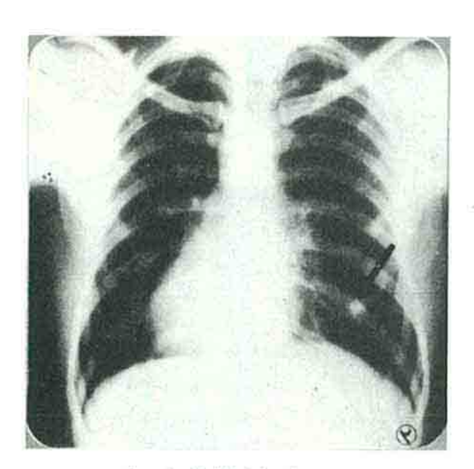
الخاصية الأساسية للربو هي « التنفس بجهد شاق مع حدوث صوت كالصفير مع وجود صعوبات في التنفس » . والربو مرض المنافذ الهوائية ، ويتميز المريض باستجابة شعبتي القصبة الهوائية على نحو متزايد للمثيرات المتعددة .

وتبدو أعراض الربو بوضوح عن طريق نوبات عسر التنفس ، ووجود كحة جافة ، وصفير في التنفس ، مع صعوبات في عملية التنفس . وبعد أن يجتاز مريض الربو هذه النوبات التي قد تستمر دقائق أو تمتد إلى ساعات كما ذكرنا ، يبدو المريض وكأنه شفي تماماً ، إلا أنه يمكن للمريض الربوي أن يجتاز حالة يومية بدرجة ما من الانسداد للمنفذ الهوائي أو الممر الهوائي ، هذه الحالة يمكن أن تكون معتدلة ، أو تكون حالة أكثر خطورة بكثير من الانسداد الحاد المتواصل والمستمر لأيام أو أسابيع ، وقد عرفت هذه الحالة بالحالة الربوية .

وعلى الرغم من أن الربو انسداد في المنافذ الهوائية ــ نتيجة إفراز الغدد المخاطية كما سيبدو فيما بعد ــ إلا أن أعراض الربو يمكن أن تبدأ بإحساس المريض بالضيق والانسداد المحكم في الصدر أو بكحة أو سعال جافين مع قيام المريض بنوع من التنقية والتصفية المستمرة للحلق .

في النوبات غير الحادة يمكن أن يحدث هذا كله مضافاً إليه قليل من عسرات التنفس المحدثة صوتاً كالصفير . ويتضح ذلك عند ممارسة المريض للتدريب الرياضي ، أو الضحك الحاد ، أو أثناء الاضطرابات الانفعالية الوقتية .

وفي النوبات الأكثر حدة يكون التنفس بجهد شاق محدثاً صوتاً كالصفير يصبح ثقيلاً أكثر فأكثر ، أو مصحوباً بزيادة مماثلة في قصر التنفس ، وكما أن الانسداد في المنافذ الهوائية يصبح أكبر أثناء النوبات المتكررة فإن التخلص من الهواء المحبوس في الرئتين يصبح أكثر صعوبة لدرجة أن الهواء المنعش النقي يمكن أن ينسحب وينحصر ويؤدي ذلك إلى شعور المريض بالضيق والاختناق . وأثناء النوبة الحادة يمكن أن يصبح



★ صورة أشعة لحالة التهاب رئوي شعيبي ، توضح المنطقة الصغيرة المصابة في الرئة اليمنى ★

الصدر متضخماً ومنتفخاً ، وعضلات الرقبة تصبح صلبة صارمة في مقاومة زفير الهواء ، بالإضافة إلى أن الوجه يصير شاحباً ، وتتسع فتحات الأنف مع وجود الجسم ككل في حالة تشير إلى الجهد المبذول من أجل التنفس ، وغالباً ما لا يستطيع المريض أن يستلقي في فراشه ، لكنه يجلس في وضع محني الظهر ، ويتصبب جسمه عرقاً ، ويصبح في الحال منهكاً من المقاومة .

ونود أن نشير هنا إلى أن الجهد الذي يبذله المريض في مثل هذه الحالة يحتاج إلى ذلك النوع من الطاقة التي تلزم المرء أن ينفقها في عمل مهمة شاقة . . وربما يشعر المريض بأنه على وشك **الاختناق** going to suppocate .

التأثير على الجسم

يبدو أن هناك ثلاثة أحداث رئيسية تظهر أثناء النوبة :

● **الأول :** هو أن الأوساط الكيماوية مثل **الهيستامين** Histamine تنطلق أثناء مقاومة الجسم المضاد للحساسية فتسبب ملاسة العضلات التي تلتف محاطة بشعبتي القصبة الهوائية لتقبضها وتقلصها ، وهكذا تضيق المنافذ الهوائية .

● **الثاني :** في نفس الوقت تكسو الأغشية المخاطية وتبطن انتفاخ شعبتي القصبة الهوائية إلى حد أنها تضيق ممرات ومنافذ الهواء .

● **الثالث :** تبدأ **الغدد المخاطية** في إفراز كميات متزايدة جداً من البصاق السميك الذي يكوّن أخيراً سدادات بحيث تعوق ليس فقط الهواء بل أيضاً تسد **الزفير** . هذه السدادات المخاطية تكون دائماً تقريباً موجودة في المنافذ الهوائية للمرضى الذين يموتون من الربو ، وبمجرد تكونها تكون صعبة العلاج . والصوت المميز للتنفس الذي يشبه الصفير في نوبة الربو يسببه الهواء الذي يشق طريقه بصعوبة وقوة ماراً بهذه السدادات ، وإلى جانب هذا كله نجد أنه نتيجة لأن الرئتين تحتجزان كميات غير عادية من **ثاني أكسيد الكربون** ، فيتأثر انتظام وتجمع غازات الدم وينتج تباعاً حالة من نقص **الأوكسيجين** في الدم ، مثل هذا النقص يمكن أن يؤثر على القلب والمخ بصفة خاصة ، وفي هذه الحالة يمكن للمريض أن يعاني أعراضاً إضافية كالصداع والدوار أو الدوخة والتهيجية ، ويعاني من ضعف القدرة على التفكير بوضوح . تبدأ العضلات تشتد بقوة ، ويظهر الارتعاش ، ويرتفع ضغط الدم ، وتزداد ضربات القلب ونبضاته ، ويتصبب العرق من الجسم .

والشيء الغريب في كل هذا هو أن بعض المرضى الذين يعانون من مثل هذه النوبات والهجمات القاسية يمكنهم أن يظهروا كما لو كانوا لا يعانون أي نوع من العجز فيما بين النوبات .
ولا شك أننا عندما نلاحظ فرداً مريضاً يكافح ويحارب فعلياً دفاعاً عن كل نفس من أجل الحياة ، وعلاوة على ذلك وبعد ساعات قليلة نجده ماضياً إلى عمله كما لو أن شيئاً لم يحدث ، لا شك أن هذا المشهد يمكن أن يسبب للمشاهد إحساساً غريباً ومخيفاً ، وربما يكون هذا أحد الأسباب التي دفعت أناس كثيرين

جداً لاعتبار الربو مسألة أكثر تعلقاً بالعقل عن كونها مرضاً بدنياً فعلياً .

وهناك شيء بذاته يمكن أن يقال عن الشخص الربوي : إنه يمتلك جهازاً شعبياً غير مستقر ، سريع التهيج إلى حد كبير ، بحيث يجعله عرضة إلى الانقباض والتقلص الشعبي .

أنواع الربو

وللربو أنماط رئيسية ثلاثة هي :

الربو الذي يسببه مجرد المنبهات أو المثيرات أو المواد المثيرة للحساسية ويوجد هذا النوع بنسبة ٣٪ تقريباً ، وهناك الربو الذي يسببه الضغط الانفعالي والتوتر الشديد وقد يوجد هذا النوع بنسبة ١٪ ، وهناك الربو الذي يلعب فيه كلاً من العاملين السابقين أي المثيرات والضغط الانفعالي دوراً هاماً في حدوثه . والحقيقة أن التمييز بين أنواع مختلفة من الربو من الممكن أن يكون تمييزاً زائفاً وغير دقيق .

لكننا يمكن أن نصف مجموعتين رئيسيتين من مرضى الربو :

مجموعة شديدة الحساسية ، ومجموعة خاصة بالانفعالات الشخصية . المجموعة الأخيرة يمكن تقسيمها فرعياً أيضاً إلى مجموعات متعددة . أما **ربو الحساسية** فغالباً ما يكون مرتبطاً بتاريخ أسري وشخصي من أمراض الحساسية مثل التهاب الأنف « **التهاب الأغشية المخاطية والأرتيكاريا** » ، الطفح الجلدي ببثور حكاكة و « **الأكزيما** » ، المرض الجلدي ، والاستجابات الجلدية التي تتوهج فجأة لحقن البشرة بعصارات أو خلاصات من المولدات المضادة « مواد ينشأ عن حقنها في الجسم أجساماً مضادة لها » المنقولة جواً أو بالطائرات .

وربو الحساسية موسمي الحدوث Seasonal ، يمكن ملاحظته دائماً في الأطفال وصغار الراشدين . النوع غير الموسمي ينشأ عن الحساسية لرائحة ريش الطيور ، للأتربة والعفن ، للمولدات المضادة الأخرى التي تظهر في البيئة باستمرار . هناك مجموعة أخرى من المرضى الذين يتناولون **الأسبيرين** أو أي مواد أخرى مضادة لإثارة التهيج جميعها تجعل الربو أسوأ مما هو عليه ، هؤلاء المرضى غالباً ما يكونون بالغين ، وعلى وعي بحالات الربو المستعصي الحاد ، وأورام الأغشية الأنفية ، والتهاب الجيوب الأنفية ، وحساسية الأسبيرين يمكن مع ذلك أن توجد في غياب تلك الحالات . وقد ثبت ذلك عند الأطفال أيضاً . هناك أدوية أخرى تثير الحساسية وهي شائعة في هؤلاء المرضى ، بينما تكون حساسيتهم إلى **حامض الاسيتيل ساليسيليك** فإنهم يتحملون بانتظام **صوديوم الساليسيلات** .

المجموعة الثالثة من الأشخاص تصبح مصابة بالأعراض عند مواجهتها بظروف بيئية تشجع وتعزز التركيز على الملوثات المنقولة جواً ، والمولدات المضادة ، **هذا النوع من الربو يسمى « توكيو يوكوهاما » - Tokyo - Yokohama أو نيو أورليـنز or New Orleans .**

أسباب الربو

يميل الربو إلى الحدوث في الأفراد الذين يعيشون في مناطق صناعية ، وخاصة الصناعات الثقيلة ، أو المناطق المدنية الكثيفة المزدحمة من خلال التقلبات الحرارية ، أو في المواقف الأخرى المرتبطة بكتل هوائية راكدة . مثل هذه الظروف والحالات الجوية عموماً تجعل كل أنواع الربو أسوأ ، لكنها أيضاً تسبب نمواً لأعراض في بعض الأفراد الذين لا يكونون من نواحي أخرى مضطربين ، ونتيجة التعرض لغازات مثل **ثاني أكسيد الكربون** الذي يضعف الرئة ، ويضغط على وظيفتها عند أي شخص إذا ما استنشقه في محلول مركز ، كما أن المركبات المتنوعة التي استخدمت في الصناعة يمكن أن تسبب الربو في الأفراد الحساسين القابلين للتأثر والمعرضين له ، أسماء كثيرة متنوعة تنطبق عليها مثل هذه الحالة ، مثل : **الربو الناتج عن ورق التبغ أو ورق تغليف اللحوم ، وربو الخبازين** baker's asthma ، **وربو النجارين** Woodworker's asthma ، وهذه الأمثلة تعطينا دليلاً ما على تغاير الوظائف التي يمكن أن تعكس وجود مرض منفذ هوائي .

من هنا يمكن القول إن الميكانيزمات الأساسية للربو ثلاثة في عددها : الأداة أو العامل المزعج والمضر ، المواد المستخدمة في التشغيل والعمل تسبب تحرر وإطلاق مباشر لمواد التقلص والانقباض الشعبي ، والعمل المتصل في وسط مواد مثيرة ومهيجة يثير على نحو مباشر أو ملتوي القنوات الهوائية للربويين إما بصورة صريحة أو مستترة .

كما أن الربو أيضاً يمكن أن يحدث على نحو سيئ من التدريبات البدنية « خاصة في الأطفال » ، ومن القلق والاضطراب الانفعالي . فإحداث التشنجات والنوبات الشعبية بالتدريب والمران الرياضي ربما يكون مؤثراً إلى حد ما في كل مريض ربوي ، وفي البعض يمكن أن يكون هو الميكانيزم الوحيد الذي يسبب الأعراض . كما أن الضغط الانفعالي يمكن أن يسبب تقلص وانقباض شعبي لا إرادي وذلك بتهيئة وتنشيط مجرى الأعصاب ، ويبدو هذا الضغط الانفعالي حين يكون عاملاً في بدء حوادث ربوية ما .

معنى هذا أن حياتنا الانفعالية حتى الآن ، وإلى هذا الحد تتحدى وتقاوم التحليل العلمي الدقيق ، هكذا فإن تحديد دورها ، أي دور تلك الحياة الانفعالية في المرض ليس أمراً سهلاً ، ولا باليسير . **ومن وجهة النظر السببية للمرض فإن الربو مرض غريب المنشأ ومتغاير الخواص والعناصر ، بناء على ذلك فقد ثبت بالبرهان تصنيف أنواع الربو عن طريق المثيرات الرئيسية المرتبطة به ، أو الأمراض الحادة التي تؤدي إلى الإصابة بالربو .** ومع ذلك فمن الضروري أن نؤكد أن القاسم المشترك الأساسي الذي يهيئ الجسم للإصابة الربوية هو فرط الاهتياج غير المحدد للشجرة الشعبية بالقصبة الهوائية . بقي أن نقول إن هذا المرض يمكن أن يبدأ في أي عمر ، لكن تقريباً نصف الحالات تنمّي ربواً قبل سن العاشرة ، وثلثاً آخر ينمّي ربواً قبل سن الأربعين .

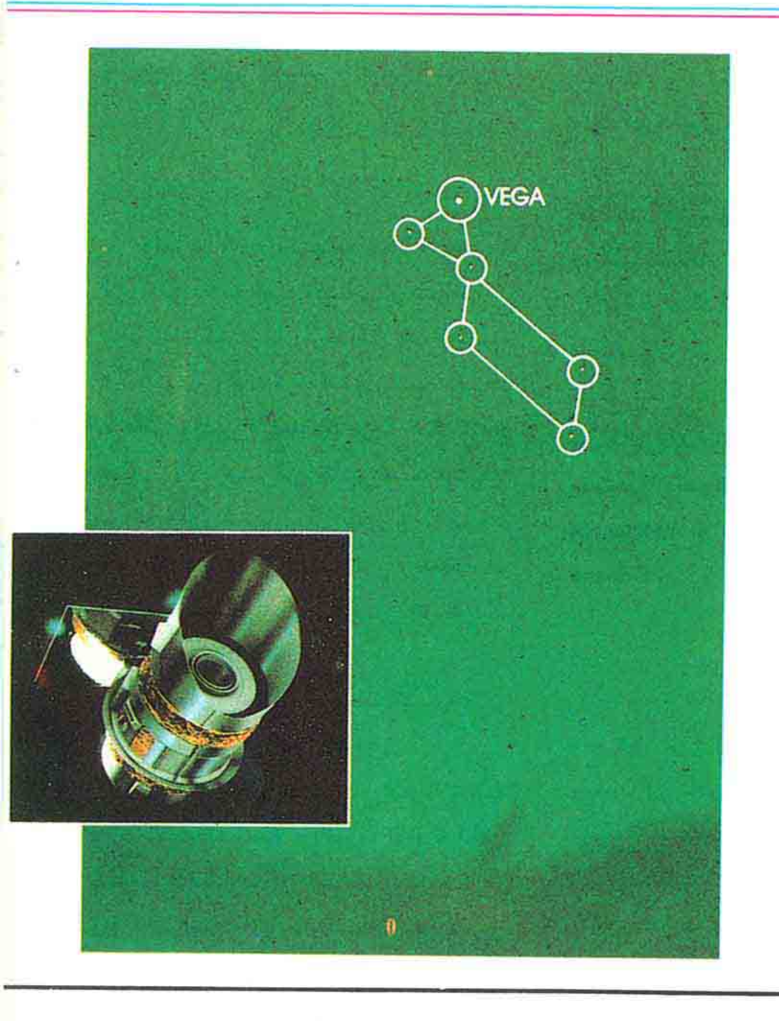


علم الكونيات
cosmology

اكتشاف نظام شمسي آخر : (باسادينا كاليفورنيا) .

النجم (**فيجا** Vega) يقع في غرب مجرتنا **درب التبّانة** Milkyway تماماً ، وهو معروف من قبل علماء فلك الأرض منذ زمن طويل ، ولكن العيون الحرارية الحسّاسة **للتلسكوب الفضائي (ايراس IRAS) الذي يعمل بالأشعة تحت الحمراء** infra - red والذي يدور في فلك حول الأرض منذ أول العام باحثاً في مجاهل الكون عن أجرام السماء التي تبث الإشعاعات تحت الحمراء الحرارية ، اكتشف أنه يحيط بالنجم (فيجا) القريب من شمسنا شظايا صخرية (أنقاض صلبة) تتراوح أحجامها بين حجم حبات خردق الصيد وحجم **كوكب المشتري** Jupi-ter (عملاق مجموعتنا الشمسية) ، وأن هذه السحابة Cloud والأنقاض الصلبة ربما تكون نظام شمسي بدائي يحيط بهذا النجم اللامع ، وأنه ربما تشكّلت كواكب حول هذا النجم ككواكب شمسنا .

والنجم (فيجا) نجم جديد عمره صغير بالمقاييس الفلكية ويقدّر بـ (١٠٠٠) مليون عام ، أي أقل من ربع عمر شمسنا وكواكبها ، كما أن حجمه ضعفا حجم شمسنا وأحرّ منها بمرتين وأشدّ منها بريقاً ولمعاناً بـ (٦٠) مرة ، وهو ثالث أشدّ النجوم القريبة لنا لمعاناً في السماء ، كما



حيوان animal

السنونو يميّز صغاره من زقزقاتهم : (سياتل seattle) .

كيف يتمكّن سنونو الأجراف Cliff swallows (طائر أمريكي يبني أعشاشه في الأجراف وهي المنحدرات الصخرية الشاهقة عند الشواطئ) من تمييز عشّه من بين آلاف الأعشاش التي تزدحم بها هذه الجروف المتشابهة طبيعياً ، ثم كيف يتمكّن من تمييز صغاره وهي التي تتشابه في أشكالها العامة ؟ وبحسب ما يقوله عالما الطيور ornithologists (**ميشيل بيشر** Michael Beecher) و (**فيليب ستودارد** Philip Stoddard) من جامعة واشنطن فإن الجواب يكمن في أن الآباء من السنونو يميّزون زقزقات صغارهم التي تدلّهم على مكانها الصحيح ، وقد قام هذان العالمان بتسجيل شريط كامل لنداءات صغار السنونو المختلفة قرب ثقوب الأعشاش في الصخور (**انظر الصورة**) ، ثم .. وبعد فترة أعادوا تدوير الشريط قرب ثقوب هذه الأعشاش التي هُجرت بعد أن كبر الصغار ، وفي كل مرة كان السنونو الأب يطير في اتجاه صوت صغيره الآتي من جهاز التسجيل . ويقول العلماء الباحثون إن أصوات زقزقة chirp الصغار تتشابه ويختلط الأمر فيما لو سمعها الإنسان ، ذلك لأن أذن الإنسان لا تستطيع تمييز هذه الترددات Variations الدقيقة التي تستطيع تمييزها أذن السنونو وتُوجد طبقة صوت معينة . هذا رغم أنه أحياناً تختلط أصوات زقزقات الآلاف من نداءات الصغار بوقت واحد وفي أعشاش متشابهة على طول جرف صخري واحد ، ويقول **العالم (بيشر)** إن بعض الحيوانات ذات الأنواع المتقاربة عندما تعشّش في مستعمرات واسعة تميّز أعشاشها بإشارات معيّنة ، ولكن سنونو الأجراف لا يستعمل مثل هذه الإشارات ، ولكن عندما صغاره تتعالى صيحاتها مرة واحدة فعندها

أنه يبعد عن شمسنا بحوالي (٢٧) مليون سنة ضوئية أو (٢٧٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠,٠٠٠) كيلومتر، ويقول **العالم الفلكي (فريد جيليت Fred Gillett) من مرصد كيت بييك** والعضو في فريق التابع (إيراس): «إننا الآن نملك بعض البراهين الثابتة التي تدلّنا على أنه من المحتمل أنه يوجد أنظمة كوكبية حول النجوم الأخرى في السماء منذ زمان طويل، ونحن نفكّر بأن هذا يمكن أن نكتشفه في يوم ما».

وعندما وجّه العالمان الفلكيان **(جيليت) و (هارموت أومان Harmut Aumann)** من مختبرات جت بروبولجن في (باسادينا) عين المنظار الفضائي (إيراس) البالغة الحساسية إلى النجم (فيجا) لقياس الحرارة المنبعثة منه في أبريل (نيسان) الماضي كان الاكتشاف الكبير، أن النجم (فيجا) يطلق الحرارة على موجات ذات أطوال معيّنة أكثر مما هو متوقّع منه، وفي البداية كان التفكير بأنه ربما كانت زيادة الإشعاع تنبعث من بعض المجرّات galaxies غير المعروفة خلف النجم (فيجا)، ولكن تكرار الرصد أقنعهم بأن الحرارة تنبعث من أجسام صلبة باردة وليست من شمس مشعّة بالحرارة، وأنها من سحابة المواد المسخّنة التي تحيط بالنجم ولا تتجاوز حرارتها الـ (٣٠٠) درجة تحت الصفر (فهرنهايتية)،

وأن هذه المواد هي هالة halo مكوّنة من أجسام دقيقة وضخمة تُواجه الأرض وتشكّل حلقة يبلغ قطرها حوالي (١٥) ألف مليون ميل (قطر مجموعتنا الشمسية ستة آلاف مليون ميل)، كما أن كتلتها أكبر من مجموع كتل كل المواد الدائرة حول شمسنا من كواكب ومذنّبات ونيازك وغيرها من الأجزام الكونية، ويقترح العالمان (جيليت) و (أومان) بأن الهالة يمكن أن تكوّن نظاماً كوكبياً صغيراً هو الآن في مخاض التكوين والتطور، وعلماء آخرون مثل **(جورج ويزيريل) من معهد كارنيجي في واشنطن و (ريشارد جرينبرج) من معهد علوم الكواكب في توكسون** يؤكدان بأن الحلقة تشبه كثيراً الحزام الكويكبي الأعلى الذي لم يندمج في الكواكب حتى الآن.

وهذا الاكتشاف أبهج قلوب أولئك العلماء الذين يؤكّدون على وجود منظومات شمسية مثل مجموعتنا الشمسية، وعلى وجود كواكب مثل كواكبنا، وحياة مثل حياتنا في مجاهل الكون، ولكن المنظار الفضائي (إيراس) ومشاريع تلسكوبات فضاء متطورة غيره ستنطلق إلى الفضاء وفي مخطّطاتها البحث عن نجوم أخرى غير شمسنا تحيط بها كواكب مثل أرضنا وعليها حيوات غير حياتنا.. **والصورة تمثل النجم (فيجا)** ضمن كوكبة النَسْر الواقع Lyra في السماء، **وعلى يمين الصورة** التلسكوب الفضائي (إيراس).





وزيادة في التأكيد قد يضطر لتمييز صغاره للنظر في نموذج الوجه الأبيض والأسود وذلك فقط ليتأكد من أنه يضع الطعام في الفم الصحيح.



وثيقة أندلسية في

"اختلاف الطبيب والمداوى في

تحقيق ودراسة :
د. محمد عبد الوهاب خلاف

الدراسة والتعليق

الوثيقة التي بين أيدينا مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي الأندلسي (ت ٤٨٦ هـ)، وقد وقعت أحداث هذه القضية في نهاية القرن الثالث الهجري أو أوائل القرن الرابع الهجري.

ويدور البحث في هذه الوثيقة حول خلاف بين طبيبة ذكرت أنها تعالج صبيتين بأجر قدره أربعة دنانير، بينما ادعت المرأة صاحبة الصبيتين أنها إنما اتفقت مع الطبيبة على أجر قدره ١٢ درهماً، وأن الصبيتين لم تبرءا من مرضهما، فلما طرح هذا النزاع على القاضي رأى تحليف الطبيبة اليمين القاطعة للحق بأنها اشترطت لقاء عمل يديها أجراً قدره أربعة دنانير وأن تحلف المرأة أنها ما اتفقت معها إلا باثني عشر درهماً، فإذا حلفت كل منها اليمين الموجه إليها انفسخ ما بينهما من اتفاق ولا تستحق الطبيبة أجراً عما قامت به لأن الطبيب لا يجب له شيء إذا كان الاتفاق على الأجر معلقاً على حصول الشفاء.

وهذا شرط فاسخ إذا تحقق الشفاء استحق أجر الطبيبة، وإذا تخلف سقط حقها في الأجر.

ومقتضى سقوط الحق في الأجر على هذا الأساس أنه إذا كانت الطبيبة قد تقاضت مقدماً جزءً معجلاً من الأجر لزمها رده، وإن نكلت إحدى المرأتين عن اليمين فالقول قول الحالفة منهما. أما إن نكلتا معاً انفسخ ما بينهما من اتفاق وكذلك ينفسخ الاتفاق إن حلفتا سوياً.

وقد عقب القاضي أبو الأصبغ عيسى بن سهل على هذا بأن ما ارتآه القاضي هو محل نظر وتأمل.

ويبدو أن تحفظ القاضي أبو الأصبغ يستند إلى **فكرة تهاتر اليمين**، وترتيب أثر فسخ التعاقد على هذا التهاتر، وهذه الصعوبة القانونية إنما يرجع منشأها إلى توجيه يمينين متعارضين معاً لكل من المرأتين وقد كان الأولى الاكتفاء بتوجيه يمين إلى إحداهما وتطبيق قاعدة رد اليمين على الأخرى في حالة النكول في حلفها لرفع التناقض بين اليمينين. ومن المقرر في التشريعات الحديثة أن اليمين توجه وترد في حالة النكول وتنبني عليها آثار الحلف، أما توجيه يمينين متعارضين لا يأتي صدقهما معاً مع قيام هذا التعارض بينهما، وترتيب فسخ التعاقد على هذا فأمر غير مقبول ويبدو أن القاضي رتب الفسخ على نكول كل من المرأتين عن حلف اليمين الموجه إليها. وقد يكون هذا سائغاً لفقدان الدليل المستنبط من اليمين في حين أن الأمر على نقيض ذلك في حالة حلف كل من المرأتين اليمين الموجه إليها. وربما اعتبر القاضي حلف يمينين متناقضين بمثابة نكول يجرد كل من اليمينين من الثقة فيها وينبني على ذلك أن المخرج لا يكون إلا بفسخ التعاقد لعدم قيام الدليل على ترجيح صحة إحدى اليمينين على الأخرى.

نص الوثيقة

اختلاف الطبيب والمداوى في الأجرة[1]

المراجع

ابن أبي أصيبعة : (موفق الدين أبو العباس أحمد بن القاسم)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء (٣ أجزاء)، دار الثقافة، ١٩٧٩ م، بيروت.

ابن سهل : (أبو الأصبغ عيسى ..... الأسدي)، الأحكام الكبرى (مخطوط)، نسخة مكتبة الزاوية الناصرية، بتمكروت، رقم ١١٨٩، من مخطوطات الأوقاف، رقم ٨٣٨ ق، الخزانة العامة ـ الرباط.

ابن فرحون : (برهان الدين إبراهيم بن علي بن محمد)، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، جزءان تحقيق : د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، بدون تاريخ.

ابن الفرضي : (أبو الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف الأزدي الحافظ)، تاريخ علماء الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦ م، القاهرة.

الخشني : (أبو عبد الله محمد بن حارث بن أسد القيرواني)، قضاة قرطبة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦ م، القاهرة.

خلاف : (محمد عبد الوهاب ... دكتور) :

ـ وثائق في أحكام قضاء أهل الذمة في الأندلس، الطبعة الأولى، المركز العربي الدولي للإعلام، ١٩٨٠ م، القاهرة.

ـ وثائق في أحكام القضاء الجنائي في الأندلس، الطبعة الأولى، المركز العربي الدولي للإعلام، ١٩٨٠ م، القاهرة.



التعليقات والحواشي

(١) هذه الوثيقة مستخرجة من مخطوط الأحكام الكبرى للقاضي أبي الأصبغ عيسى بن سهل الأسدي الأندلسي.

والنسخة الأصلية التي اعتمدنا عليها في تحقيق هذه الوثيقة، هي نسخة مكتبة الزاوية الناصرية بتمكروت، رقم ١١٨٩، مخطوطات الأوقاف، رقم ٨٣٨ ق، الخزانة العامة الرباط، ورمزنا لها بـ (الأصل).

والنسخة الثانية من مخطوطات مكتبة الزاوية الناصرية بتمكروت تحت رقم ٣٧٠ ق، مخطوطات الأوقاف، ورمزنا لها بالرمز (قج).

والنسخة الثالثة تحت رقم ٥٥ ق، الخزانة العامة للكتب، ورمزنا لها بالرمز (قب).

ومخطوط الأحكام الكبرى يجري طبعه حالياً في أربعة أجزاء، وسعدت بمراجعة أستاذي المستشار مصطفى كامل

«الأجرة»

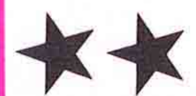
[١٧٨] من أحكام (ابن زياد)[٢] كشفنا القاضي ـ رضي الله عنه ـ في امرأتين اختلفتا في مداواة صبيتين لإحداهما . فقالت صاحبة الصبيتين : ما عملتك بإثني عشر درهماً .

وقالت الطبيبة : (بأربعة دنانير)[٣] .

ثم تحلف المرأة الثانية ما عامله[٤] ولم تبرأ الصبيتان ، وبعد فالذي عندنا في ذلك أن[٥] تحلف الطبيبة بالله في مقطع الحق لما جعلت عمل يديها إلا بأربعة دنانير ثم تحلف المرأة الثانية ما عملتها إلا بإثني عشر درهماً ثم ينفسخ (فيما بينهما)[٦] ولا شيء للطبيبة فيما عملت لأن الطبيب عندنا لا يجب له شيء إلا بعد البرأ إذا كانت المعاملة على البرأ . فإن كانت الطبيبة أخذت شيئاً ردته وأيتهما نكلت عن اليمين . فالقول قول الحالفة . وإن نكلتا جميعاً انفسخ ما بينهما وكذلك إن حلفتا جميعاً .

قال القاضي (أبو الأصبغ)[٧] :

في هذا الجواب نظر عندي فتدبره .



إسماعيل الخبير القانوني بمجلس الأمة الكويتي لهذه الوثيقة ، فله شكري وتقديري .

(٢) ابن زياد : أحمد بن محمد بن زياد بن عبد الرحمن بن شبطون اللخمي ، ولي قضاء الجماعة ، يُكنَّى : أبا القاسم ، ألَّف كتاب الأقضية ، توفي سنة ٣١٢ هـ ، وهو يتقلد الصلاة والقضاء معاً .

انظر في ترجمته : ابن الفرضي : تاريخ علماء الأندلس ، ترجمة رقم ٨١ ، الخشني : قضاة قرطبة ، ص ١٠١ ـ ١٠٥ ، ١٠٩ ـ ١١٠ ، ابن فرحون : الديباج المذهب : ١/ ١٥٦ .

(٣) في قج : بأكثر من ذلك .

(٤) ساقطة في قب ، قج .

(٥) في قج : فإنهما تتحالفان .

(٦) في قج : ما بينها .

(٧) مذكورة في قب .



وداع..

شعر : د. عبدو مسُّوح

قالوا : غداً تتفرق الأحبابُ ... فسَألتُ : هل بعد الفراق إيابُ ؟

قالوا : وهل بعد المشيب فُتُوَّة ... تأتي ؟ وهل بعد الخريفِ شبابُ ؟

يا ليتهم كذبوا وطال لقاؤنا ... إن الدُنا دون الصحاب سَرابُ

كانوا يقولون : « الحياة قصيرة » ... ونقول : لا .. بل مُتعة ورغابُ

حتى إذا نَفدت ولم نعثر على ... ما نبتغيه تشتَّت الإعجابُ

يا أصدقاء ... وأنتم أترابنا ... وحلاوة اللُّقيا هم الأترابُ

سرتم ونتبعكم غداً في سيرنا ... وكذا المصير تباعد وشعابُ

كانت نوادينا تضج لذاذة ... فغدا يسيطر مرها والصابُ

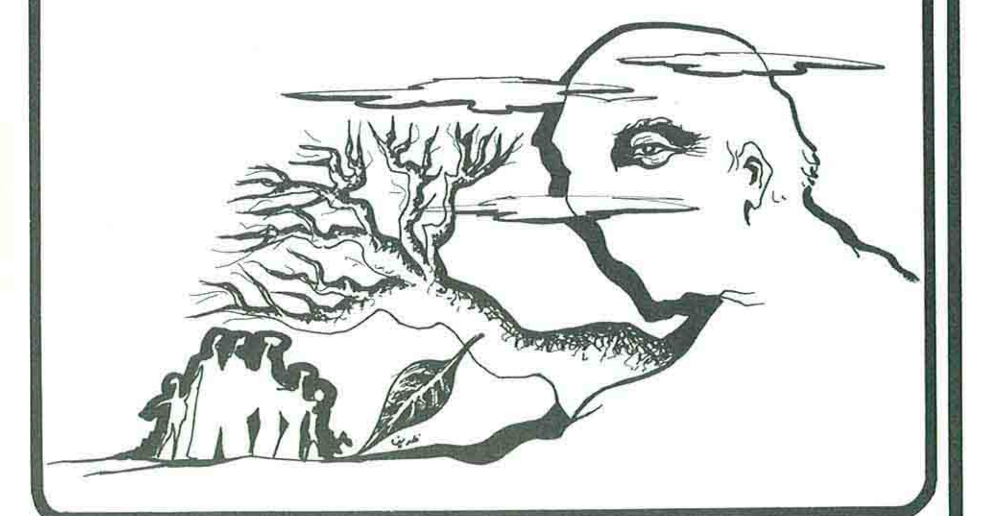
هي رحلة طويت ومرت خلسة ... يا ليتها طالت .. وطال حسابُ

ما كنت أعلم أن أحلام الصبا ... تمشي بنا وكأنهن سحابُ

سر الحياة ربيعها وفتونه ... أما الخريفُ فأدمع وعذابُ

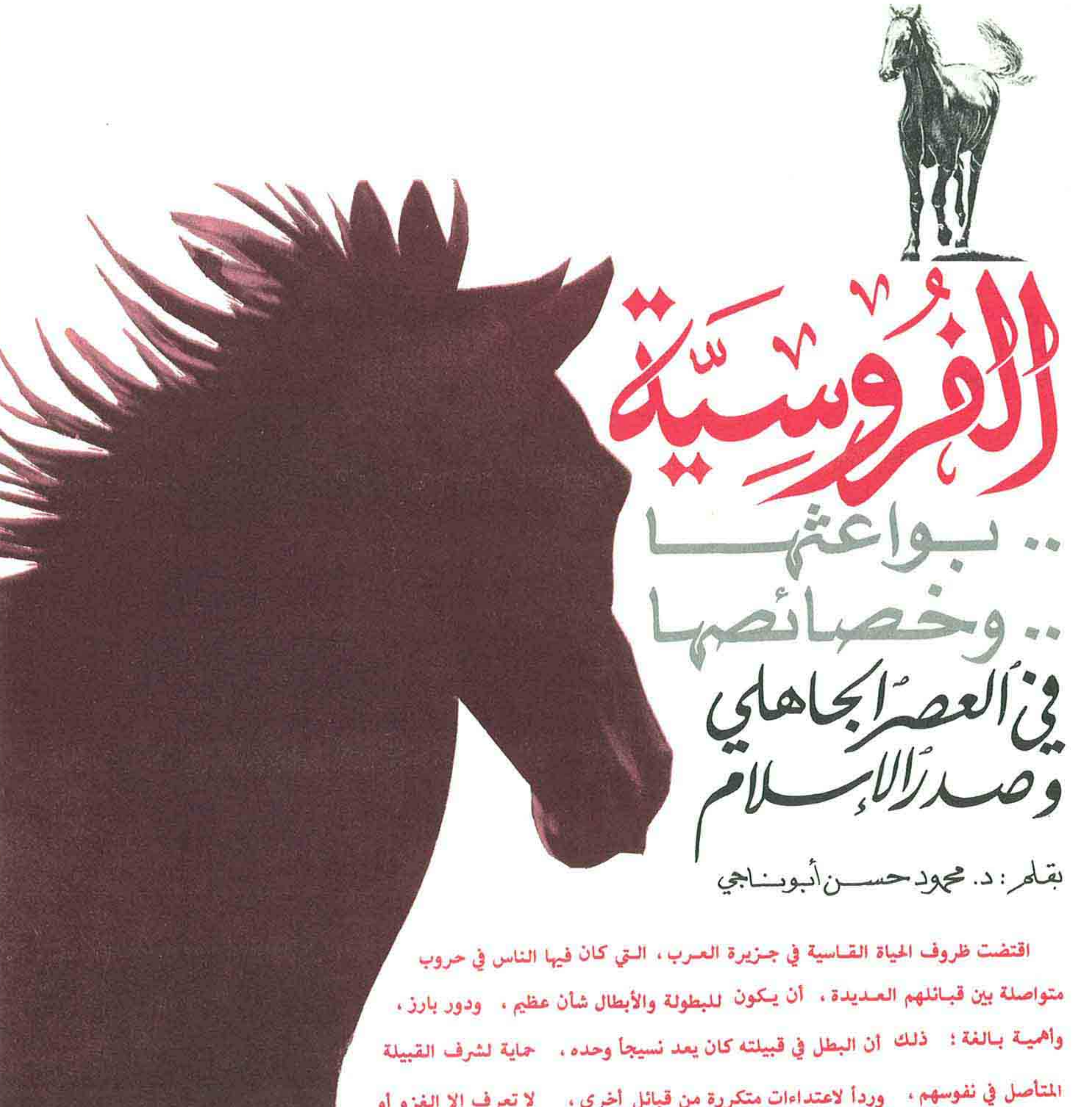
واليوم إذ حان الوداع تحطمت ... كما بكت أحبابها الأحبابُ

منا السلام تبثه أشواقنا ... ما ضاعت الأنسام والأطيابُ





عندما تنوي السفر
فمن الممتع أن تعرف أنك ستغادر في الموعد تماما
انطلاقا من تقديرها الكامل لأهمية الوقت في حياتنا اليومية المعاصرة تحرص السعودية على أن تقلع جميع طائراتها في الموعد المحدد بدقة لامثيل لها في أية خطوط أخرى.. وليس أدل على ذلك من وصول أكثر من ٩٥٪ من طائرات السعودية في موعدها المحدد تماما و دون أدنى درجة من التأخير.
وفي إطار سعيها المستمر لتوفير أفضل خدمة ممكنة لعملائها تستخدم السعودية أحدث أنواع الطائرات في العالم و أكثر وسائل الصيانة تقدما لتقلص احتمالات التأخير إلى أقصى حد ممكن.
اذا لم يكن الحظ قد أسعدك بالسفر مع السعودية من قبل فلا تدع الفرصة تفوتك اليوم و سارع بالانضمام إلى عالمنا.
لمزيد من المعلومات و الحجز نرجو الاتصال بأقرب وكيل سفر معتمد أو بالسعودية:
ابوظبي ٨٢٣٤٠٠ البحرين ٢٦٢٨٨٠ بغداد ٨٨٨١٢٦٩
بيروت ٣٤٩١٠٠ تونس ٢٤٩٦٧٣ الجزائر ٦١٤٠٠٤
جدة ٦٣٢٢٣٣٣ الخرطوم ٨٠٤١٣ الدارالبيضاء ٣١٣٥٣٥
الدوحة ٤٣٣٦٥٥ دبي ٢١١١٦٤ دمشق ٢١٤٠٩٢
الرياض ٤٧٧٢٢٢٢ الشارقة ٣٠٥٣٢٣ صنعاء ٧٤٤٢٦
طرابلس ٤٦٤٦٨ الطهران ٨٩٤٢٣٣٣ عمان ٣٩٣٣٣
القاهرة ٧٤١٢٠٠ الكويت ٤٢٦٣٠٨ مسقط ٧٠٢٥٠٥
السعودية
مرحبا بكم في عالمنا



الفروسية

.. بواعثها .. وخصائصها في العصر الجاهلي وصدر الإسلام

بقلم: د. محمود حسن أبو ناجي

اقتضت ظروف الحياة القاسية في جزيرة العرب، التي كان فيها الناس في حروب متواصلة بين قبائلهم العديدة، أن يكون للبطولة والأبطال شأن عظيم، ودور بارز، وأهمية بالغة؛ ذلك أن البطل في قبيلته كان يعد نسيجاً وحده، حماية لشرف القبيلة المتأصل في نفوسهم، ورداً لاعتداءات متكررة من قبائل أخرى، لا تعرف إلا الغزو أو الاستعداد للغزو، كل ذلك بحكم هذه الظروف التي فرضت على جزيرة العرب القاحلة الجدباء من أجل الاستيلاء على مواطن الكلأ والعشب والماء. وهكذا .. فالحروب لا تنقطع بتاتاً بين هذه القبائل العربية، ويصدق عليهم قول الشاعر:

وأحياناً على بكرٍ أخينا إذا ما لمْ نجدْ إلا أخانا

وكان لكل قبيلة، نظراً لهذه الظروف، فارس مغوار، به تحمى الذمار ويمنع العار، وتسود الكرامة والعزة لهذه القبيلة، وتهيمن أعراف معينة، قسراً وعنوة، من حيث الأسر والفداء والمن. وكانت القبيلة القوية والمنتصرة تفتخر بأن لها الكلمة العليا، وأن القبائل الأخرى



تـرهبها وتخشـاها . . يقــول **عمرو بن كلثوم :**

ونشرب إنْ وردنـــا الماءَ صـــفواً   ويشربُ غـــيرُنا كدراً وطينـــا[1]
إذا بلــغ الفــطامَ لنــا رضــيعٌ   تخــرُّ لــه الجبــابرُ ســاجدينا
مــلأنا الــبرَّ حــتى ضَـاقَ عنَّا   ومــاءُ البحــر نمــلأه سَـفينا

من هذا المنطلق كان للفارس المنزلة العظيمة ، والمكانـة البـارزة ، والـدور المشرف وقاية للقبيلة من الأخطار . وكثيراً ما كانت القبيلة تلجأ إلى الفـارس ، وتشد رحالها إليه عند الخطوب .

وبالإضافة إلى عناية القبيلة بشأن الفارس ، كانت عنايتهم كذلك بالخيل ، حيث كانت الوسيلة الرئيسية في الحروب العربية ، وفي الغزو والـظفر ، وكثيراً ما نجد ارتباط الفارس بالخيل ، وهذه **الخنساء** ، شاعرة الرثاء العربية ، تقـول في رثاء أخيها صخـر :

يا لهفَ نفسي على صـخرٍ إذا ركبـتْ   خيـلٌ لخيـلٍ كأمثـالِ اليعـافيرِ[2]

وقد امتدح رسولنا ــ **صلى الله عليه وسلم** ــ الخيـل ، وأوصى بـالعناية بها فقال : **« الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة »**[3] .

وعن أنس رضي الله عنه قال : **« لم يكن شيء أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد النساء من الخيل »**[4] .

وهذا من أجل التقدير لهذا الحيوان الكريم في اتخاذه وسيلة مهمـة مــن وسائل الحرب . . كراً وفراً .

وعن أبي ذر رضي الله عنه قـال ، قـال رسـول الله **صلى الله عليـه** وسلم : **« ما من فرس عربـي إلا يؤذن لـه عنـد السـحر بـكلمات يدعو بهن : اللهم خولتني من خولتني من بني آدم وجعلتني لـه ، فاجعلني من أحب أهله وماله إليه »**[5] .

وقد أقسم ، جل وعلا ، بالخيل في إحدى سور القرآن الكريم فقال تعـالى **﴿ والعاديات ضبحاً . فـالموريات قـدحاً . فـالمغيرات صبحاً ﴾**[6] . **فالقسم** هنا تقدير من الله تعالى للخيـل ، تعـدو في سبيله ، **والضـبح :** صوت في أجوافها عند جريها ، **والموريات :** توري النار بحوافرها عندما تصك الحجارة ، **فالمغيرات صبحاً :** كانت المعارك تبـدأ في الصـباح البـاكر ، **فأثرن به نقعاً :** فالنقع الغبار تثيره الخيل عند عدوها ، ومن وجـوه العنـاية بالخيل ارتباطها والعناية بها والحرص على سلالاتها الأصيلة ، وإيثارها بـالزاد ، وفي ذلك فيا يرويه **أبو وهب الجشمـي** . . قال ، قـال رسـول الله **صلى الله عليه وسلم : « ارتبطوا الخيل وامسحوا بنواصيها وأنعالها وقلـدوها ولا تقلدوها الأوتار »**[7] .

من هذه الأنوار الكريمة ، نرى بوضوح ، مدى حرص الإسلام على الخيـل في ذلك العصر الذي كان فيه الفارس مع فرسه خير معـوان على تحقيـق النصر في المعارك . وقد نطق كثير من شعراء الجـاهلية بهـذه الـظاهرة وذكروهـا في أشعارهم .

يقول **امرؤ القيس بن حـجر الكنـدي :**

الخيرُ مـا طلعـتْ شمسٌ ومـا غـربتْ   معلـقٌ بنـواصي الخيـل معصـوبُ[8]

ومن مظاهر عناية العرب بالفرس ، أنهم لم يحتقروه ولم يزدروه ، بل أعطوه

حنانهم وبرهم بإيثاره بالزاد ، وتقديمه على الأبناء . ومما يروى عن الرسول **صلى الله عليه وسلم** أنه (مرغ فرساً له ثم جعل يمسحه بردائه ، فقيل له في ذلك . . فقال : «**بت البارحة وجبريل يعاتبني في سياسة الخيل**»)[٩] .

وهذا من أشكال العناية الفائقة بالفرس من حيث إظهاره بشكل حسن ، ويقال **كانت العرب لا تهنئ إلا بثلاث : إذا ولد للرجل ذكر ، قيل له ليهنك الفارس ، وإذا نبغ في الحي شاعر ، قيل ليهنك من يذب عن عرضك ، وإذا نتج مهر قيل له ليهنك ما تطلب عليه الثأر** . وليس هناك أمة تعنى بالخيل وتحرص عليها عناية العرب بها ، ولم تكن أمة أشد عجباً بالخيل من العرب .

وفي هذا يقول الجاحظ : «لم تكن أمة قط أشد عجباً بالخيل ، ولا أعلم بها من العرب ، ولذلك أضيفت إليهم بكل لسان ، ونسبت إليهم بكل مكان ، فقالوا فرس عربي ، ولم يقولوا هندي ولا رومي ولا فارسي»[١٠] .

وقد استأثر الفرس بحب العرب حتى إنهم فضلوه على أعز ما يملكون . . فضلوه على نسائهم وأبنائهم . ومما يمكن أن يحكى أن **الحجاج بن يوسف الثقفي** عرض أفراساً وجواري بين يدي أعرابي ، وخيَّره بين فرس وجارية فقال الأعرابي :

لصلصلةُ اللجام برأسِ طرفٍ ... أحبُّ إليَّ من أن تنكحيني[١١]
أخاف إذا حللنا في مضيقٍ ... وجدَّ الركضُ أن لا تحمليني

خصائص الفروسية

وجدت بعض خصائص معينة للفروسية التي كان يعتز بها الفارس في **العصر الجاهلي** ، والتي طبعت شخصيات هؤلاء الفرسان بطابع معين واضح وهذه الخصائص هي :

★ **عدم الفرار من الميدان ، واستعذاب الموت :** حرص كل الفرسان العرب على عدم الفرار من الميدان مهما كانت النتائج ، واعتبروا ذلك من دلائل الشجاعة والإباء ، بل إنهم كانوا ينزعون إلى استعذاب الموت والترحيب به . من ذلك ما يقوله **عمرو بن الإطنابة الخزرجي :**

أبتْ لي عفتي وأبى إبائي ... وأخذيَ الحمدَ بالثمن الربيح[١٢]
وإعطائي على المعسور مالي ... وضربي هامةَ البطلِ المُشيح
وقولي كلَّما جشأتْ وجاشتْ ... مكانَكِ تُحمدي أو تستريحي
لأدفع عن مكارمَ صالحاتٍ ... وأحمي بعدُ عن عِرْضٍ صحيح

وقد ذم العرب الفرار وعيروا به الهاربين من الميدان لأن ذلك دليل الجبن والخوف ، وفي هذا المضمون يقول **كعب بن مالك الأنصاري**[١٣] :

ونحن أناسٌ لا نرى القتلَ سُبَّةً ... على أحدٍ يحمي الذمارَ ويمنعُ
ولكننا نَقْلي الفرارَ ولا نرى ... الفرارَ لمن يرجو العواقبَ ينفعُ

وقد أكد رسول الله **صلى الله عليه وسلم** هذا المعنى وحذر في حديث شريف من الفرار ، وعده من الكبائر السبع ، حتى إن الله تعالى أمر المسلمين في حروبهم أن يثبتوا ويواجهوا أعداءهم ببسالة فيقول سبحانه وتعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار . ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير** ﴾[١٤] .

★ **العصبية القبلية :** كانت العصبية القبلية أهم خاصية من خصائص الفروسية في العصر الجاهلي ، ذلك أن هناك التزاماً جبرياً من الفارس لحماية القبيلة ، والذود عنها حقاً أو باطلاً ، حتى جاء الإسلام وهذب هذه الحماسة غير المقيدة إلى حماسة إيجابية ، بناءة ، هادفة ، راشدة ، تتفق مع العقل والذوق الأصيل للإنسان .

وكانت أكثر الحروب تحدث في الجاهلية لأتفه الأسباب ، مما يزيد هذه الحروب ضراوة وعنفاً بين القبائل ، ولا تهدأ الأحوال حتى يقتل شيوخ وأطفال ، وتسبى النساء وذلك لانعدام الأناة والتروي في اتخاذ القرار الحكيم في هذه الحروب ، وسرعان ما يلبون نداء الحرب ظلماً أو عدلاً ، وربما كان هناك لوم من بعض أفراد القبيلة على من يرضى بالصلح ويقبل إيقاف نزيف الدماء ، ويرفض التسامح والعفو حتى يؤخذ الثأر . وهذا شاعر جاهلي يلوم قومه على قبول الصلح والدية ، ويدعو صراحة إلى العنف والصرامة والشدة في معاملة الخصوم . من ذلك ما تقوله **كبشة بنت معدي كرب**[١٥] :

وأرسل عبدُ الله إذ حانَ يومُه ... إلى قومه ألا يعلو لهم رحمِ
ولا تأخذوا منهم إفالا وأبكراً ... وأتركَ في بيتٍ بصعدة مظلمِ

فنرى هنا رفضاً لقبول الدية الممثلة في الإبل . . وقال **ضرار بن الخطاب القرشي**[١٦] :

أرى ابني لؤي أوشكا أن يُسالما ... وقد سلكتْ أبناؤهم كل مَسْلكِ
فإنَّ شقاء الظلم ما قد جمعتما ... ومن يتق الأقوام بالشر يُتركِ
فإن أنتم لم تثأروا بأخيكم ... فدكوا الذي انتم عليه بمدكِ

ونجد هنا كذلك دعوة لأخذ الثأر ، ورفض السلام والصلح من الجانب الآخر ، وهم بهذا الرفض للصلح يرون أنهم أعزاء أقوياء لا يجرؤ أحد على الاعتداء عليهم مستقبلاً ، وما قبول الصلح إلا دليل الخور والجبن . يقول **القتال الكلابي** في هذا المعنى[١٧] :





إني لعمرُ أبيهم لا أُصالحُهم ... حتى يصالحَ راعي الثلة الذيبُ
أو تنجلي الخيلُ عن قتلى مصرعةٍ ... كأنها خشبٌ بالقاع مقطوبُ

وتكررت هذه الدعوة برفض الصلح عند معظم القبائل العربية ، ولم نجد من يقبلها بغية وقف النزيف الدموي إلا القليل من العقلاء ، وشعارهم في ذلك كما يقول **عبد الرحمن بن ربعي الفزاري**(١٨) :

لا صلحَ حتى تعثرَ الخيلُ بالقَنَا ... وتوقدُ نارُ الحربِ بالحطبِ الجزل

ولكن كان من فضل الله تعالى على البشرية أن اختار هؤلاء العرب الذين كانوا في تيه وضلال وغواية وشقاء ، اختارهم لحمل رسالة الإسلام فيما بعد وتحولت هذه العصبية القبلية الكريهة إلى كرم وسماحة ومودة وإيثار . واقرأ إن شئت سيرة هؤلاء الفاتحين العظام في فتوحات الإسلام الكبرى في **اليرموك ، والقادسية ، ونهاوند ، والأندلس** .

يقول جل وعلا ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾(١٩) .

★ **العناية الفائقة بالجواد :** يكاد يكون الفارس والجواد شيئاً واحداً ، لأن أحدهما لا يستغني عن الآخر ، لذلك أولاها الفرسان جل عنايتهم ، وبالغ تقديرهم الذي تمثل في حسن رعايتها من جهة ، ثم تحدثوا عن صفاتها الجسمية الحميدة من همة ونشاط وحيوية ، ثم ذكروا احتمالها للحروب والمشاق من جهة أخرى .

بل بالغوا في إكرامها بأنهم **كانوا يرضعونها اللبن** .. يقول **عوف بن عطية الشيمي**(٢٠) :

وأعددتُ للحربِ ملبونةً ... تردُّ على سائسها الحِمَارا

والملبونة التي تشرب الحليب ، وهي تسبق الحمار الوحشي ، ومن مظاهر عنايتهم أنهم يطعمونها كأولادهم ، بل ربما جاع الأولاد وهي تطعم الزاد الطيب :

مفداةٌ مكرمةٌ علينا ... يجاعُ لها العيالُ ولا تجاعُ

ومن مظاهر الحديث عن شجاعتها ونشاطها قول سلامة بن جندل السعدي(٢١) :

وكرنا خيلنا أدراجها رُجعا ... كُسَّ السنابك من بدءٍ وتعقيبِ
والعادياتُ أسابيُّ الدماءِ بها ... كأن أعناقها أنصابُ ترجيبِ
يحاضر الجونُ مخضراً جحافلها ... ويسبق الألف عفواً غير مضروبِ

وكان من إفراط إكرام العرب للفرس أنهم صنعوا لها النعال التي تقي حوافرها من الصخور والأرض الصلبة ، كما ذكر زهير :

تخطو على ربذاتٍ غير فائرةٍ ... تخذي وتعقد في أرساغها الخدم(٢٢)
قد أبدأتْ قطفاً في المشي منشزة الـ ... أكتافِ تنكبها الحزانُ والأكمُ

ومن مظاهر اهتمام العرب بالخيل أنهم صبروا على مقاساة مؤونتها مع جدوبة بلادهم إلى درجة أنهم سموها الخير . يقول **طفيل الغنوي**(٢٣) :

وللخيل أيامٌ فمن يصطبر لها ... ويعرف أيامها الخير تعقب

ومن مظاهر اهتمامهم كذلك أنهم كانوا يضيفون أسماءها إلى أسمائهم مثل **زيد الخيل**[٢٤] وقد عرفت له ست أفراس بأسمائها، وقد لخص أحد الشعراء أسباب اهتمامه بالخيل وعنايته بها حيث يقول **أبو دؤاد الإيادي:**

علق الخيل حب قلبي وليداً ... وإذا ناب عندي الإكثار[٢٥]
علقت همتي بهن فما يمـ ... ـنع مني الأعنة الأقتار
جنة لي في كل يوم رهان ... جمعت في رهانها الأعشار
وانجرار بهن نحو عدوي ... وارتحالي البلاد والتسيار

على أن فرقة من الشعراء قد تخصصوا في وصف الخيل، وقد ذكر **الأصمعي: «أن ثلاثة من العرب لا يقاربهم أحد في وصف الخيل وهم: أبو دؤاد الإيادي، والطفيل الغنوي، والنابغة الجعدي»**[٢٦]. وكان من عادات العرب أنهم كانوا يعلقون أسماء معينة[٢٧] على جيادهم، وقد ذكر ابن الكلبي طائفة من فحولها وجيادهم ومما ذكره: زاد الراكب، أعوج، سبل، النعامة، الهطال، العراوة، الوجيه، لاحق، قرزل، جون، داحس، الغبراء، الورد، الشموس، سابح.

وكان الفرسان يستأنسون بالخيول السريعة، ذوات الأعراف الطويلة والأحساب الكريمة، قال **أبو دؤاد**[٢٨]:

أرعى أجمته وحدي ويؤنسني ... نهد المراكل صلت الخد منسوب
يعلو بفارسه منه إلى سند ... عال وفيه إذا ما جد تصويب

وقد تنوعت صور المشبه به في سرعة الخيل، فهي الذئب في شدة السرعة والخفة في الانطلاق. قال **أبو دؤاد** يصف فرسه:

كالسيد إذا ما استقبلته وإذا ... ولى تقول ململمٌ ضرب[٢٩]

وكان من فوائد الخيل للفرسان أن اتخذوها وسيلة للصيد الماهرة الذكية، حيث تقرب البعيد، وتحقق الأمل في صيد ثمين ورزق عميم. يقول **امرؤ القيس**[٣٠]:

وقد أغتدي والطيرُ في وكناتها ... بمنجرد قيد الأوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معاً ... كجلمود صخر حطّه السيلُ من عل

★ **أخلاقية الفرسان في المعركة:** كانت الأخلاقية الكريمة للفرسان، من الخصائص البارزة في حياة هؤلاء الفرسان التي حرصوا عليها أشد الحرص، وهذه الخاصية تتمثل في إعلام الخصم بنية الهجوم والقتال، وفي هذا يقول **عبد الله بن عنمة** عندما دعا خصمه للقتال:

كأني غداة الصمد حينَ دعوتُه ... تفرعت حصناً لا يُرام ممردا[٣١]

وهذا من جهة عدم المباغتة، وهو دليل عدم الغدر من هذا الفارس لخصمه، ومن هذه الخاصية الكريمة عدم اشتراك أكثر من فارس ضد فارس واحد بل يواجه الفارس فارساً مثله. يقول **عنترة**[٣٢]:

ومدجج كره الكماةُ نزالَه ... لا ممعنٍ هرباً ولا مُستَسلم
جادت يداي له بعاجل طعنة ... بمثقف صدق الكعُوبِ مقوم
فتركته جزر السباع ينشنه ... يقضمنَ حُسْنَ بَنانِه والمعصم

ومن هذه الأخلاقية الحميدة للفرسان، أنهم يعتزون بالجراح فيهم، وبصدأ الحديد الذي يصبغ وجوههم، بل إن هذا دليل أكيد على فتوة وفروسية أولئك الأبطال. يقول الشاعر:

ومساعرٌ صدأُ الحديد عليهم ... فكأنما طُلي الوجُوه بقَارِ[٣٣]

ويقول **النابغة الذبياني** في هذا المعنى[٣٤]:

إذا ما غزا بالجيش حلق فوقهم ... عصائبُ طيرٍ تهتدي بعَصَائبِ
ولا عيبَ فيهم غير أنَّ سيوفَهم ... بهن فلولٌ من قراع الكتائبِ

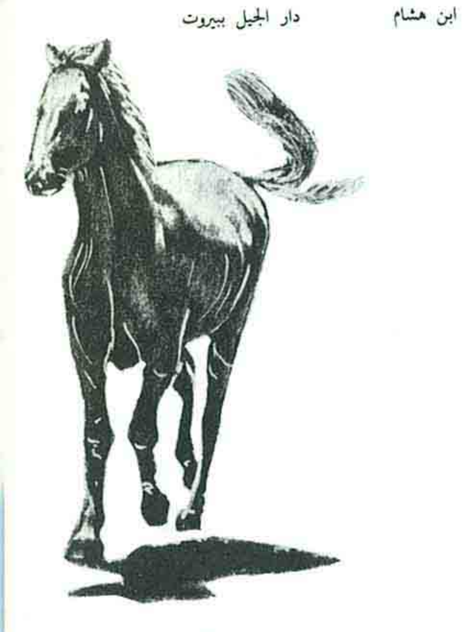
★ **عدم المخالسة:** وكان مما يحمد لفرسان الجاهلية والإسلام، أنهم كانوا لا يخالسون ولا يغدرون في الحرب، وفي الكر والفر. إن الإنذار من جانبهم كان إعلاماً بأن هناك نية للهجوم على الخصوم، حتى يأخذ الخصم حذره، وهذا حقيقة من الأخلاق الأبية، ومن الخصائص الإيجابية، من ذلك ما يقوله الفارس الشاعر **بلعاء بن قيس الكناني** في إشعاره خصمه بنيته في الهجوم عليه، وعدم مباغتته في ملاقاته:

وفارس في غمَار الموتِ منغمس ... إذا تألى على مكروهه صَدَقا
غشيته وهو في جأواء باسلة ... عضباً أصاب سَواء الرأس فانفلقا
بضربة لم تكن مني مخالسةً ... ولا تعجلتُها جُبناً ولا فَرقا

وبعد.. فإنه لمن نافلة القول أن هناك خصائص أخرى بالإضافة إلى ما ذكرت عن الفرسان، ولكن أوجزت القول بغية عدم الإطالة، وركزت على أهم الخصائص المعروفة لدى الفرسان عموماً وكان الفارس يجمع إلى هذه الخصائص صفات من النجدة والشهامة والكرم والأريحية والإباء.

من مراجع البحث:

المرجع	المؤلف	دار النشر
(١) تفسير الكشاف	الزمخشري	دار الفكر
(٢) تفسير ابن كثير	ابن كثير	دار القرآن الكريم ببيروت
(٣) صفوة التفاسير	محمد علي الصابوني	دار القرآن الكريم ببيروت
(٤) صحيح البخاري	البخاري	المكتبة الإسلامية بتركيا
(٥) فتح الباري	ابن حجر	إدارة البحوث بالرياض
(٦) السيرة النبوية	ابن هشام	دار الجيل ببيروت





(٧) الطبقات الكبرى ابن سعـد دار بيروت للطباعة والنشر

(٨) تاريخ الأدب العربي د. علي الجندي مكتبة الجامعة العربية ط٢

(٩) شعر الحرب في العصر الجاهلـي د. علي الجندي مكتبة الجامعة العربية ط٣

(١٠) ديوان الحماسة أبو تمـام القاهرة ١٩١٣م

(١١) حماسة البحتري البحتـري دار الكتاب العربي ببيروت

(١٢) شرح المعلقات السبع الزوزنـي دار صادر ببيروت

(١٣) أشعار الشعراء الستة الجاهليين الأعلم الشنتمري دار الآفاق ببيروت

(١٤) محاضرات الأدباء الراغب الأصبهاني بيـروت

(١٥) لسان العـرب ابن منظور المصري دار صادر ببيروت

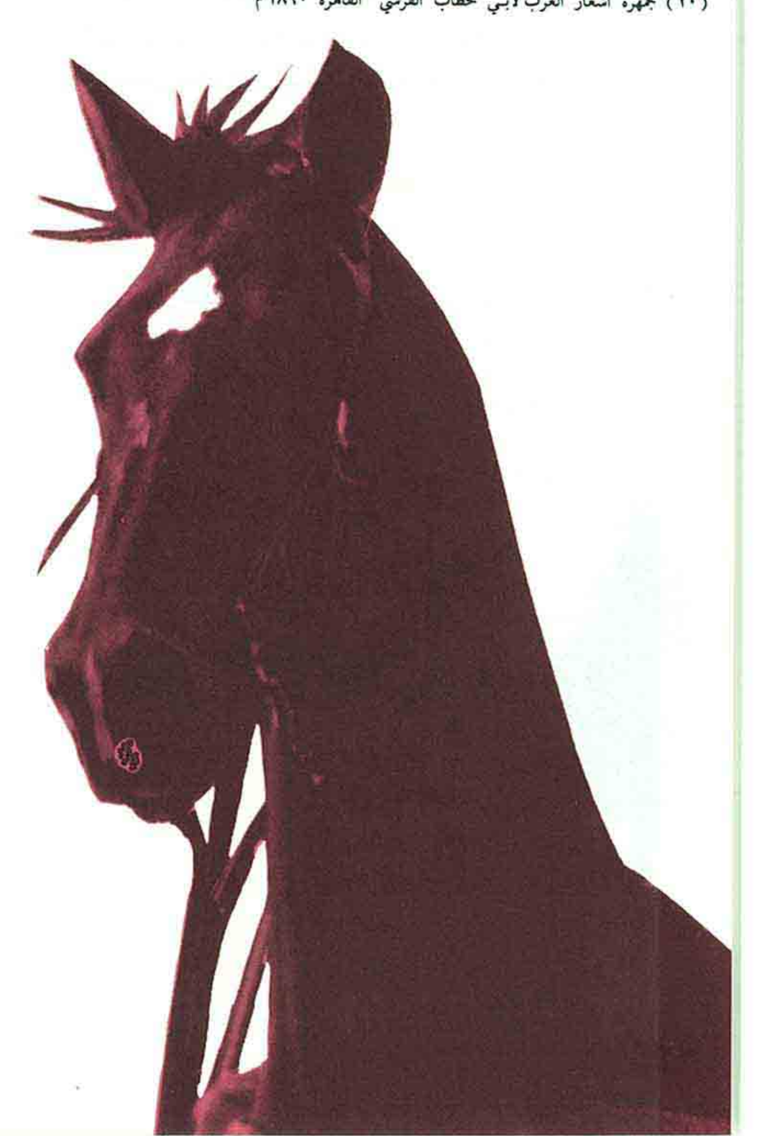
(١٦) الكامل في الأدب المبـرد مكتبة المعارف ببيروت

(١٧) الأمـالـي لأبي علي القالي الهيئة المصرية العامة للكتب

(١٨) خزانة الأدب البغـدادي دار الكتاب العربي للطباعة والنشر

(١٩) الخيـل الأصمعـي فيينا ١٨٩٥م

(٢٠) جمهرة أشعار العرب لأبي خطاب القرشي القاهرة ١٨٩٠م



(٢١) ديوان امرئ القيس امرؤ القيس القاهرة ١٨٩٠م

(٢٢) ديوان طفيل الغنوي لندن ١٩٢٧م

(٢٣) ديوان عنترة بن شداد القاهرة ١٩١١م

(٢٤) شعراء النصرانية لويس شيخو بيروت ١٨٩٠م

(٢٥) المفضليات المفضل الضبي أكسفورد ١٩١٨م

(٢٦) العقد الفريد ابن عبد ربـه بولاق ١٢٩٣هـ

(٢٧) شرح النقائض معمر بن المثنى ليدن ١٩٠٥م

(٢٨) أغاني الأغاني أبو الفرج الأصفهاني مؤسسة بدران للطباعة والنشر

(٢٩) الشعر والشعراء ابن قتيبـة دار المعارف ١٩٦٦م

(٣٠) الفروسيـة ابن القيـم دار الكتب العلمية

(٣١) الحرب في شعر المتنبـي د. أبو ناجي دار الشروق ببيروت

(٣٢) شرح قصيدة كعب ابن زهيـر د. أبو ناجي دار علوم القرآن الكريم ببيروت

الهـوامش

(١) المعلقات السبع، معلقة عمرو بن كلثوم، ص ١١٨.

(٢) أشعار الجاهليين للأعلم، ص ١١٨.

(٣) متفق عليه، المعجم المفهرس للحديث ١٠٥/ ٢.

(٤) رواه النسائي في سننه والمعجم المفهرس للحديث ١٠٤/ ٢.

(٥) رواه النسائي في سننه وأحمد بن حنبل والبخـاري. المعجـم المفهـرس للحـديث ١٠٣/ ٥.

(٦) سورة العاديات، الآيات ١، ٢، ٣.

(٧) سنن أبي داود والنسائي، المعجم المفهرس للحديث ١٠٤/ ٢.

(٨) محاضرات الأدباء ٢/ ٦٣٥.

(٩) محاضرات الأدباء، الراغب الأصبهاني ٢/ ٦٣٥.

(١٠) نفس المصدر ٢/ ٦٣٦.

(١١) محاضرات الأدباء ٢/ ٦٣٤.

(١٢) حماسة البحتري الباب الأول، ص ٩.

(١٣) حماسة البحتري، ص ٣٧.

(١٤) سورة الأنفال، الآيتان ١٥، ١٦.

(١٥) حماسة البحتري ٢٨/ ١.

(١٦) نفس المصدر ٢٩/ ١.

(١٧) حماسة البحتري ٣١/ ١.

(١٨) نفس المصدر ٣٣/ ١.

(١٩) سورة آل عمران، الآية ١٦٤.

(٢٠) المفضليات، ص ٨٣٧.

(٢١) شعر الحرب، ص ١١٩.

(٢٢) العقد الثمين، القصيدة رقم ١٧، ابتـداء مـن البيـت ١٥، ص ٩٨، والـطبعة في الشعر الجاهلي، ص ١٠٩.

(٢٣) ديوان طفيل الغنوي، ص ١٦.

(٢٤) أغاني الأغاني ٤٦/ ١٦.

(٢٥) ديوان أبي دؤاد الإيادي، ص ٣١٧.

(٢٦) الشعر والشعراء ١٦٢/ ١.

(٢٧) ابن الكلبي، أنساب الخيل ١٢٩.

(٢٨) أبو دؤاد الإيادي، الديوان، ص ٢٩٥.

(٢٩) ديوانه (أبي دؤاد)، ص ٢٩٥.

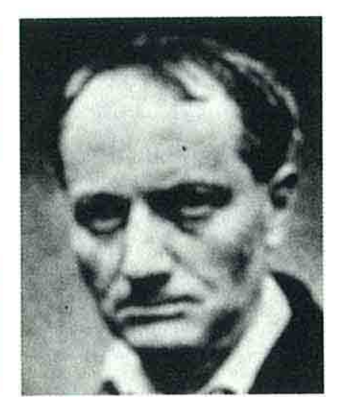
(٣٠) المعلقات السبع للزوزني، ص ٢٩، ديوانه، ص ٦٥.

(٣١) النقائض، ص ٥٤.

(٣٢) المعلقات السبع للزوزني، ص ١٣٧.

(٣٣) هذا البيت للربيع بن زياد شعراء النصرانية، ص ٧٩٣.

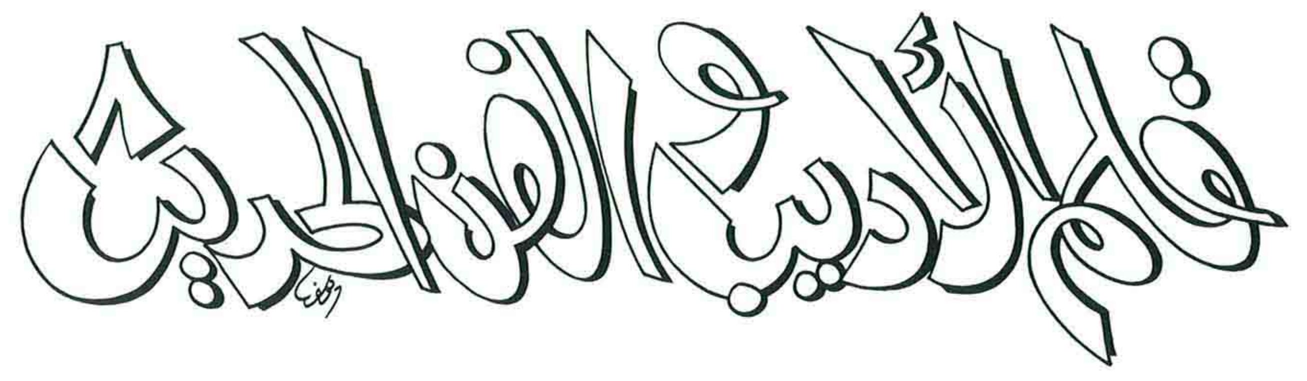
(٣٤) لسان العرب ٤٠٥/ ١، ومختار الشعر (٤٣)، حماسة أبي تمام ١٣/ ١، الجاهلي مصطفى السقا (طبع الحلبي).

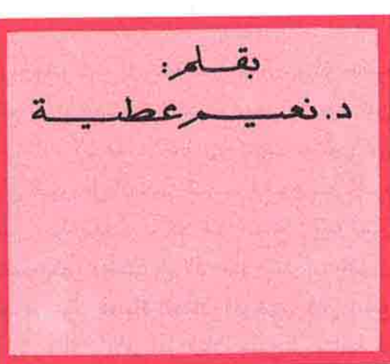


★ بودلير ★



★ سيزان ★





عندما سئل الروائي الفرنسي المعاصر **ميشيل بيطور** عما يستهدفه من الكتابة عن **الفن التشكيلي**، وعما إذا كان يعتقد أن ثمة رباطاً يجمع بين الكتابة والتصوير أجاب قائلاً:

إن اللوحة تحيرني وتثير فضولي. ولهذا فإني أعاود النظر إليها مراراً مدققاً في تفاصيلها، أريد أن أنتزع السر الذي تحتويه. أقول لنفسي: ما الذي يعرفه هذا المصور أو هؤلاء المصورين من أسرار الصنعة لا أعرفه أنا؟ ومن ثم أضع نفسي موضع التلميذ من صانعي اللوحات إلى أن أتعلم وآخذ كفايتي. ويا لروعة ما أكتشف، إن فض اللغز الكامن وراء الأعمال الكبيرة يقود إلى مناهل لا حصر لها. ويحدث أنني لا أتوصل إلى استيعاب فهم الشيء إلا بشرحه للآخرين. فأنا إذن أكتب عن الفن التشكيلي كي أصعد إلى منابع للإلهام تظل خافية إلى أن أتمكن من إيضاحها لقرائي.

وترون بذلك أنني أبحث من سبر أغوار الفن التشكيلي عن نفعي ونفع قرائي، ولما كنت أؤلف كتباً، وأن هذا النشاط هو في الحقيقة بؤرة وجودي.. **فكيف لا يكون في كتابتي عن الفن نفع لي؟**

إن المصورين يعلمونني كيف أرى، وكيف أقرأ، وكيف أصنع تكويناً، أو بعبارة أوجز يعلمونني كيف أكتب، وأن أتحكم فيما أخط من كلمات على صفحتي. وقد أعتبر «**الخط الجميل**» أو «**الكليجرافيا**» **في الشرق الأقصى** المعبر الدائم بين اللوحة والقصيدة.

كيف يمكن أن يكون مجال التصوير غريباً على الكاتب؟

إن ناقد الفن ذاته الذي يغار كثيراً من الشاعر أو الروائي الذي يتعدى على مملكته ما هو إلا كاتب متخصص. **إن أكبر نقاد الفن ومؤرخيه هم أيضاً كتاب من الطراز الأول**. ولا ننسى في هذا المقام **بودلير وروبيرتو لونجي**. ولقد قال لنا **ديستوفيسكي** عن مصور مثل **هولبين** أو **كلود لورين** أكثر بكثير مما قاله عنهما كل المتخصصين، وإن كان ذلك لا يقلل شيئاً من قيمة هؤلاء.

إن التصوير يهمنا جميعاً. وليس هو بأي حال من شؤون المقتنين والتجار فحسب. إن هؤلاء يمولون النشاط التشكيلي، أما بالنسبة للكاتب فما من شيء يجدر أن يكون غريباً، ـ وعلى الأخص عالم التصوير ـ لا يجب أن ينأى عنه.

يمكن للتصوير أن يمضي بغيري، أما أنا فلا أستطيع أن أمضي بغير التصوير. وإذا كان ثمة مصورون يجدون فيما أكتبه ما يحل لهم بعض مصاعبهم، ومن ثم يشعرون أنني أساعدهم على التقدم، فذلك يبدو لي أمارة طيبة، وإني أشكرهم.

التصوير والأدب

إن التصوير والأدب مرتبطان اليوم أشد الارتباط، وذلك كما كانا على الدوام، باعتبارهما مظهرين هامين لوظيفة اجتماعية واحدة. ولكن قد يحدث أن يكون ترابطهما خافياً عن العيان لظروف تجعل من الصعب تبين



قلم الأديب والفن الحديث

هذا الترابط وقد **كانت السيريالية من اللحظات المجيدة التي أدركت فيه العلاقة الحميمة بين التصوير والأدب** . ولكنها لم تكن اللحظة الوحيدة في تاريخ الفن والأدب . فقد كان العناق بينهما قوياً أيام **الكلاسيكية** ومن بعدها **الرومانسية فالرمزية فالانطباعية والتعبيرية** ، بل وأيضاً إبان الحركة **التجريدية** .

وقد وجدت التجريدية صداها في بعض الكتابات الأدبية ، كما وجدت صداها في أعمال التصوير الحديث . وظهر التيار التجريدي في الأدب كما ظهر في التصوير ، وإن كانت مهمة الأديب التجريدي أشق من مهمة زميله المصور التجريدي ، لاعتبارات تتعلق بالأداة التي يستخدمها الأديب .

ومن الأدباء من تجد عنده حساً تشكيلياً واضحاً ، حتى لتكاد تشعر بأنه إنما يصور بكلماته لوحة غنية بالخطوط والألوان ، وقد قامت مدرسة بأكملها في **فن الرواية** على أساس من الصور المرئية ، وإقصاء كل انشغال فكري أو وجداني عن النص الأدبي ، أو على الأقل جعل توصيل الأفكار والعواطف إلى القارئ عن طريق ما يبدو للعيان من المظهر الخارجي للأشياء ، ولهذا سميت هذه الحركة الروائية « **المدرسة الشيئية** » أو « **مدرسة النظرة** » وهي المدرسة التي أطلق على اسهامات أعضائها « **الرواية الجديدة** » .

الروابط بين الفن والأدب

ولشدة الروابط بين الفن والأدب ، نجد من الروائيين من كرس قلمه لكتابة سير المصورين . وفي طليعة هؤلاء الروائي الفرنسي المعاصر **هنري بيروشو** الذي أخذ على عاتقه منذ عام ١٩٥٥ م ، أن يكتب سلسلة من التراجم بعنوان « **الفن والقدر** » مقدماً لقرائه بذلك تاريخاً حياً للتصوير الحديث من خلال شخصياته المبدعة .

وقد قام **هنري بيروشو** بالنسبة لكل من تراجمه بالبحوث التاريخية الأولية باخلاص رائع دون أن يهدف إلى تصوير حياة بضعة أشخاص فحسب ، بل إلى تصوير حقبة كاملة من التاريخ الحديث . وبذلك يرسم بكلماته لوحة ضخمة تعكس قرناً ونصفاً من الزمان .

إن سلسلة « **الفن والقدر** » في الواقع جهد جبار لا يتيح للقائم به راحة أو

★ البير كامي ★



★ ديستوفسكي ★

انصرافاً ، إلا أن **هنري بيروشو** يحب العزلة والعمل . ويمضي في تنفيذ مشروعه الضخم بمتعة وسعادة لا تقل عن المتعة والسعادة التي تخلفها سيرة في نفوس قرائه .

وقد ولد **هنري بيروشو** في السابع والعشرين من يناير (كانون الثاني) عام ١٩١٧ م ، وتنحدر عائلته من أصل ريفي . وكان **أبوه يشتغل في مصلحة السكك الحديدية** . وقد أمضى هنري طفولته وصباه في **مارسيليا** ، حيث تلقى دروسه ، **ثم حصل على ليسانس الآداب من جامعة ايكس** .

ولم تكن القراءة مستحبة كثيراً بين أفراد أسرته ، ولم يكن للأدب عندهم أي حساب . على أن هنري أراد أن يصبح أديباً منذ الصغر . بل وعمد إلى الكتابة فعلاً إشباعاً ــ على حد قوله ــ لحاجة عضوية تماماً كحاجته إلى التنفس أو الطعام . وقد وجهته أسرته إلى التدريس إلا أن أنظاره كانت متجهة اتجاهاً آخر . وفي سن العشرين أرسل محاولاته الأولى في الكتابة إلى الأديب الكبير **هنري دي مونترلان** الذي كتب إليه قائلاً : « إن ثرواتك الداخلية جلية ولكنني أنصحك بأن تفعل ما فعله **شاتوبريان** ، أعني أن تخفي مصادرك » . وكان يقصد أن يخفي الأديب الناشئ إنتاجه الأول وألا يعمد إلى النشر إلا بعد اجتياز **السن الظامئة** التي يمر بها كل الكتاب .

وفي سن التاسعة والعشرين نشر **بيروشو** أول كتبه وكانت قصة طويلة بعنوان « **سيد الإنسان** » ، ثم أعقبتها قصص أخرى ، ثم روايات ومقالات وقصائد من الشعر ودراسات عن مسرح **مونترلان وآنوي وكامي وشو** .

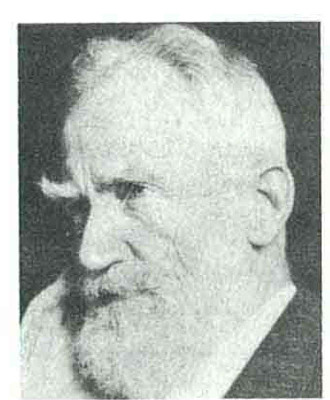
وقد حصل **هنري بيروشو** على جائزة « **شارل بلان** » من الأكاديمية الفرنسية وأسندت إليه اعتباراً من أبريل (نيسان) عام ١٩٦١ م ، رئاسة تحرير مجلة « **حديقة الفنون** » .

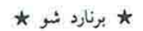
الاهتمام بالمصورين

ولكن ما الذي جعل **هنري بيروشو** يتجه إلى كتابة سير المصورين وأن يعكف عليها ويكرس جل وقته لها ؟ الواقع أننا لو أجبنا على ذلك بأن السبب هو حبه للفن فحسب ، فلن تكون إجابتنا وافية بحال ، لأن هذه الإجابة وإن كانت ستقوى على تفسير اختياره لموضوعاته إلا أنها لن تقوى على أن تفسر السبب في تكريسه الجزء الأكبر من نشاطه كمؤلف لهذه السير . والحقيقة أنه لو كان قد أصبح راوية لسير الفنانين الكبار فليس ذلك لمجرد شغفه بالفن فحسب بل لأن حياة الفنانين الموهوبين فيها ما يستأهل اهتمام الأديب القصاص بها . **فحياة الفنان الموهوب هي أبلغ حوار بين الإنسان والقدر** . وسواء أكان الأمر أمر **فان جوخ أو مانيه أو تولوز لوتريك أو سيزان أو جوجان** ، فإن هدف القصاص **بيروشو** في كل الأحوال واحد لا يتغير . هذا الهدف هو محاولته بالنسبة لكل من أولئك الفنانين الذين خصص لهم سلسلته « **الفن والقدر** » أن يزيح النقاب عن إنسان في عظمته وضعفه ، في لحظات سعادته وشقائه ، في حياته المتزنة الهادئة والقلقة المضطربة إلى حد الخطر . وباختصار لنقل : إن **بيروشو** إنما يبحث في حياة كل فنان عن روعة المصير الإنساني .

إن الفن يتفجر لدى هؤلاء الموهوبين على الدوام من الحياة . وإذا كان الفن أقصى تعبير عن الحياة فهو نتاج تلك الحياة أيضاً . ولا مفر عند التقصي عن حياة أولئك المبدعين من أن نلتقي بأعمالهم . ويتزايد الاعتقاد العام يوماً بعد يوم بأن ما من وسيلة أنجح لفهم العمل الفني من النظر إليه من خلال حياة الإنسان الذي صنعه والذي استشعر حاجته إليه وسخر طاقاته له . **ولكن حياة الفنان هذه التي تختلط وتتشابك بحياة أناس آخرين ، كيف يمكن وضع اليد عليها وإعادة تشييدها ؟**

الواقع أن هذه هي المشكلة التي يواجهها كاتب التراجم ، **ويستهجن هنري بيروشو** من ناحيته الكتابة الرومانسية للتراجم . فلماذا يلجأ الكاتب ــ **على**





★ برنارد شو ★



★ فان جوخ ★

حد قوله ـ إلى التخيلات ليعرض لنا حياة أناس عاشوا حياتهم فعلاً بكل تفاصيلها ودقائقها الحافلة ؟ لماذا يلجأ كاتب مثل **ارفينج ستون** في الفصل السادس من روايته «**شغف بالحياة**» التي كتبها عام ١٩٣٤ م ، إلى تصوير **فان جوخ** وقد التقى بإلهة الفن المزعومة «**مايا**» التي تقول له في حوار طويل متخيل إنها أحبته منذ أن أمسك القلم وخط رسومه الأولى لعمال المناجم في البوريفاج ، وأنها كانت ترافقه على الدوام رغم أنه لا يعرفها ؟ لماذا يلجأ كاتب مثل **بيير لاميور** روايته «**الطاحونة الحمراء**» التي كتبها عام ١٩٥٠ م ، عن حياة **هنري دي تولوز لوتريك** إلى وضع شخصيات حقيقية في مواقف متخيلة ؟ إن الواقع أغنى ألف مرة من الخيال . . بل إن الواقع ليس أغنى فحسب بل وأكثر فتنة وإثارة وتحريكاً للعواطف وذلك لأنه واقع ، وواقع فحسب .

لقد كان الأديب الكبير ميشليه يقول : «**أتريد قراءة رواية ؟ اقرأ التاريخ إذن ؟**» ومن ثم إذا وجب أن تكون السيرة مؤثرة كالرواية فإنها لا يجب من ناحية أخرى أن تقل دقة عن أكثر مدونات التاريخ جدية وموضوعية .

وقد زاد عدد المراجع التي رجع إليها **بيروشو** بصدد حياة **فان جوخ** مثلاً على المئة ومن بين هذه المراجع رسائل علمية وأبحاث طبية عن طبيعة **المرض العقلي الذي أطاح بصواب فان جوخ** . ولم يقل عدد المراجع بالنسبة لأي سيرة من سيره عن ذلك العدد الضخم . فالواقع أن سيره ليست روايات ، بل مادة علمية معروضة عرضاً خاصاً فيه براعة الفنان وطلاقة الأديب ووقار العلماء . فقد قلل **بيروشو** قدر إمكانه من استخدام الخيال الذي لا ينكر أحد أن مثل هذه المؤلفات يمكن أن تخلو منه . لقد تقصى بصبر عن كل ما هو معروف عن **فينسنت فان جوخ** وجمع بأناة كل العناصر اللازمة لإعادة تشييد حياته . ومن السهل على من بذل مثل هذا الجهد الذي بذله بيروشو أن يشير بالنسبة لكل من تفاصيل كتبه إلى مرجع أو أكثر . إلا أنه تردد لحظة فيما إذا كان يجب عليه أن يشير في كل صفحة إلى مراجعه العديدة ، ثم قرر ألا يفعل ذلك ، حتى لا يكسر جمال القصة المسرودة . وحتى لا تتخذ سيره صورة الأبحاث العلمية ، في حين أن هدفه الأساسي هو أن يكتب عملاً أدبياً ، ولذلك فقد اكتفى بأن يشير في نهاية كل سيرة من سيره إلى مراجعه بالتفاصيل .

كما أن الخطابات المتبادلة بين الفنان وأقربائه وأصدقائه ومعارفه هي بدورها مصدر ضخم للمعلومات التي تلقي أضواء صادقة على شخصية الفنان وحياته . فالخطابات التي يكتبها المرء عادة إلى أبيه أو أخيه أو أمه أو صديقة أو زوجته ينفس بها عن مكنون صدره ، ويشكو فيها متاعبه ، أو يطلب قضاء حاجة ، أو يحكي حادثة وقعت له ، أو يصف شخصاً التقى به ـ مثل هذه الخطابات تكشف عن خبايا كثيرة تفيد كاتب السير فائدة بالغة في تشييد ترجمته لحياة الفنان الذي يكتب عنه .

وتعتبر خطابات **فان جوخ** ثروة أدبية ضخمة ومصدراً رائعاً لاستقاء الحقائق عن حياته ، فقد بلغت الخطابات المتبادلة بين فينسنت فان جوخ وأخيه **ثيو** (٦٥٢) خطاباً ، كما خلف فينسنت (٢١) خطاباً أيضاً إلى صديقه **إميل برينار** ، وثمانية خطابات إلى أمه وأربعة أخرى إلى ذويه ، وخطاباً إلى الناقد **ألبير أوريه** أول من كتب عن فنه . كما خلف بضع رسائل أخرى إلى أخته ولهلمينا وإلى **جوجان وفان راباروجون روسيل** . وقد استعان **هنري بيروشو** بهذه الثروة الضخمة من الرسائل في تقصي حقيقة الفنان الكبير .

وهذه المراجع المطبوعة ذات أهمية قصوى بالنسبة للسير التي يكتبها **هنري بيروشو** ، طالما أنها تمده بأسانيد جدية بعيدة المدى . على أن مرحلة البحث لا تنتهي بمجرد استيعاب ما تقدمه هذه المصادر المطبوعة ، بل على العكس فإن بيروشو يهتم أيضاً بتجميع أقصى ما يمكن تجميعه من أسانيد ومعلومات غير مطبوعة تعاونه في إلقاء الضوء على هذه أو تلك من لحظات حياة الفنان أو المحيطين به . ويتشعب عمله هذا في شتى الاتجاهات . ولنأخذ على سبيل المثال «**حياة جوجان**» فضلاً عما رواه **لبيروشو بول فور** قبل مماته من ذكرياته عن **جوجان** ، فقد أمكنه العثور على كثيرين آخرين ممن عرفوا الفنان معرفة شخصية وسمع من الكثيرين ذكرياتهم عن الفنان الراحل .

وقد أمده كثير من هواة اللوحات وأفراد العائلات التي كانت على علاقة بجوجان بخطابات لم يسبق نشرها ـ خطابات لجوجان ذاته ، وخطابات لأصدقائه تمسه بطريق مباشر أو غير مباشر ، وقد كانت بعض هذه الخطابات على غاية من الأهمية في إلقاء الضوء على جوانب خفية من حياة الفنان . كما كانت خطابات المصور **شارل لافال** إلى مصور آخر هو **فرديناند بيجودو** ذات فضل في إثراء معلومات بيروشو عن المقومات الأساسية للمدة التي قضاها جوجان ولافال في **جزر المارتنيك** عام ١٨٨٧ م ، وهي حقبة من حياة جوجان كان يكتنفها كثير من الغموض .

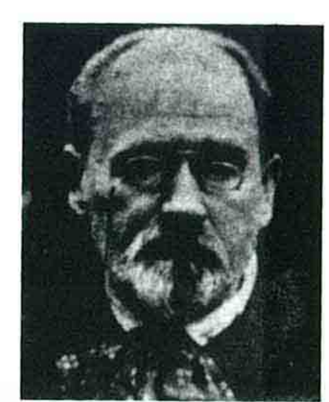
وقد أوصلت أبحاث بيروشو في سجلات البحرية الأهلية إلى تحديد الأسفار التي قام بها جوجان في شبابه عندما كان يعمل على ظهر الباخرة **الفيروم ـ نابليون** ، كما زودته شركة **الميساجيري مارتيم** للملاحة بتواريخ إقلاع ووصول السفن التي أقلت جوجان إلى جزر المحيط الهادي والتي أعادته إلى أوروبا وخطوط سيرها والموانئ التي رست فيها وبعض التفاصيل الأخرى .

وبالإضافة إلى الكتب التي يرجع إليها هنري بيروشو بالنسبة إلى كل من سيره ، فقد رأى أن المعرفة المباشرة للأماكن التي عاش فيها كل من الفنانين التي كتب عنها هي أمر على غاية الأهمية ، فبدون هذه المعرفة لا يمكن أن نفهم فهماً واضحاً وصحيحاً حقيقة الحياة التي عاشها الفنان .

وهكذا تأتي معلومات هنري بيروشو من كل صوب وحدب ، ويمضي في التنقيب في كل مكان . ومن خلال مراسلاته مع أحد **الفارسوفيين** بمعاونة مترجمة بولونية ، أمكنه أن يحدد الروابط التي كانت تربط جوجان **بالفنان البولوني سلونيسكي** . ومن ابنه المصور **جورج ـ دانيل دي مونفريد** وكيل جوجان أثناء فترة إقامته في جزر المحيط ، أمكنه أن يجمع أهم الاستدلالات عن الحقبة التي عاشها جوجان في تلك الجزر النائية . ولنتوقف عن المضي في تعداد هذه المصادر فهذا أمر لا ينتهي . وباختصار أمكن لهنري بيروشو من هذه المصادر التي لا حصر لها أن يصحح وجهات النظر السابقة في عديد من النقاط وأن يضيف إليها وجهات نظر جديدة .

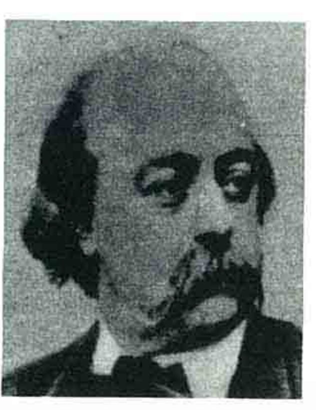


قلم الأديب والفن الحديث





★ إميل زولا ★



★ فلوبير ★

كاتب السيرة والمادة التاريخية

ولكن هل يعتبر حصر تفاصيل حياة الفنان وجمعها مدعمة بالأسانيد المستمدة من واقع حياة نهاية المطاف بالنسبة لكاتب السير؟

كلا . إن جمع هذه التفاصيل وإن كان أمراً لا يستغني عنه كاتب السير، إلا أنه ليس سوى وسيلته إلى روايته حياة الفنان والشرط اللازم ليشرع في الكتابة . صحيح أن **كاتب السيرة يمكنه أن يقنع بأن يسرد التفاصيل التي أسفرت عنها تحرياته ، وأن يضع بذلك مؤلفاً ذا قيمة علمية وتاريخية غير منكورة** . ولكنه لن يكون بذلك قد قدم عملاً أدبياً . فلا يجب أن يقنع كاتب السيرة في نظر بيروشو بإيداع المادة التاريخية في كتاب ، بل عليه أن يقدم للجمهور من واقع تحرياته عملاً أدبياً .

إن كاتب السيرة يجب أن يكون في النهاية قصاصاً ، أو إن شئنا الدقة قصاصاً من نوع خاص . . قصاصاً من نوع إميل زولا ومن على شاكلته ممن يعمدون لكي يكتبوا رواياتهم إلى استقاء تفاصيلها من الواقع .

إن كتابة السيرة كما يفهمها بيروشو يجب أن تكون عملاً تشييدياً ينمو من خلال فصوله المرسومة بمهارة وواقعية بحتة ، نمواً يدفع العمل الفني قدماً إلى النهاية ، على أننا نقف هنا إزاء مخاطرة . فإذا كان القصاص أو الروائي حراً في أن ينظم على هواه العناصر المستقاة من الواقع ، فإن كاتب السيرة سجين موضوعه ، ولا يجب أن يخاطر بالخروج من سجنه فهو لا يملك أن يغير شيئاً من ظروف حياة من يكتب سيرته . وكل براعة كاتب السيرة تتركز في إمكانه أن يلتزم حدود المادة الواقعية التي جمعها ، والتغلب في الوقت ذاته على الصعاب التي تعترضه الواحدة تلو الأخرى بشكل لا يحس معه القارئ بوجود تلك الصعاب ، حتى أنه يقرأ سيرة الفنان كما لو كان يقرأ رواية ممتعة . أو بعبارة أخرى أن تبدو السيرة أمام عيني القارئ على غاية من البساطة والوضوح كما لو كانت مهمة الكاتب من أولها إلى آخرها سهلة سهولة رائعة . في حين أنها سهلة سهولة خطرة .

بيروشو وسيزان

يقول **بيروشو** في مقدمته القصيرة لحياة **سيزان** إنه لم يفعل سوى أن جمع ما يمكن اليوم جمعه من معلومات عن **بول سيزان** ، ورتبها ، وقابل بينها لتمييز الغث من السمين ، ثم زار الأماكن التي عاش فيها الفنان ، وعاين عن كثب الأجواء التي سبحت فيها روحه وتأمل المناظر والأشياء التي وقعت عليها عيناه وسجلتها عبقريته في لوحات تعتبر من أعز ما قدمه فنان إلى بني جنسه .

واشترط بيروشو في مقدمته القصيرة تلك إلى أن شخصية سيزان لا تدع أحداً يقترب منها ويفهمها بسهولة ، فلقد كان إنساناً غامضاً تكتنفه الأسرار ، وأولئك الذين عرفوه صوروا لنا شخصيته تصويراً لا يخلو من التناقض . على أن هذا التناقض وإن كان يشكل صعوبة كبيرة أمام كاتب السير إلا أنه مصدر متعة كبيرة له أيضاً عندما يصل في زحمة الأقوال المتضاربة إلى أن يتبين وجه الحق والصواب ، وأن يتخذ من خضم الاحتمالات العديدة موقفاً يطمئن إليه ، ويؤسس عليه بناءه لحياة الفنان .

ويقول **بيروشو** : إنه حاول إزاء ما اكتنف شخصية سيزان من غموض أن يولي عناية أكبر تلك الأحداث الصغيرة التي قد تبدو عرضية وسطحية في حياة الفنان عند الوهلة الأولى ، ليستخلص منها الخيط الرفيع المتين الذي تتعلق به حياة الفنان ، فالواقع أن العناية بتلك الأحداث الصغيرة التي قد لا تسترعي انتباه كاتب عجول ، ومحاولة إبرازها وإيفائها قدرها الحق في إطار السيرة والعناية بتلك الأحداث على غاية من الأهمية ، لأن خلفها يختفي الخط الحقيقي الذي تسير فيه حياة الفنان الحقيقية بكل مأساتها وروعتها .

ويتساءل بيروشو على الدوام لماذا لا تحقق سيرة من السير ما تحققه رواية **لفلوبير** أو **زولا** ، مثلاً ، تتصف بالواقعية والقوة؟

ولا يتصور بيروشو كاتب سير لا يكون لديه حب استطلاع لا يهدأ له قرار ولا يكون مفعماً بالرغبة في أن يعرف بكل ما في كلمة المعرفة من معنى ، وفي أن يفسر السلوكات دون أن يحكم عليها ، ولا أن يحب الحياة بكل ما في عاطفته من قوة . إن كاتب السيرة كالقصاص يجب أن يكون باعثاً للحياة في التفاصيل ، حتى المتناهية منها في الصغر ، فيجب أن يبين كاتب السيرة للقارئ كيف انبسطت تلك المصائر الكبيرة التي يروي دقائقها في الزمان والمكان والوسط الذي انبثقت فيه . فيتابع مثلاً الطفل **سيزان** بسترته الزرقاء وهو يلهو بين باعة الخيول في ساحة ميرابو ، ويدخل مع **لوتريك** إلى ملهى الطاحونة الحمراء ، ويرقب بعيني ذلك القزم الموهوب المحطم خطوات الراقصات الرشيقة وحركات البهلوانات المرنة . ويجب عليه وقد وصل إلى الفصل الأخير من حياة **فان جوخ** أن يحيا معه مأساة تلك الأيام القاسية ولحظات الجنون الذي كان يكتسح عقله . ثم لحظات الصحو التي تشبه السكون الذي يخيم على الخرائب بعد العاصفة الهوجاء ، وأن يكون هناك في قلب أعنف شقاء عرفه إنسان ، وأن يحيا حياة ذلك الجسد الممزق في صراعه مع الموت وتلك الروح المرتجفة في فرارها من ظلمة الليل . ويجب أن يحيا مع **جوجان** في حلمه الكبير الذي دفعه إلى دروب بعيدة وقاده من سراب إلى سراب بحثاً عن جنة عدن ، حتى وصل إلى **جزر الماركيز** حيث وجد عند أولئك **الماوريين البدائيين** ذوي الوشم والعادات الفطرية بعض حلمه الكبير .

ونعود إلى مطلب بيروشو الأول ، وهو أن يزيح النقاب عن حياة إنسان في تلك الروعة التي ينفرد بها مصيره . أجل ، هذا هو هدفه ، والباعث له على كتابة كل تلك السير التي كتبها . إن في الحياة الكبيرة على الدوام إصبع القدر ، ولن يكون تشييد هذه الحياة الكبيرة من جديد بدقائقها وتفاصيلها ، وسبر أغوار المواقف وارتباطها ببعضها ، وتحليل الأسباب النفسية التي أملت على رجل ما تصرفاته ، لن يكون كل هذا شيئاً ذا بال ما لم يكن الهدف وضعنا في النهاية إزاء فردية قوية في التحامها مع القدر .

وختاماً ، فإن تجربة هنري بيروشو في كتابة سير كبار الفنانين هي درس لا يمكن الاستغناء عنه لمن يتصدى عندنا لرواية سير فنانينا الكبار .



العقاد وأونامونو بين

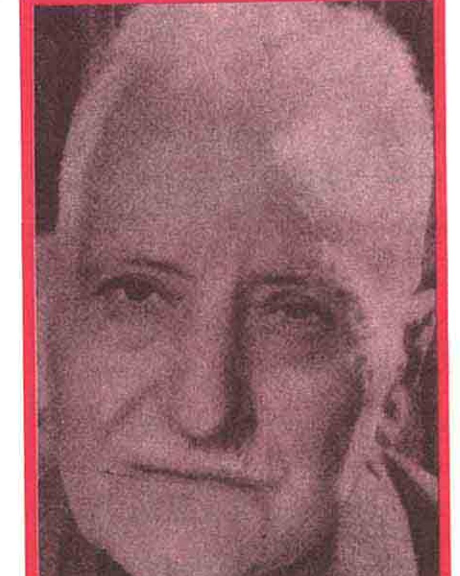
دراسة مقارنة

بقلم : د. عبد اللطيف عبد الحليم

في ربيع عام ١٩٧٥م ، قرأت مقالا ضافياً عن الشعر الإسباني للدكتور محمود علي مكي ، لفت نظري حديثه عن ميجيل دي أونامونو ، وبصفة خاصة مطلع قصيدته «مذهب شعري» الذي يقول فيه : «يفكر حين يحس ، ويحس حين يفكر» ، فذكرني هذا بفكرة العقاد عن الشعر ، إذ رأيت فيها تقارباً في فهم الشعر ونقده . بعد قليل تحدثت مع صديق الدكتور الطاهر مكي بهذا الشأن ، أثناء إعدادي لرسالة الدكتوراه عن شعر العقاد وعلاقته بنقده للشعر بدار العلوم ، وفي الوقت نفسه أعد لسفري مبعوثاً إلى إسبانيا لنيل الدكتوراه هناك ، فاقترحت على الدكتور الطاهر مكي أن تكون رسالتي في الجامعة الإسبانية هذا الموضوع فأيد الفكرة . ثم وصلت إلى إسبانيا حيث التقيت بالمستشرق المعروف بدرو مارتينث مونتابث الذي ما عم أن أيد الفكرة حين عرضتها عليه ، وزاد فأشار إلى أن الموضوع له نظائر كثيرة ينبغي دراستها ، وتطبيق فكرة المقارنة بين شعراء عرب وإسبان ، وذكر مثالا على ذلك أحمد رامي ، ورامون خمينث .

تحمست للموضوع لأن الدراسة المقارنة بين الأدب العربي والإسباني قليلة جداً أو تكاد تكون معدومة إذا استثنينا الجهود الرائدة التي بذلها **الدكتور الطاهر مكي** في دراساته التي يوالي نشرها . وهذا الذي يحدث مع الأدب الإسباني لا يحدث قرينه مع الآداب الأخرى مثل **الإنجليزية والفرنسية والفارسية** ، فإن فيها دراسات جادة وكثيرة . أغلب هذه الدراسات تصطنع المنهج الفرنسي الذي يقتضي وجود تأثير وتأثر مباشر ، بيد أنه فيما يتعلق بموضوعنا ليس ثمة علاقة مباشرة ، لذا لا محيص من الاعتماد على **المدرسة الأمريكية** التي ترى أن وجود طائفة من المشابهات الممكنة بين

★ العقّاد ★



أدبين كفيل بقيام هاته الدراسة المقارنة . وكان الاعتماد ضرورياً على رأي **المدرسة الأميريكية** ورائدها **رينيه ويلك** ؛ لأننا نرى في **المدرسة الفرنسية** تضييقاً غير مسوغ ، فضلاً عن ان **العقاد** نفسه طبق منهج الأميريكان ـ ربما قبل ويلك ـ في دراساته المقارنة بين **المعري وشوبنهور** في كتابه «**رجعة أبي العلاء**» سنة ١٩٣٩م . وذكر **العقاد** شواهد من كلام حكيم المعرة وكلام الفيلسوف الألماني وفي كليهما ـ كما يبين ـ مشابه جمة .

كما طبق **العقاد** هذه الفكرة في حديثه عن **المتنبي ونيتشه** مرتئياً أن هذه المشابهة إنما ترجع إلى تشابه الطباع والأمزجة التي توحي

العقاد بين وأونامونو

بالقول الواحد إلى أفواه كثيرة ، إلا أن تشابه العقول نادراً ما يوحي بالاتفاق .

العقاد والفكر الإسباني

لكن يقفز هنا سؤال : هل قرأ العقاد أونامونو؟ ١٨٨٩ ـ ١٩٦٤ م ، ١٨٦٤ ـ ١٩٣٦ م . **الجواب بالإيجاب** ، لكننا لا نعتقد أن صاحبنا المصري قرأ الإسباني في مستهل حياته ، أوان التكوين والتأثر ، بل إنه قرأه زمن النضج والاستواء إبان امتلاكه لفكر خاص ، ووجهة نظر مجددة في الفن والأدب التي استهلت عام ١٩٠٧ م ، وبلغت نماءها في الديوان عام ١٩٢١ م . لقد قرأ **العقاد** كثيراً في الفكر الإنساني من خلال الإنجليزية ، وبالطبع طالع الأدب الإسباني ، واطلع على ثمرات قرائح الأدباء الإسبان وفي طليعتهم **أونامونو** .

شواهد قراءات **العقاد** في الأدب الإسباني تطالعنا في كتبه ومقالاته : **« الحكم المطلق في القرن العشرين »** تحدث فيه عن إسبانيا ودكتاتورية **بريمو دي ريبيرا** . وتكلم عن **أونامونو** خاصة في كتابه **« عقائد المفكرين في القرن العشرين »** وإن جاء حديثه عنه موجزاً ، ثم تحدث عن الكاتب البلنسي المعروف **« بلاسكو أبانيز »** بمناسبة وفاته ، وذلك في كتابه **« ساعات بين الكتب »** وقد نشر المقال قبل ذلك في **« البلاغ »** على ما أذكر . ثم احتشد **العقاد** وأخرج كتاباً كاملاً عن **خوان رامون خمينث « شاعر أندلسي وجائزة عالمية »** . وقد ترجمنا إلى الإسبانية فصولا من كتب العقاد هذه ، ولها علاقة بإسبانيا ، وجعلناها ملحقاً للرسالة .



★ الإمام محمد عبده ★ ★ د. الطاهر أحمد مكي ★

لمَ هذا التشابه إذن بين العقاد وأونامونو؟

الجواب عسير ، ربما كانت كل فصول الرسالة محاولة لهذه الإجابة . لكن لا بأس من إشارة سريعة في بضع كلمات تقول : **إن ظروف العصر والبيئة والحياة الشخصية والقراءات المتشابهة في الفكر الإنساني إلى جانب توارد الخواطر كل هذا من شأنه أن يكون وراء هذا التشابه في النتاج الأدبي والفكري لكليهما .**

جاءت الرسالة في أربعة أبواب عدا مقدمتها ومدخلها وخاتمتها وملاحقها ومراجعها .

مصر وإسبانيا

تناولت المقدمة ظروف اختياري للموضوع والصعوبات التي طرحها والمراجع التي اعتمدت عليها ومنهجي في الرسالة ، **وعلاقتي بالعقاد** وتلمذتي له .

وجاء المدخل ليبين علاقة الموضوع بالأدب المقارن . **أما الباب الأول** فجاء حديثاً ضافياً عن الحياة السياسية والاجتماعية والأدبية في كل من مصر وإسبانيا من ١٨٥٠ ـ ١٩٥٠ م ، تقريباً مركزاً فحسب على نقاط الالتقاء والتشابه بين البلدين . وارتأيت أن هذا العصر هو عصر تغيير مستمر ، لأن الأحداث فيه تتلاحق بينما مراجعة هذه الأحداث لا تتلاحق بالسرعة نفسها ، عصر قلق واضطراب ، ما بين ماض عتيق ومستقبل مريب . لقد هوجمت إسبانيا ومصر من **نابليون** فاستيقظ الوعي القومي فيهما ، وكلا البلدين استطاع أن يتخلص من ذلك الاستعمار .

لقد طرقت إسبانيا ومصر أبواب هذا القرن بميراث ثقيل من التخلف والانحطاط ، وليس بغريب أن يقول البعض معرضاً بإسبانيا : **إن إفريقيا تبدأ من جبال البرانس .**

تتابعت الحوادث لتقع مصر في قبضة الاحتلال الإنجليزي ، وتفقد إسبانيا مستعمراتها في أمريكا اللاتينية وبخاصة **كوبا** ، إنها حرب في الوسع مقارنتها بحرب **عرابي** للإنجليز في **معركة التل الكبير** . وكان لهذه الواقعة رد فعل لدى المفكرين الإسبان والمصريين نستطيع أن نذكر **الأفغاني ومحمد عبده والنديم والبارودي** وآخرين ، وفي إسبانيا جيل ١٨٩٨ م ، وعلى رأسه **أونامونو** .

نشبت **الحرب العالمية الأولى** ولفت العالم كله بين طيات حنادسها ، ثم وقعت مصر وإسبانيا في قبضة الدكتاتورية : **إسماعيل صدقي وبريمو دي ريبيرا** . ثم نشبت الحرب الأهلية الإسبانية ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ م ، وذاقت فيها إسبانيا كل صنوف الهوان والدمار ، ثم الحرب العالمية الثانية ومعركة ١٩٤٨ م ، وهزيمة العرب أمام إسرائيل . واعتلى الجنرال فرنكو أريكة الحكم في إسبانيا أربعين سنة حاكماً مطلقاً ، وفي ١٩٥٢ م ، قامت الثورة في مصر وكانت دكتاتورية عبد الناصر ـ ولم تعرف مصر نظيراً لمساوئها في العصر الحديث ـ قريبة الشبه بدكتاتورية فرنكو .

وحدث فراغ روحي ، وخواء نفسي ،

وبلبلة مما أشاع التردد والحيرة لدى المفكرين وأصحاب الرأي. **حاولت مصر وإسبانيا أن ترى أين هما وإلى أين تتجهان.. هل ربط مصر بالخلافة العثمانية هو الطريق الأقوم، وكذلك ربط إسبانيا بأوروبا؟ أسفرت الحيرة عن أن الطريق الصحيح هو مصر للمصريين وكذلك إسبانيا للإسبان، دون أن ينفصلا عن الوطن العربي وأميريكا اللاتينية**. وكان **جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده** في مصر، **ودونو سوكورتيس وبالمس** في إسبانيا موجهي الوعي القومي في البلدين، وأيقظا الفكر العقلي المستند على التراث، وهؤلاء الأربعة في حاجة إلى دراسة مقارنة مستوعبة فثمة مشابه كثيرة وقعنا على بعضها، لكن ليس هذا هو المجال. وكان **العقاد** معجباً **بالأفغاني ومحمد عبده** وبخاصة الأخير، وكذلك **أونامونو** ارتبط بمواطنيه ارتباطاً وثيقاً، وأخذا عنهما الاتجاه العقلي، ومن عجب أنهما وقفا على أفكارهما في ميعة الصبا والشباب.

وقد تفتحت عيون مصر وإسبانيا على الثقافة الأوروبية الإنجليزية والألمانية والإيطالية حتى الروسية. وترددت أسماء **هيجل، ليوباردي، نيتشه، بلزاك** وآخرين لدى كتّاب العصر الحديث وبخاصة **العقاد وأونامونو**. ونستطيع أن نؤكد أن الفكر الألماني كان شديد التأثير في صاحبينا.

حاول كل من **العقاد وأونامونو** إلقاء الضوء على الشعراء والكتّاب المصريين والإسبان، ومعالجة قضايا الثقافة القومية واللسان القومي.

وجاء جيل ٩٨ م، في إسبانيا وهو شديد الشبه بجيل **العقاد والمازني وشكري** استقوا جميعاً من نبع واحد هو الفكر الألماني والثقافة الإنجليزية ورغبوا إلى حد ما عن الأدب الفرنسي، نلمح هذا واضحاً لدى **العقاد وأونامونو**.

ولما لدى هذا الجيل في البلدين إحساس عارم بقيمة الأدب ووظيفته وكرامة الأديب بين الكرامات الإنسانية.

ومع النهضة الأدبية والنقدية اتجه البعض إلى نسبة الريادة إلى **خليل مطران** في مصر، **وروبن داريو ـ شاعر نيكاراجوا الأكبر ـ** في إسبانيا، والحق أنهما شاعران كبيران لكنهما غير رائدين للجيل التالي بعدهما، وليس هذا أوان مناقشة هذه القضية.

وفي سنة ١٩٢٧ م، قام اتجاه جديد في الشعر سمي في إسبانيا جيل ٢٧ م، وفي مصر بجماعة **أبوللو**، وإن كانت هذه الجماعة جعلت من سنة ١٩٣٢ م، مولداً رسمياً لها، إلا أن سنة ٢٧ م، هي نقطة انطلاقها ولأستاذنا **الدكتور هيكل** بحث جيد حول هذه المسألة. **هذان الاتجاهان بينهما مشابه أيضاً تحتاج إلى استيعاب دقيق ربما ينهض به بعض الباحثين.**

في مثل هذه الظروف المتقاربة نشأ **العقاد وأونامونو**، وقد راضا الظروف كما راضتهما، وثارا عليها، ولعبا دوراً كبيراً في تطويعها والتغلب عليها لكنها تركت أخاديد عميقة في نتاج كل منهما.

العقاد.. وأونامونو

وفي الباب الثاني تطرق الحديث إلى حياة **العقاد وأونامونو** مركزاً كذلك على أوجه الشبه بينهما، وقد رأينا أنهما ولدا في **أقصى مصر** وإسبانيا **أسوان وبلباو** مدينتين تجاريتين، تضاريسهما متقاربة، إلا في الحرارة جبال باذخة، وجرانيت والنيل والبحر، وهما من أسرتين متقاربتين مات العائل أوان الصبا ريان، وكان **عباس وميجيل** طلعة، غريبي أطوار الطفولة، ولدا زمن **حرب الدراويش والحرب الكارلية** وتركت فيهما أخاديد لا تمحى، إنهما طفلان متفردان عن أقرانهما، اهتماماً مبكراً بالقراءة والطير والطبيعة، يرفض **العقاد** أن يلبس البنطلون القصير وأن يسمى **عباس حلمي**، ويحدث **ميجيل** صوتاً نشازاً في جوقة التراتيل الدينية، وحين يؤنبه المعلم يجيبه في هدوء: **لو لم أحدث هذا لما فطن أحد إلى وجودي**. إنه هم طاغ استبد بهما: نفورهما من التبويب والحصر والتشابه. رجلان من ذوي المزاج العصبي يشغلهما الشعر وقضايا الدين، شديدا الكبرياء **صاحبا رأي جريء في التجديد الأدبي وتغيير الذوق العام**، وليس ببعيد عن الصواب أن نطلق عليهما لقب «**المصارع**» في كل المجالات، أو «**العقاب الجليل**» ولهما قصائد عن هذا الطائر، لكنه المصارع الإنسان، الذي تكربه هموم الحياة وأوجالها، ولا تسد قوته وجبروته منافذ العطف والرحمة. كلاهما يمقت الشيوعية، وإن كان **أونامونو** قد آمن بها في مطلع حياته، إلا أنه ما لبث أن انقلب عليها.

ولأنهما مجبولان على الاعتداد بالذات وعلى الجالدة حاربا الدكتاتورية.. **وللعقاد** مواقف مشهودة يعرفها القارئ العربي، وسيق بسبب بعضها إلى السجن، وتجرع **أونامونو** غصص النفي أكثر من مرة لظروف مشابهة، حارب الحكومة الطاغية وبايع الجمهورية في شرفة

بين العقاد وأونامونو

جامعة شلمنقة، وسب علناً القائد العسكري **ميان أستراي في حضوره لكن أونامونو** هلك بعدها بأيام.

كلاهما من ذوي الثقافة الواسعة، وقلة قليلة من الرجال طرقوا أبواب القرن العشرين الميلادي بمثل محصولها الثقافي. عالجا معظم فروع المعرفة معالجة الأساتذة. وهما من الشعراء المفكرين، ويريان أن الشعر هو واجهتهما الأولى، وبها يطلان على عالم الفكر والوجدان. ومن عجب أن ملامحهما أضحت متقاربة في زمن الكهولة والشيخوخة، وقد لفت نظري إلى هذه الملاحظة **أستاذي الدكتور أحمد هيكل**. إنهما عملاقان منحوتان من جرانيت بلديهما.

وفي الباب الثالث عالجت مفهوم الشعر لديهما، وارتأيت أن نقاط الالتقاء بينهما كثيرة، يفهمان الشعر بطريقة واحدة تقريباً، ويريان أن وظيفته هي تعميق الحياة، وأن الشعر تعبير عن صاحبه وعن بيئته، ويرفضان الكذب وزيف المشاعر والتقوقع، والبرج العاجي، يريان أن الشعر لا بد أن يتغلغل إلى أعماق الناس، وأن يعبِّر عنهم بصدق إحساس وإخلاص عبارة، **وأن المقلد لا مكان له في ديوان الشعر الصحيح، وأن الشاعر الذي يقيد نفسه بالحلى اللفظية هو بهلوان ومهرج، وأن ميزة الشاعر الكبير أنه يفكر حين يحس ويحس حين يفكر** وقد نعى كلاهما على الشعر الخالي من الفكر في لهجة حادة، وأن الشعر لا موضوع له، إنما موضوعه هو الحياة برمتها، وأن يستلهم الشاعر موضوعاته من صميم البيئة ومن فئات الحياة التي حوله، وفي كروان **العقاد**، وعابر سبيل، وفي موضوعات **أونامونو** البيئية، ومناظر قشتالة شواهد ذلك. يرفضان أن يوضعا تحت اسم أية مدرسة نقدية، لأنهما خارج هذا التصنيف ولأنهما يفيدان من كل الاتجاهات. يرفضان الرموز المغلقة الغامضة، يفضلان الشعر على سائر صنوف الأدب، يريان التجديد لازماً وحيوياً للأدب والشعر، ويؤيد **أونامونو** الشعر الحر في لغته ويرفضه صادقاً **العقاد** نظراً لطبيعة اللغة العربية التي ترفض مثل هذا القول.

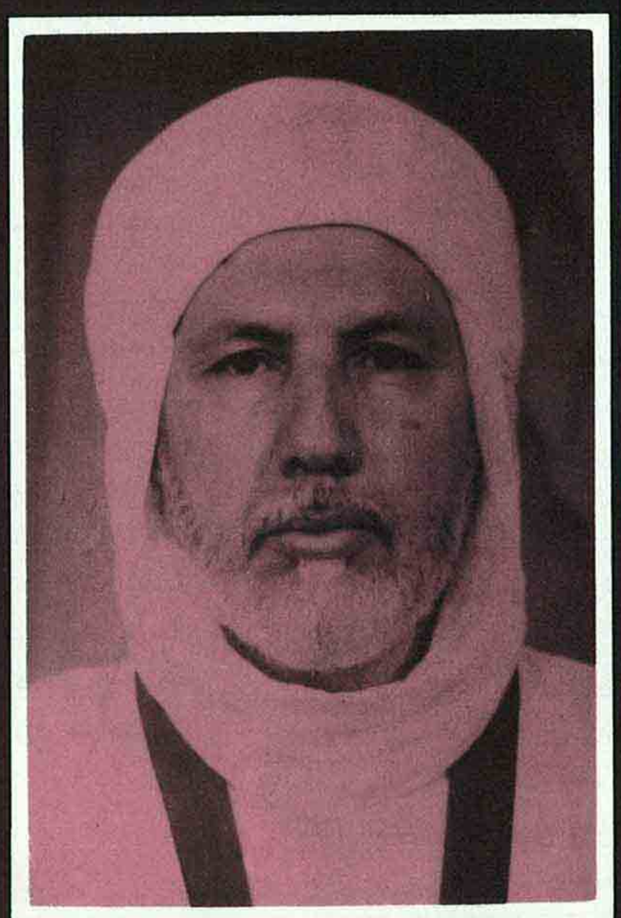
وفي الباب الرابع والأخير عالجنا فنهما الشعري **ورأينا أنهما شاعران قبل كل شيء، وفيهما أصالة في الإحساس والتعبير، وأن شعرهما أقرب إلى الجلال منه إلى الجمال، ومرآة صافية وصادقة لحياتهما وحياة أمتهما**، ولا بد لقارئ هذا الشعر أن يتسلح بأدوات كثيرة قبل أن يلج عالمه، وأن يبذل جهداً يوازي جهد الشاعر أو يقاربه. لأن شعرهما ليس من طراز شعر **البهاء زهير، ورامي، وناجي** وإخوان هذا الطراز في مصر، وليس من طراز شعر **مانويل ماتشادو، وخوان رامون خمينث، وبيا سبيسا** في إسبانيا. إن صاحبينا من **الشعراء المفكرين**. وقد أخرجا عشرة دواوين، تسعة في حياتهما والعاشر بعد رحيلهما. عالج **العقاد** الشعر ونشره منذ صباه، أما **أونامونو** فقد نشر ديوانه الأول سنة ١٩٠٧م، وهو في الثالثة والأربعين، ونعتقد أنه كان ينظم الشعر وما كان ينشره قبل ذلك التاريخ، وقد ظلا يغردان إلى آخر لحظة في حياتهما، وكانا يشفعان دواوينهما بمقدمات ضافية تعالج مفهوم الشعر ونقده. وفي دواوينهما الأولى نلمح ترجمات شعرية لشعراء آخرين. وفي شعرهما حزن كثير مشفوع بالتحدي والمناجزة وأحياناً بالقنوط اليابس. وقد عالجا موضوعات كثيرة متشابهة ويحتل مشهد التأملات مساحة واسعة في شعرهما. يتحدثان عن الطبيعة حديث المحب الصوفي المستغرق، ويطلان على عالم الموت، ويكفي أن تقرأ هذه العناوين لدى **العقاد «أحلام الموتى، كأس الموت»** ولدى **أونامونو «الموت، في موت ولدي، عند مقابر قشتالية»**. ثم توقف هذا الباب عند الهجمات التي تناولت **العقاد وأونامونو** وعند الآراء المنصفة، ومن عجب أنهما تعرضا لهجوم مشابه استخدمت فيه الأسلحة ذاتها. ثم تحدثت عن بعض الموضوعات المتشابهة عندهما وطريقة المعالجة، توقفت عند حديثهما عن **القمر والشمس** ووجوه التشابه والخلاف لأن **أونامونو** يخلع على الشمس بعض المعاني المسيحية التي يرفضها الإسلام. ثم توقفت عند رثائهما للكلب وكيف أنهما خلعا على الكلب من السمات والأحزان عليه ما جعلنا نتعاطف معهما تعاطفاً صادقاً، ثم جاء الحديث عن التأملات في شعرهما، وكذلك الحديث عن عُقاب **العقاد وأونامونو** وكيف أنه رمز شفاف لهذين العملاقين، وختم الباب بالكلام عن الموت، ولم أغفل أبداً ذكر الشواهد مترجمة من شعر **العقاد**.

ثم جاءت الخاتمة مركزة ومشيرة إلى أهم النتائج والملاحظات، ووضعت ملحقاً للرسالة ضمنته اثنتين وعشرين قصيدة **للعقاد** مترجمة إلى الإسبانية وبجوارها الأصل العربي، وكذلك بعض فصول **العقاد** النثرية التي تتحدث عن إسبانيا وثقافتها.

تلك هي الخطوط العامة لهذه الرسالة التي حاولت أن تربط بين إسبانيا والعرب من خلال أديبين كبيرين، وقد جاءت الرسالة في حوالي ٦٠٠ صفحة.

شاعر الجزائر:
محمد العيد خليفة

بقلم: وليد قنباز



★ محمد العيد خليفة ★

كثير من عشاق الأدب العربي ودارسيه يعرفون شذرات عن أدب المغرب العربي بعامة، والقطر الجزائري بخاصة، على الرغم من أن هناك أدباً عربياً أصيلاً نجم عن هذه الأرض العربية التي حاول الاستعمار طمس معالمها، ولغتها، وأصالتها، وجذورها القومية.. فيه الإشراق، وفيه المعاناة، وفيه الصدق، وفيه الوجه العربي الأصيل بكل جزئياته ودقائقه.

ولعل الشاعر الجزائري المرحوم **محمد العيد خليفة** يقف في مقدمة ذلك جميعه، فشعره صورة واضحة مجسمة عن الجزائر وآلامها وآمالها، وعن العالم العربي ومآسيه وأفراحه، وعن العالم الإسلامي وآفاقه وأبعاده، وعن دنيا الإنسانية بكوارثها وآمادها.





محمد العيد خليفة

لمحة عن حياته

فلقد ولد شاعرنا في السابع والعشرين من جمادى الأولى عام (١٣٢٣ هـ) ـ الموافق ٢٨ آب (أغسطس) عام (١٩٠٤ م) في مدينة **«عين البيضاء»**، إحدى مدن الشرق الجزائري، ونهل ما استطاع من العلم في إطار التعليم الحر، ثم تابع تعليمه في مساجد **مدينة بسكرة** ومدارسها الحرة إلى أن تاقت نفسه إلى متابعة التعليم العربي العالي، فالتحق **بجامع الزيتونة** في تونس محاولا الجمع بين الثقافات قديمها وحديثها، والحياة الدينية التي نشأ عليها، وحياة العاصمة التونسية المتطورة ساعياً نحو هدفه السلَفي الإصلاحي.

وعاد إلى الجزائر، واستقر في بسكرة، وشرع يدرس في إطار التعليم الحر، وينشر قصائده السياسية والاجتماعية في صحف الجزائر العربية من مثل: صدى الصحراء ـ المنتقد ـ الشهاب ـ الإصلاح.. وغيرها.

وفي عام (١٣٤٦ هـ ـ ١٩٢٧ م) اختاره الإمام الرئيس **عبد الحميد بن باديس** زعيم النهضة الجزائرية للتدريس في **مدرسة الشبيبة الإسلامية الحرة في الجزائر** العاصمة، ثم ما لبث أن أسندت إليه إدارة المدرسة بكاملها، بالإضافة إلى عضويته في **جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تكونت عام (١٣٤٩ هـ ـ ١٩٣١ م)**، التي أخذت على عاتقها قلب الأوضاع السياسية رأساً على عقب بحركة سلفية تمحو ما علق بالدين الإسلامي من بدع وطرق صوفية، وتعود به إلى بساطته وصفائه ونقائه، وتتخذ اللغة العربية مناراً هادياً في ذلك كله. وأنيط بمحمد العيد التوجيه والكلام في الاحتفالات العامة التي تعقب الاجتماعات الدورية والاستثنائية. وكان عند حسن ظن ابن باديس ورفاقه الميامين.

مرحلة الكفاح

ومع قيام الحرب الكونية الثانية، عمدت فرنسا إلى التضييق على الأحرار في مستعمراتها، وكان من جملة ذلك صدور أمر ظالم بمنع إقامة محمد العيد في العاصمة، فغادرها آسفاً مرغماً، واستقر في مدينة بسكرة مدة، ثم دعي إلى بلدة **باتنة (عاصمة الأوراس)** للإشراف على **مدرسة التربية والتعليم التابعة لجمعية العلماء**، ثم اتجه إلى بلدة **عين مليلة** في عام (١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٧ م)، لإدارة **مدرسة العرفان**... وخلال هذه الفترات جميعاً لم يتوقف شعره، ولم تخب أضواؤه، ولم يبتعد عن مذهبه وهدفه.

إلى أن كان عام (١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤ م) حين اندلعت **الثورة الجزائرية على الاستعمار الفرنسي الغاصب**. وفي اليوم الثاني للثورة قبض على محمد العيد، وأودع السجن في عين مليلة، ثم نقل إلى **سجن الكدية في قسنطينة**، ثم خضع لمحاكمة واستجواب قاسيين، وطالب المدعي العام بإعدامه لاتصاله بالثوار، ولدوره في نفخ النار في الرماد، ولأنه على علم مسبق بكل ما حدث، وأخيراً صدر الحكم بفرض الإقامة الجبرية عليه في بسكرة معزولا عن المجتمع وتحت رقابة مشددة وحراسة قوية فلا يَزور ولا يُزار.

الاستقلال.. والتكريم

واستمر على هذه المحنة القاسية حتى انتصار الثورة الجزائرية في عام (١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م)، وكان عيد النصر، عيد الحرية، عيد الاستقلال الذي انتظره الشعب مائة واثنين وثلاثين عاماً، فانطلق الجزائريون من كل حدب وصوب هازجين بأغاني النصر والفوز، وخرج الشاعر الأسير من إقامته الإجبارية محمولا على الأعناق وهو يبكي بدموع الفرح أملاً تحقق وهدفاً توصل الشعب الثائر إليه، وغنى محمد العيد للانتصار أحلى الأغاني والأناشيد وطوق عنق الثورة الجزائرية بأغلى القلائد والقصائد.

وَشَعَرَ محمد العيد بعد هذه الرحلة الرهيبة، وهذه الأحداث العارمة أنه قد أدى دوره خير أداء، وأنه آنَ للفارس أنْ يترجل... فآثر الابتعاد عن الأضواء، وانزوى في بيته في بسكرة يعاني من أمراض بدأت تنخر في جسده الضعيف.. ولكن حكومة الجزائر وأدباءها وقفوا من هذا الشاعر والثائر الكبير مواقف رائعة، ففي عام (١٣٨٦ هـ ـ ١٩٦٦ م) قرر **اتحاد الكتّاب الجزائريين** بالإجماع منح جائزته الأولى مناصفة بين أديبين جزائريين الأول يكتب بالعربية، والثاني يكتب بالفرنسية، وكان **محمد العيد** عن أصحاب الحرف العربي، **ومحمد ديب** عن أصحاب الحرف الفرنسي، وقدمت له الحكومة الجزائرية راتباً تقاعدياً ضخماً مدى الحياة.. وقدمت له بلدية باتنة بيتاً ليمضي الصيف بين حناياه. **ثم قامت وزارة التربية الوطنية بطبع ديوانه الضخم مفتتحة به منشوراتها العربية، وقررت مع وزارة التعليم العالي تدريس شعره في شهادة الدراسة الثانوية، وشهادة الثقافة العامة، وفي كلية الآداب ـ قسم اللغة العربية..** ولقد توجت الحكومة تقديرها لمحمد العيد فأقامت في الجزائر العاصمة

حفلاً ضخماً في عام (١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م) لتكريمه على المستويين الرسمي والشعبي، وكان حفلاً يليق بشاعر حر مخلص نذر حياته وشعره في سبيل شعبه ووطنه وقضيتها.

الرحيل

وعاد محمد العيد ثانية إلى منزله ودموع الفرح والحياء تملأ عينيه، وخلد من جديد إلى عزلة قاسية وتبتل عميق إلى أن كان يوم الثلاثاء السادس من رمضان المبارك عام (١٣٩٩ هـ) الموافق ٣١ تموز (يوليو) عام (١٩٧٩ م) حين فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها راضية مرضية.. وقد نعته إلى العالمين العربي والإسلامي كل من الصحافة والتلفزة والإذاعة، واتحاد الكتّاب العرب، ووزارات التربية الوطنية والتعليم العالي والأوقاف في الجزائر، وكان يوم تشييعه يوماً مشهوداً، وضمه تراب بسكرة حانياً، في حين كانت كلمات الأدباء وقصائد الشعراء الجزائريين كافة تتصاعد في الأجواء مودعة ومشيدة ومحيية.

وأقيم بعد عام من رحيله يوم ذكرى في مدينة بسكرة اشترك في إحيائه عدد من أدباء الجزائر وأدباء عرب عرفوا الشاعر أو قرأوا له. وفي عام (١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨١ م) أقام اتحاد الكتّاب العرب الجزائريين أسبوع ذكرى لشاعر الجزائر محمد العيد أسهم فيه عدد كبير من الشعراء والباحثين والدارسين العرب.. وقد أظهروا جميعاً أنه شاعر من طراز فريد، شاعر عربي أصيل لغة وموسيقى.. وهو إلى هذا أبرز سجل لأحداث الجزائر سياسياً واجتماعياً خلال أربعين عاماً ونيف هي من أحفل الفترات التي مرت بها البلاد، وهو من طرف آخر أول من نهض بالشعر العربي في الجزائر من كبوته، وخلصه من سفاسف عصر الانحدار، واتجه به إلى الشعب والتعبير عن قضاياه وأهدافه وآلامه وآماله، وهو من طرف ثالث وأخير من أكبر المدافعين عن اللغة العربية وأصالتها وإمكاناتها، ومن أبرز المنافحين عن الشعر العربي الأصيل بفصحاه النقية وموسيقاه الملونة العريقة.. ومن قصائده:

يسائلني عن نسبتي كلُّ وافدٍ
عليَّ، وعن شعري، وعن كُنْهِ مطلبي
فقلتُ لهم: أرضُ العروبةِ موطني
وديني هو الإسلامُ، والقدوةُ النَّبي
ومن مَطْلبي جمعُ العروبة كلّها
على وحدةٍ عظمى بشرقٍ ومغربِ
وتهيئةُ الجيل الجديد لفوزه
من الدِّين والدُّنيا بأشرفِ مأربِ
ونشرُ الثقافاتِ السليمةِ حرَّةً
وكسبُ المعالي، لا لجاهٍ ومنصبِ
رضعتُ قريضي في لِبانِ أُمُومَتي
ومن منهلِ الأحرارِ واصلتُ مشربي
تسامحْتُ، والإسلامُ دينُ تسامحٍ
وآمنتُ بالقرآنِ دونَ تعصُّبِ
إذا كنتَ في ديني، وفي موطني أخاً
فلستُ أبالي أن تُخالفَ مذهبي

ويتوافد عليه الناس، ويسأله بعضهم: من قومك؟. فقال: قومي بنو الإسلام. ثم ارتجل هذه الأبيات السامية:

يا حاسباً أنّي أُمَيِّزُ مُسلماً
عن مسلمٍ، أخطأتَ في الحُسبانِ
إنْ تَعزُني.. فإلى ذويَّ حقيقةً
وهُمُ الأُلَى إيمانُهُمْ إيماني
قومي بنو الإسلام من حُمْرٍ، ومنْ
صُفْرٍ، ومن بيضٍ، ومنْ سودانِ

ومن الطبيعي أن مجالات محمد العيد واسعة وخصبة، وسأحاول في قابل إن شاء الله أن ألقي الضوء على بعضها من خلال سطور **مجلة «الفيصل»** لعل كثيراً من القرّاء يتعرفون إلى شخصية فذة، وشاعرية ناضجة، ووطنية صادقة، وعروبة أصيلة، وإسلام سام، وإنسانية رحبة، جعلت الألقاب والنعوت تُراق على أعتابه، فهو مرة شاعر الشباب، وثانية شاعر الجزائر، وثالثة أمير شعراء الجزائر، ورابعة رائد الشعر الحديث في الجزائر، وخامسة شاعر الشمال الإفريقي، وسادسة شاعر العروبة والإسلام... وهو بين هذا وذاك شاعر الجزائر غير مدافع، ومن أبرز شعراء الشمال الإفريقي العربي، وواحد من الشعراءالعرب المحدثين الذين أحيوا دولة الشعر بعد شوقي وحافظ ومطران.



شرعت تهدم عش الذكريات .. فكانت هذه القصيدة:

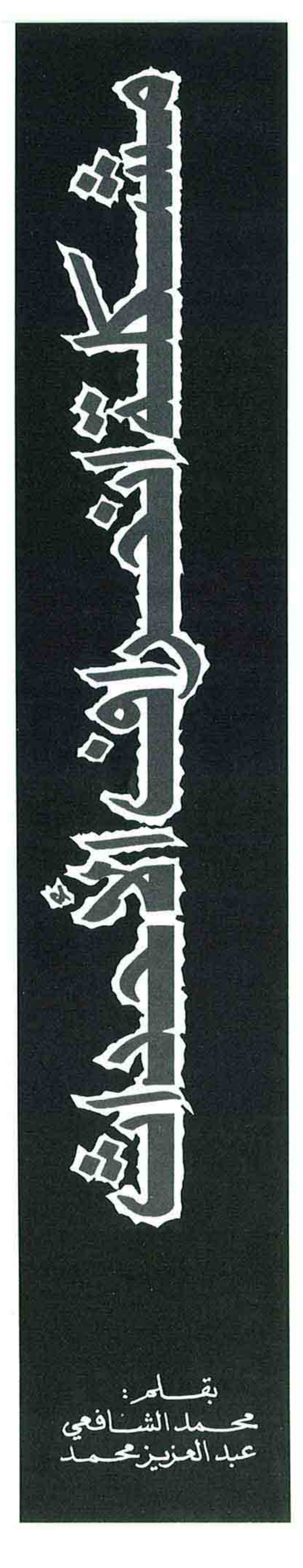
ترنيمة الأمل على جدران الأيام

شعر: يس الفيل

لا تهدميه.. فعمري ساكن فيه
وفرحة القلب تحيا في نواحيه
لا تهدميه.. فأيام الهوى عبرت
بنا إليه، وغنت في لياليه
إني أحس به روحاً تعاتبنا
وتستجير بنا مما يعانيه
وتستحث خطانا.. أن تعود له
بما تبقى لنا من غربة التيه
وتستميت على ذكرى، وأغنية
تخضر فيه، وإن ماتت على فيه
حسبي وحسبك. أنا حين يلحقنا
ما يلحق الناس من ظلم وتشويه
لا تهدميه.. فعمري كله نغم
من ذا سواه.. إذا ما شئت يحكيه؟
هذي الحجارة كم حنت لموعدنا
وكم أحاطت بمهد الحب تحميه
وكم تراءت على مرآتها صور
للحسن، يخطر في أبهى معانيه
هذي الحجارة، لو جاد المساء لنا
بالقرب - في وله - قامت تحييه
وإن ترنح فوق الموج زورقنا
باتت على الشاطئ المهجور تبكيه
كانت تغار علينا، يستبد بها
ما لم نكن في زحام الشوق ندريه
فكيف تهدم عمرينا يد نسفت
شراعنا، ورمت للحوت من فيه؟
إني لأحسبه في الحب ثالثنا
فكيف سهمك يرديني ويرديه؟

* * *

لا تهدميه.. فقد عشنا به، ونمت
فيه المحبة، واخضرت صخاريه
ولم يكن والهوى يجتاح عالمنا
- إلا الصفاء وإلا الطهر - يغريه
كنا، وكانت زهور الحب في يدنا
تنمو، ونحن بها نختال في تيه
هنا جلسنا، هنا كانت أريكتنا
تذوب شوقاً لما كنا نغنيه
هنا، هنا، وهنا.. يا ألف أغنية
قولوا لهادم هذا البيت يبقيه



مفهوم جناح الأحداث Juvenil delinquency

اعتاد الباحثون في السلوك الإجرامي عامة ، عند تناولهم ظاهرة الجريمة ، باعتبارها إحدى المشكلات الاجتماعية بالبحث والدراسة ، الالتزام بالتعريف القانوني في دولة ما ، وما ينص عليه من قواعد معينة للسلوك ومقابلة أي مخالفة لهذه القواعد بجزاء جنائي .

ولم يلق هذا الاتجاه قبول علماء الاجتماع عند تحديدهم لمفهوم جناح الأحداث ، وذلك للاعتقاد السائد بينهم أن القانون الجنائي لم يجرّم كل أنماط السلوك المضاد للمجتمع ، كما أن ليس كل خرق للقواعد القانونية التي ينص عليها القانون الجنائي يعتبر في حقيقته مضاداً للمجتمع . ولقد انتهى فريق منهم إلى تعريف جناح الأحداث بأنه **أي سلوك لا اجتماعي أو ضار بالمجتمع** ، بحيث يكون مفهوم الجناح أكثر شمولا واتساعاً من المفهوم القانوني ، فلا يقتصر على انتهاك القواعد القانونية بل يمتد ليشمل جميع ضروب السلوك المختلف . **لكنهم لم يوضحوا لنا ما هو السلوك اللاجتماعي ، وما هو الفعل الضار بالمجتمع ؟ ..**

وبذلك أصبح التعريف الاجتماعي لانحراف الأحداث ، يعيبه أيضاً **عدم الدقة والشمول** ، مما دفع ببعض علماء النفس إلى وضع تعريف آخر لجناح الأحداث **مؤداه أن الجناح خلل أساسي في بناء الشخصية ، يحول دون توافق الجانح مع مجتمعه** ، وأن أبعاد هذا الخلل وخصائصه لا ترتبط بالقدرة بما يستوجبه هذا الفعل الجانح من عقاب وما يأخذه من شكل اجتماعي . وهذا التعريف ما هو إلا محاولة لتفسير الجناح في ظل نظرية معينة ، والاختلاف واضح بين التعريف والتفسير[١] .

من هذا نرى أن تعريف جناح الأحداث ، مسألة بالغة التعقيد ، حيث تختلف حوله آراء العلماء ، فيحاول كل منهم أن يعرّفه من وجهة نظره الخاصة . وما زالت دوائر البحث لم تستقر على تعريف محدد ودقيق لهذه المشكلة[٢] . إلا أنه يبدو من خلال هذا الاختلاف أن هناك اتجاهاً يكاد يجمع بين وجهات النظر المتعددة ، ويوفق فيما بينها ويتلخص فيما يلي :

١ ــ لا يمكن اعتبار سلوك الحدث ، سلوكاً إجرامياً أو انحرافياً ما لم يجرّمه المشرع مهما كان ضرره بالمجتمع .

٢ ــ هناك سلوك صادر عن الحدث ، لا يجرمه القانون ولكن يعتبر من وجهة نظر المجتمع سلوكاً ضاراً بالمجتمع أو غير مستحب .

بذلك أصبح مفهوم جناح الأحداث غير قاصر على ما جرّمه القانون من أفعال معينة ، لو أتاها الحدث في سن معينة يعد جانحاً . . بل تعداه أيضاً إلى كل سلوك يصدر منه يعتبر ضاراً بالمجتمع أو يكاد يعرضه لخرق القواعد القانونية .

هذا وقد اتجه الرأي العام إلى معاملة الأحداث معاملة خاصة لاعتبارات معينة ، منها عدم النضج والقدرة على التمييز والإدراك أو لتعرضهم لسوء التكيف نتيجة ظروف خارجة عن إرادتهم لا يملكون إلا قليلاً من السيطرة عليها ولا يستطيعون التحكم فيها كلية مما يستوجب اتخاذ تدابير وقائية أو علاجية حيالهم .

سن الحداثة

نصّت القوانين الجنائية في البلاد المختلفة ، على حد أدنى وحد أقصى لسن الحدث ، دونه لا يخضع لأحكام القانون الجنائي . ويرتبط الحد الأدنى بمفهوم المسؤولية الجنائية ، **وعامة لا يقل الحد الأدنى لسن الحدث عن السابعة أو الثامنة** حيث تسود السوابق القانونية الجنائية . بينما يختلف الحد الأقصى لسن الحدث من دولة لأخرى باختلاف القوانين الجنائية المطبقة في كل منها[٣] ، **على أن لا يزيد هذا الحد على الحادية والعشرين ، دونها يعامل الأفراد كأحداث .**

وقد تضع بعض الدول حداً أقصى فقط لسن الحدث دونه لا يتعرض للمساءلة الجنائية ، وقد تضع بعض الدول الأخرى حداً أدنى وحداً أقصى .



ففي البرازيل والمكسيك وفنزويلا وإيران وتركيا ومصر ، لا يزيد الحد الأقصى لسن الحدث على الثامنة عشرة ، حيث يخضع من تعدّاها لأحكام القانون الجنائي . بينما نجد أن الحد الأقصى لسن الحدث في **السويد وشيلي** هو الحادية والعشرين ، وفي **بولندا والمملكة المتحدة وبوليفيا** لا يزيد على السابعة عشرة . **وفي العراق ولبنان وسورية وجواتيمالا وبورجواي والسلفادور** لا يتعدى الخامسة عشرة ، بينما ينخفض إلى الرابعة عشرة في **هايتي**[٤] .

الحدث الجانح Juvenil delinquent

هو الحدث الذي يأتي فعلاً يخالف قواعد القانون الجنائي في بلده ، وفي حدود السن الذي حدده هذا القانون ويستتبع اتخاذ تدبير بشأنه .

الحدث المشرد

التشرد حالة خطرة تنذر باحتمال إقدام من يوجد فيها على ارتكاب الجرائم ومخالفة قواعد القانون الجنائي . وهذا يعني أن التشرد ليس جريمة في حد ذاته ، وإنما يستوجب من الدولة اتخاذ تدبير وقائي حياله ، يدرأ عنه الوقوع في براثن الجريمة[٥] .

الحدث المعرض للانحراف Pre-delinquent Juvenil

يقرر معهد دراسات الإجرام بلندن ، أن الحدث يعد في طريقه

للانحراف ، إذا لم يصل إلى الحد الأعلى لسن المنحرفين من الأحداث ، ولم يكن قد ارتكب فعلاً ما يعاقب عليه القانون جنائياً . ولكنه يعد لأسباب وجيهة خارجاً على الجماعة ، وأن ينم سلوكه قطعاً على ميوله المنافية للجماعة ، لدرجة يمكن القول معها **باحتمال تحوله إلى مجرم فعلي** إن لم يتدارك أمره في الوقت المناسب باتخاذ بعض الأساليب الوقائية .

كما يُعرِّف المؤتمر الأول للأمم المتحدة المنعقد في جنيف عام ١٩٥٥ م ، الحدث المعرض للانحراف(٦) « بأنه شخص يقل عمره عن سن محددة ، يناظر عادة الحد الأقصى لسن الأحداث الجانحين . **وهو وإن لم يأت فعلاً ما يعتبر جريمة في قوانين بلده ، غير أنه يعتبر لأسباب متعددة مضاداً للمجتمع** Anti-Social أو مبدياً لاتجاهات سلوكية محددة ، مضادة للمجتمع بدرجة أو بصورة يحتمل معها أن يصبح جانحاً جناحاً صريحاً ، إذا لم يخضع لنوع معين من المعاملة الوقائية »(٧) .

تفسير السلوك الجانح

حاول العلماء الذين تصدوا بالبحث والدراسة ، لتفسير جناح الأحداث ، بإرجاعه إلى عامل واحد دون غيره ، كل في نطاق النظرية التي يؤمن بها . **فعلماء النفس يرجعون السلوك الانحرافي للأحداث إلى عوامل نفسية ، وعلماء الاجتماع يفسرونه بأسباب بيئية أو أسرية أو جغرافية** ... إلخ ، كما أننا نجد رجال التخصص الواحد يختلفون فيما بينهم ، وهكذا تتعدد التفسيرات وتختلف . غير أن ما يهمنا في هذا المقام أن نجمل آراء كل طائفة ونعرض لها في إيجاز ، لنلم بالاتجاهات جميعها .

١ ـ مدرسة العوامل البيولوجية الفيزيقية : حاول أنصار هذه المدرسة ، أمثال **لامبروزو ، وتشارلز جورنج ، إيجاد العلاقة بين الخصائص الجسمية والسلوك الانحرافي ، وكذلك بين الوراثة والجريمة .** ومؤدى هذه النظريات ، أن السلوك الإجرامي يورّث كأي من الصفات الأخرى ، كلون العينين ولون الشعر والقصر والطول . كما أن الفرد عندهم يولد ولديه استعداد معين للسلوك ، كما أرجعوا السلوك المنحرف إلى الإصابة ببعض النقائص العقلية كالضعف العقلي(٨) .

٢ ـ مدرسة العوامل الطب ـ نفسية : ترى مدرسة التحليل النفسي أن السلوك الجانح ، ما هو إلا نتيجة اضطرابات نفسية مختلفة ، لا يوجد بينها أي شبه ، سوى أنها جميعاً تفصح عن نفسها في صورة سلوكية وهي مخالفة للقواعد القانونية .

٣ ـ مدرسة العوامل الاجتماعية : وأصحاب هذه النظرية تشعبوا إلى اتجاهات ثلاثة :

أ ـ اتجاه العوامل الجغرافية : ويرجع أنصار هذا الاتجاه ، أسباب الجناح إلى العوامل المناخية كالطقس وطبيعة الأرض ، بحيث يرون أن **معدلات الجريمة تتزايد أو تنقص حسب نوع الطقس .**

ب ـ اتجاه العوامل الأيكولوجية : وأنصار هذا الاتجاه ، يرجعون السلوك الانحرافي إلى العوامل المتعلقة بعلاقات الأفراد ببيئتهم المكانية ، واستجاباتهم المختلفة للأزمات البيئية في المكان الذي يعيشون فيه . ولقد حاول بعض علماء هذه المدرسة تفسير الانحراف بين الأحداث لعوامل التفكك الأسري وأساليب الضبط الاجتماعي والكثافة السكانية والتدهور المادي وكثرة الحراك .

ج ـ اتجاه عوامل التصنيع والتحضر : يفسر أنصار هذه النظريات السلوك الانحرافي لدى الأحداث بأسباب التصنيع والتحضر ، حيث تقل العلاقات الشخصية ويزداد الصراع الطبقي ، ويشعر الفرد بعدم الطمأنينة ويلاحظ ازدياد التفكك الأسري وعدم التجانس الثقافي والاجتماعي . كما حاولت هذه النظريات أن ترجع ارتفاع معدلات الجريمة بين الأحداث إلى الأخذ بظاهرة التصنيع والتحضر .

٤ ـ مدرسة العوامل الاقتصادية : وتتلخص هذه العوامل في محاولة العلماء ، إيجاد علاقة بين الجريمة والدورات الاقتصادية ، **كالكساد والرخاء .**

٥ ـ مدرسة العوامل الأسرية : ومؤدى هذه النظرية أن الاضطرابات الأسرية ينتج عنها انحراف الصغار من الأحداث . إذ إن الأسرة من حيث كونها البيئة التي يتلقى فيها الطفل خبراته الأولى وتربيته وتوجيهه ، ذات أثر بالغ في انحراف الطفل أو تكيفه وسوائه .

٦ ـ عوامل أخرى : انتهى بعض الباحثين إلى أن هناك عوامل أخرى ذات تأثير كبير في ازدياد معدلات الانحراف ، فمنهم من **أقام للمدرسة أهمية كبرى** في نشأة الطفل وتكيفه مع المجتمع بعد الأسرة . فيرى هؤلاء أن **المدرسة قد تكون دافعاً أساسياً لجناح الأحداث** ، فقد تؤدي بالطفل إلى توقف نموه الاجتماعي أو سوء تكيفه مع الآخرين أو تخلفه الدراسي ، وإلى غير ذلك من أسباب مهيئة للانحراف . كما يحاول البعض الآخر أن يرد انحراف الأحداث إلى **عوامل خاصة بوسائل الإعلام والتسلية والمؤسسات الخاصة بشغل أوقات الفراغ . فنشر الجرائم بالتفصيل ، وكذلك عرض الأفلام السينمائية التي تناقش الجنس بصورة فجّة وغير علمية ، وعدم توفر الأندية الاجتماعية والرياضية والبرامج الإذاعية والتليفزيونية التي تتناسب والنمو النفسي للأطفال . كل ذلك قد يؤدي إلى انحراف الأحداث وجناحهم .**

وقد يكون لأحد هذه العوامل الغلبة على ما عداه ، ولكن هذا لا يعني أن نقلل من قيمة هذه العوامل في التأثير على السلوك الإنساني . لذلك لم يعد لنظرية العامل الواحد مكان في العلم الحديث ، حيث انتهت **النظرية التكاملية أو أصحاب الاتجاه التكاملي إلى أن سلوك**

الحدث الجانح ما هو إلا **محصلة عدة عوامل فيزيقية وعقلية وسيكولوجية واجتماعية واقتصادية .**

معالجة مشكلة انحراف الأحداث

تتعدد الأساليب والطرق التي تتبعها الدول في معالجة مشكلة انحراف الأحداث ـ وذلك تبعاً لحجم المشكلة في كل منها ـ ما بين طرق الوقاية من الجناح من جانب ، وأساليب العلاج التي تطبق مع الأحداث الذين جنحوا بالفعل من جانب آخر . ولقد كانت البحوث والدراسات التي أجراها العلماء المهتمون بدراسة السلوك الجانح لدى الأحداث أكبر الأثر في توجيه دور الدولة إزاء هذه المشكلة ووضع الخطط الكفيلة لمواجهتها بحيث أفادت منها دول كثيرة من الناحية التطبيقية .

وأصبح من السائد الآن ، في معظم بلدان العالم ، الاهتمام البالغ ببرامج الوقاية من جناح الأحداث وتشردهم ، وذلك لقلة نفقاتها ، وكذلك لتخلفها عن برامج العلاج التي تطبق على الأحداث الجانحين بالفعل منذ أمد بعيد . فالاقتصار على برامج العلاج لا يقضي على المشكلة من جذورها ، إذ إن الإحصاءات تشير إلى تزايد مستمر في حجم المشكلة وخاصة في الدول الآخذة بنظام التصنيع . كما أن الخدمات التي توفرها الدول لمواطنيها من رعاية صحية وتعليمية وثقافية واجتماعية . . . إلخ ، تسهم بقدر كبير في الوقاية من جناح الأحداث وتشردهم .

وفيما يلي نعرض لبرامج العلاج وطرق الوقاية من هذه المشكلة :

أولا : تدابير العلاج

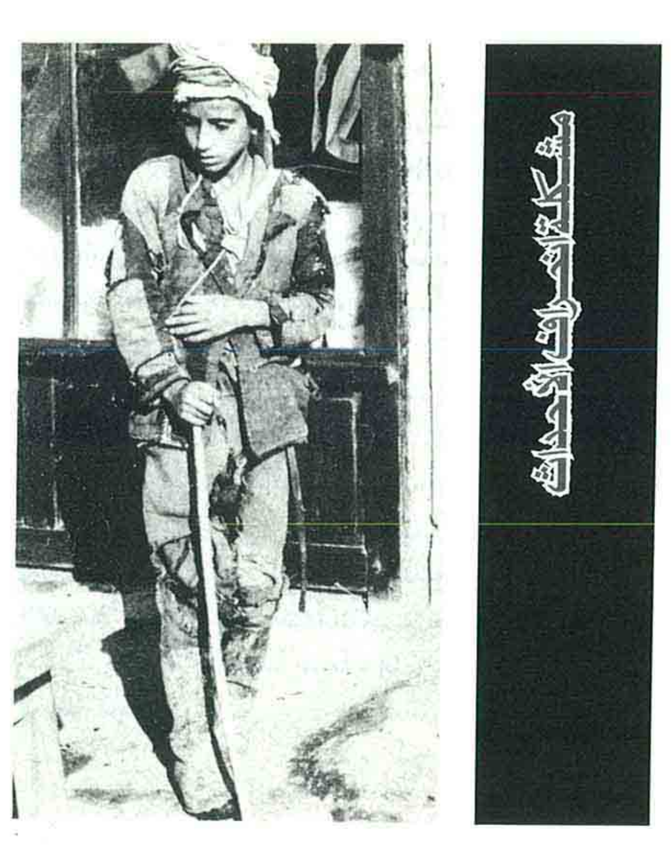
يقتصر تطبيق برامج العلاج على الأحداث المذنبين بالفعل ، وذلك بقصد إعادة تربيتهم وفق الأسس التربوية العلمية ، وإشباع حاجياتهم على أيدي متخصصين مع توفير أوجه الرعاية اللازمة لهم . ويتوقف نجاح تدابير العلاج على دعامتين :

١ ـ ما ينص عليه المشرع من تدابير تتخذ تجاه الأحداث الجانحين وما يطبق حيالهم من إجراءات قانونية .

٢ ـ جهود الهيئات الإدارية التي تقوم بتنفيذ هذه التدابير .

وقد نصت معظم القوانين الجنائية في مختلف أنحاء العالم على الأفعال التي يرتكبها الأحداث وتخالف القانون ، وبمقتضاها يقدم الحدث للمحاكمة . كما نصت التشريعات أيضاً على الإجراءات القانونية الواجب اتباعها معهم بحيث تتناسب وطبيعة هذه الأفعال ، مع مراعاة الظروف والأسباب التي أدت إلى انحرافهم ، وكذلك مدى قدرتهم على التمييز والإدراك[٨] .

وأصبح من المتفق عليه حالياً أن **تشكل محاكم خاصة للأحداث الجانحين والمنتهكين للقواعد القانونية** ، يتولاها قضاة مؤهلون



تأهيلاً خاصاً للتعامل معهم . وقد انتشرت محاكم الأحداث منذ أن أنشئت أول محكمة للأحداث عام ١٨٩٩ م ، **بولاية إلينوي بالولايات المتحدة الأميريكية** ، ومع ذلك فإننا لا نجد مثل هذه المحاكم في بلاد قليلة حيث يحاكم الأحداث أمام المحاكم العادية .

وتتنوع تدابير العلاج على الوجه الآتي :

١ ـ **الملاحظة** Observation : وهي الفترة التي يتولى فيها المختصون دراسة شخصية الحدث وملاحظته ووضع خطة العلاج الملائمة له في المستقبل ، وتقديم تقرير بذلك للمحكمة للاسترشاد به في اختيار التدبير المناسب له[٩] .

وعادة ما يقوم بهذه المهمة فريق يتكون من الأخصائي الاجتماعي والطبيب والأخصائي النفسي والطبيب العقلي وأخصائي التربية ، يتبعون جهات إدارية معينة ، أو المحكمة مباشرة . ويتم ملاحظة الحدث بالطرق التالية[١٠] :

ا ـ الملاحظة في البيئة الطبيعية : حيث يقوم المختصون بإجراء المقابلات مع الأحداث وهم في بيئتهم الطبيعية لعمل بعض الفحوص لهم .

ب ـ الملاحظة البيئية : يقضي الحدث نهاره في مركز الملاحظة ، يعود بعدها لأسرته .

ج ـ الملاحظة في مؤسسات مغلقة : يودع الحدث في مؤسسة مغلقة لفترة زمنية يتم له في خلالها إعداد التقرير المطلوب .

وغالباً ما يخضع الأحداث المنحرفون للملاحظة ، إلا أن ذلك لا يمنع من أن يخضع الأحداث المعرضون للانحراف أيضاً لهذا التدبير .

٢ ـ **الحجز** Detention : ويعني الحجز **وضع الحدث تحت**

الحجز التحفظي قبل التصرف في أمره ، وذلك بأمر الهيئة القضائية المختصة أو الهيئات الإدارية المعنية .

وقد يتم الحجز بتسليم الحدث إلى والديه أو ولي الأمر ، أو في مؤسسات خاصة بالحجز التحفظي على الأحداث . ويتخذ هذا الإجراء إزاء الأحداث المذنبين أو غير المذنبين (المعرضين للانحراف) .

٣ ـ الاختبار القضائي Probation والتدابير المشابهة له :
الاختبار القضائي للأحداث هو تدبير مطبق على الأحداث المذنبين بديلاً عن الإيداع في المؤسسات ، وعليه يبقى الحدث حرًّا طليقاً في بيئته الطبيعية تحت إشراف موجه من مختصين في الخدمة الاجتماعية وفق خطة علاج تقوم على العلاج الشخصي .

وتوجد هناك تدابير أخرى مشابهة للاختبار القضائي ، إلا أنها تفتقر إلى عنصر أو أكثر من عناصره ، وأهم هذه التدابير :

أ ـ البارول Parole : ويستخدم للدلالة على الإفراج المشروط الذي يمنح للحدث على أساس انقضاء حدث قضى فترة من العلاج داخل المؤسسة . وهو يشابه الاختبار القضائي في كونه نوعاً من العلاج في البيئة .

ب ـ الرقابة الاختبارية : وتستخدم لعلاج الأحداث الغير مذنبين (المعرضين للانحراف أو ممن هم في طريقهم للانحراف) وهو يتعلق بالقوانين الخاصة برعاية وحماية الطفولة .

ج ـ التعهد القضائي Recognizance : وهو تعهد يلتزم به الحدث بضمانة ضامن أو بدونه ، يجعل الحدث معرضاً لتنفيذ العقوبة عليه إذا ما أخلّ بشرط من شروط التعهد .

٤ ـ العلاج داخل المؤسسات : كان العلاج داخل المؤسسات أسبق من غيره من التدابير التي تطبق مع الأحداث المذنبين ، والذين تقتضي الضرورة إيداعهم إحدى المؤسسات لتلقي مثل هذا العلاج .

والعلاج داخل المؤسسات إجراء ضروري للتنسيق بين برامج العلاج المختلفة ، حيث يبقى الحدث بالمؤسسة لفترة تتيح للمختصين وضع الخطط اللازمة لإعادة تربيته وتنفيذها . كما تستخدم المؤسسات العقابية أيضاً كنوع من العلاج ، داخل المؤسسات الخاصة بالبالغين على أن يفصل فيما بينهما .

٥ ـ الرعاية اللاحقة After Care : وهو أسلوب تكميلي للعلاج داخل المؤسسات ، حيث يتم التوجيه والإشراف على الحدث الذي انتهت فترة علاجه في مؤسسة ما ، لإعادة توافقه مع المجتمع الخارجي . فالعلاج عملية مستمرة تمتد إلى ما بعد الإفراج عن الحدث من المؤسسة .

ثانياً : طرق الوقاية من جناح الأحداث

تهدف برامج الوقاية إلى مواجهة الأسباب والعوامل المؤدية إلى انحراف الأحداث وتشردهم ، والتي تشير إليها البحوث والدراسات التي يجريها الباحثون المهتمون بدراسة السلوك الجانح لدى الأحداث .

ولكي تؤدي برامج الوقاية الهدف منها فإنها تشمل المجالات الآتية [١١] :

١ ـ التشريع : تحقق السياسة التشريعية لبلد ما ، طرق الوقاية من جناح الأحداث وذلك بسن القوانين المتعلقة بتدعيم الحياة الأسرية وحماية الطفولة من الاستغلال وتعريض الأطفال للانحراف .

فبالنسبة لتدعيم الحياة الأسرية ، تتضمن التشريعات نظم الزواج والطلاق حفاظاً على كيان الأسرة من الانهيار والتفكك . والنص على حقوق الزوجية وحقوق الأبناء لدى والديهم .

وبالنسبة لحماية الطفولة من الاستغلال ، فإن القوانين تتناول تنظيم تشغيل الأحداث ، بوضع حد أقصى لساعات العمل ، وتحديد المهن التي يحظر تشغيل الأحداث بها ، حماية لهم من الأمراض والأخطار . وكذلك حماية المعرضين منهم للانحراف نتيجة الإهمال والعجز ، وحماية القصَّر ، كما تتضمن أيضاً النصوص الخاصة بعلاج الجانحين منهم وغير الجانحين .

٢ ـ مجال الخدمات : تهتم الدولة اهتماماً بالغاً ، بالرفاهية الاجتماعية والاقتصادية وذلك بتوفير الخدمات لتحسين الظروف المعيشية وتهيئة الجو المناسب للتنشئة الاجتماعية السليمة للأطفال ، **وتتضافر الخدمات لتنشئة جيل صالح ينأى عن الجريمة ويبتعد عنها .**
وتتمثل الخدمات في :

أ ـ رعاية الأسرة : الأسرة هي الدعامة الأولى للمجتمع ، والبيئة المباشرة التي يحبو فيها الحدث في طفولته المبكرة ، يكتسب منها القيم والعادات السائدة . لذلك فإنه يلزم أن تتضمن برامج الوقاية من الجناح **خدمات رعاية الأسرة** ، كتوجيه الوالدين إلى أسس التربية ، وتعديل اتجاهاتهم وقيمهم ومعتقداتهم بما يساير القيم السائدة وذلك بوسائل التثقيف المتنوعة . ومواجهة ظروفهم الاقتصادية السيئة بتوفير المعونات المادية في حالة العجز أو الشيخوخة أو البطالة . **وتدبير المسكن الصحي المناسب ، وإعادة تنظيم الأحياء المكتظة بالسكان منعاً للاختلاط الغير مرغوب فيه ، وإنشاء المكاتب الاستشارية لراغبي الزواج** ، وتنظيم حياة الأسرة وحل مشكلاتها ، وإقامة دور الحضانة وغير ذلك من أوجه الرعاية التي تحتضن الأسرة بالتوجيه والإرشاد .

ب ـ الخدمات الصحية : يتبيَّن من الدراسات التي أجريت لتقصي العوامل المؤدية للانحراف ، أن هناك بعض الأمراض الوراثية التي تنتقل من الآباء إلى الأبناء ، وتؤثر في سلوك الأطفال ، فيكونون عرضة للانحراف . لذلك تلعب الخدمات الصحية دوراً هاماً في الوقاية بتوفير العلاج من الأمراض ووسائل التثقيف الصحي والاهتمام بأمراض الطفولة المبكرة والعمل على مواجهتها قبل استفحالها .







ج ـ الخدمات التعليمية : تحدد الدولة سن التعليم الإلزامي للأطفال ، لما للمدرسة باعتبارها المنظمة الاجتماعية التالية للأسرة من أهمية في استكمال التنشئة الاجتماعية لهم ، فيتعلم الحدث بالمدرسة كيفية مواجهة المجتمع الخارجي ، وتكوين علاقات اجتماعية سليمة . وعن طريق المدرسة يتم اكتشاف الانحرافات السلوكية التي يعاني منها الأطفال وتعرضهم للانحراف كسوء التوافق والتكيف الاجتماعي ، وبعض المشكلات الأخرى كالتخلف الدراسي والهروب ، ووضع الخطط الكفيلة بمعالجتها .

د ـ الخدمات الأخرى : وتشمل هذه الخدمات تنمية المجتمع ومواجهة آثار التصنيع والتحضر واستغلال وتنظيم أوقات الفراغ **كالنوادي ومنظمات رعاية الشباب** ، واكتشاف قدرات الأحداث ومهاراتهم وإشباعها ، وكذلك توفير الحاجات الأساسية من مأكل وملبس ، من إنشاء العيادات النفسية ومواجهة الأمراض النفسية التي يصاب بها الصغار ، وتحسين المستوى الاقتصادي برفع الأجور ، وإقامة مراكز التدريب المهني للأحداث ممن يفشلون في مواصلة التعليم العام ، والاهتمام بوسائل الإعلام والرقابة عليها والتنسيق بين الخدمات وتمويلها وتوفير الخدمات الاجتماعية ، وتخصيص شرطة للأحداث تعمل على تنفيذ القانون واحترامه .

ثالثاً ـ البحوث

تشمل برامج الوقاية أن تكون هناك الإحصاءات والبيانات التي تشير إلى ارتفاع وانخفاض الجرائم بين الأحداث ، وتشجيع البحوث لدراسة العوامل المسببة لهذه الظاهرة في انخفاضها وارتفاعها . وكذلك إجراء البحوث العلمية من نظرية وميدانية ، للتعرف على مشكلات الطفولة وحاجاتها واقتراح برامج الوقاية والعلاج وتقييمها ، وإنشاء مراكز البحوث المتخصصة بالتعاون مع الجامعات .

الهوامش

(١) **د . سمير نعيم أحمد :** الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعي ، دار التأليف ، القاهرة ، ١٩٦٩م ، ص ٢٧ .

(٢) الأستاذ **السيد يس السيد :** مشكلة التعريف الاجتماعي للجريمة ، مقال بالعدد ٣ ، المجلد ٢ من المجلة الجنائية القومية ـ المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ـ القاهرة .

(٣) **محمد عارف** (مترجم) : الوقاية من جناح الأحداث ، من مطبوعات وزارة الشؤون الاجتماعية ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

(٤) المرجع السابق ، ص ١٢٧ .

(٥) **د . محمد نجيب حسن :** دراسة تشريعية مقارنة في معاملة الأحداث المشردين ـ مقال بأعمال الحلقة الثانية لمكافحة الجريمة (ج . ع . م) ـ من منشورات المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ، القاهرة ، ١٩٦٣م ، ص ٢٤ .

(٦) الأستاذ **نجيب حسن درويش :** التدابير التقويمية للأحداث المشردين بمصر ، المرجع السابق ص ٧٦ .

(٧) **محمد عارف** (مترجم) : مرجع سابق ، ص ٤٠ .

(٨) للاستزادة ارجع للدراسة العلمية للسلوك الإجرامي : مرجع سابق ، الباب الثاني .

(٩) للاستزادة ارجع للوقاية من جناح الأحداث : مرجع سابق ، الجزء الرابع .

(١٠) **د . سعدي بسيسو :** قضاء الأحداث علماً وعملاً ، مطبعة الشرق بحلب ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٨م ، ص ٧١ .

(١١) للاستزادة ارجع : للوقاية من جناح الأحداث ، مرجع سابق ، الجزء الثالث .

ما الذي يحدث في وادي الضباب!



بقلم: عمر طاهر زيلع



ذلك ما تردد صداه في نفوسنا ـ بكل تأكيد ـ وقد صرنا على مقربة من وادي الضباب ، سالكين درباً حجرياً محفوفاً بالفجوات والانحدارات ، كانت السماء مشمسة ربداء الأفق ، وكان الجو لاهباً بحرارة السفوح الصماء المهيبة .

موكبنا يتصبب عرقاً موصول اللهاث ، عندما أشار دليلنا إلى انفراج بين ضلعي جبلين ، كأنما ينفتح على حافة الدولاب الأرضي ... قائلاً :

ذلك ، وادي الضباب يتفيأ أحضاناً من الاخضرار . يا لبشرى دليلنا **« حسان »** فقد كان يركض راجلاً وراء ركابنا ، ينضح رشحاً غزيراً ، كابي الوجه ، متلاحق الأنفاس .

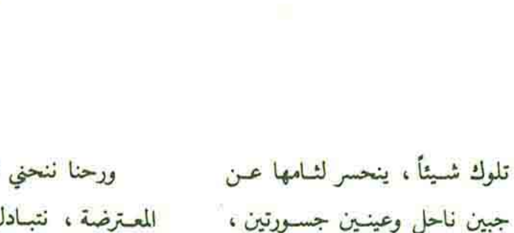
لقد وصلنا إذن ؟ سألته مدارياً ، وعيناي تجوزان تلك الأرجاء ، المسوَّرة بالقمم ، الفواحة بروائح الأغصان العذرية ، التي لم تمس .

ـ **ليس بعد ..** قالها بنبرة واثقة خالية من الوهن .

أخذ الانفراج يتسع ، والوادي يتبدّى شيئاً فشيئاً ، حتى ملأ عيوننا بانبساطه الأرحب ، ودوحاته الغامقة المتلاحمة كالأسوار ، ولاحت مدرجات الحقول كما لو كانت مطّلعاً للفضاء الأعلى ، ورأينا التماع ينبوع الوادي الصغير ممتداً تحت الشمس ، كالسيف الكبير . أخذت بغالنا تنحدر في إقدام وإحجام .

يا سبحان الله ، لقد أخذ لظى الريح اللافح يميل إلى الاعتدال ، يلامس وجوهنا ندياً كأطراف الورود ، أنا شخصياً ، أحسست بالوعثاء تنجاب عن نفسي . فغدت « رفاقة الرجع » تغتسل بأنداء الوادي . يعصف بها الشوق إلى كل الأودية ، وتهم بالعودة إلى الوراء حيث منديل الوداع لا يزال مبللاً ، وأحداق مغرورقة على السطوح تسافر مع خطواتنا الراحلة .

ها نحن نجتاز العقبة الأخيرة هبوطاً . « رشأ » على مركوبها ،



تلوك شيئاً ، ينحسر لثامها عن جبين ناحل وعينين جسورتين ، وفم يهم بالكلام .

● **رشأ ! لماذا تغادرين حقول البن وأرائك البيت الكبير ؟** أردت مؤانستها فبدأت السؤال :

ـ إنك لتعلم الجواب ، فعلام الافتعال ، وانخرطت في البكاء !! .

تدخل حسان : **رشأ دائماً تبكي بحرقة إذا أرادت أن تنسى شيئاً إلى الأبد ! فكأن الدمع يصهرها من طور إلى طور** ... وابتسم مداعباً .

تمتمت رشأ ، أحسبها قالت : **« أويلتاه !! إن أحداً منكم لا يفهمني »** .

ذاب صدى الهمس في أطراف القاع السحيق . لذنا إلى الصمت ، ورشأ أحكمت لثامها على بقايا حديث دامع ، وأخذنا ننحدر إلى الوادي بشكل حاد ، وحوافر البغال تتخذ سبيلها بمهارة تعوز الدليل . وترامت إلى مسامعنا أناشيد الحقول :

« إنا نغذ السير تحت أقدام الجبال ★ نغزل الشمس رداءً للحقول » .

ورحنا ننحني تحت الأغصان المعترضة ، نتبادل التحايا مع الفتيات المنحدرات إلى سوق وادي الضباب .

● **رشأ ! هؤلاء البنات ، ماذا يحملن ؟** .

جاء جوابها مجاملاً :

ـ يبعن محاصيل تلك المدرجات المتكئة على السفوح ، ومعها شيء من دلال البنات .

● **دلال البنات ؟ أهو نوع من الفاكهة ؟؟** .

سلقتني بنظرتها الجسورة وقد غدا وجهها ضاحياً حزيناً في تجمُّل ، وزمت شفتيها لائذة بالصمت ، تجاذب بغلتها العنان ، دار في ذهني سؤال عبثيّ ... هل من الضروري أن يجعلوا للبغال أعنة .. ؟ تهيبت أن أطرح سخافة أخرى على رشأ الملتاعة وتلفت كي أسأل الدليل ، فلم أره ، ناديت .. **أين أنت يا حسان !!** ، اضطربت رشأ .. وهمست : **سيلحق بنا** .

لاح حسان متباطئاً ، يتلهى بقطف أزهار صفراء فاقعة « لها رائحة الأنوثة الشابة ليلة الزفاف » .. هذا ما قاله دليلنا الوقور ، أغضت رشأ وأرخت جفنيها ، ثم مدت نظرها إلى القاع المستدير .

عبرنا جسراً صغيراً من الخشب والألياف ، انعطفنا مع منحنىً دائري ، أصبحنا وجهاً لوجه مع الينبوع المتدفق نحو الشمال ، يتلوى عبر الصخور والمنعطفات كالأمل ، على جانبيه تموج حركة دائبة من الناس والبهائم ، وصكت مسامعنا ثرثرات العابرين ولغط المتسوقين وخوار الأبقار ، إنا قد أصبحنا في قلب وادي الضباب ذلك ما أكده حسان هاشاً وهو يضيف ، **وذلك منزل « أم أمة العليم »** .

وسعى إلى المقدمة (وكان طوال الرحلة في مؤخرتها) قادنا إلى ظل شجرة واعتنى بإنزال الأمتعة نشطاً مدندناً بأغنية شجية **« ما وقفتك بين الكثيب والبان ... »** .

الشمس في وادي الضباب أكثر لطفاً ... لشعاعها وداعة الضياء القمري وللأرض ثمة إغراء الترائب اليافعة ، منبسطة ثرَّة كالكف الخضيب ، كان على رشأ أن تفتح نوافذها لهذا النسيم الطلق ، وتكف عن لفتاتها المسعَّرة وتقطيبها الموجع ، حسان نفسه لمح بذلك عند عودته من مهمته ، غمزت له أن يكف ، تجنباً لأحزان قد تستيقظ ، وفجأة انبثق السور المشجر المستطيل يميناً ، عن فتاة جبلية السمت ، أسطورية التكوين ، تتوثب كما لو كانت مطاردة في لعبة من لعب البنات ، ترتدي ثوباً من الدوبيت الرخيص ، أقبلت تفيض بشراً وتشع عمراً ربيعياً يتجمع من كرم الأرض وسخاء السماء ، اندفعت تتفرس في وجه رشأ الذي جف رشحه ، وقد علتها بسمة ممزوجة بالدهشة ، كان الهواء يصطدم بجسمها الغسيل ويغمرني محملاً بنكهتها ... يا غوثاه .. إنها تضوع تحت الشمس كما يتقطر العود الهندي في مبخرة جارنا العطار !! .

● **مَن ... رشأ ؟ شيء لا يُصدق ، إلا إذا صدق المرء أن الحقول قد تغادر مواقعها !** .

بذلك ، تساءلت الفتاة ، فانساب الجواب من شفتي رشأ ليناً :

— لم يعد بوسعي احتمال المزيد ، لقد كان اغترابه طويلاً كالرحيل الأبدي .

كرت الفتاة تسأل مرة أخرى .. **ولكن ، لماذا لم يَعُدْ « هـو » أليس ذلك أقل قسوة ؟ .**

هزت رشأ رأسها موافقة ، واستدركت قائلة : **لقد قال في آخر رسالة منه : « أحاول أن أعود ، لكن العود ليس أحمد في كل الحالات .. قدري أن أعد بذلك وعليك الانتظار » .**

شهقت فتاة وادي الضباب : **الانتظار ؟ وإلى متى ؟ .**

ردت رشأ في صخب : **ومَن ترينه أجدر بالجواب ؟ أنت لم تتجرعي مرارة الانتظار الطويل والتفكير في صياغة الجواب على سؤال يموت مصلوباً على شلال من اللحظات المتدفقة ، إنني أشعر بحرقة هوجاء .. فهل تقلعين عن الأسئلة .. ؟ .**

انزلقت على شفتي الفتاة بسمة خجلى ، أدارت وجهها المضرَّج نحو حائطها النباتي وأرجعته إليَّ حيياً ، ولكن إلى



حدٍ قليل ، كنت أنا يافعاً تضيء عينيَّ كل الأشياء — ويبدو بهما كل شيء ناهد نهداً — .

قدر لي أن أتوغل في عينيها ، وأتهجى تساؤلا ريفياً يعلم الجواب سلفاً :

— أمن ساحل البحر .. هذا ؟ .

● نعم إنه من ساحله . شتان بين مفرق الأرض ومواقع الأقدام ، خاطرة سخيفة أزبدت في داخلي وأنا أرد الجواب .

وأضافت رشأ : **نعم إنه تهامي الوجه ألا ترين ملامحه معجونة بالغبار ؟ لكنه أفق القلب يتسع للقمم والأوهاد .**

ثمة في كل رجل شاب أنوثة يغريها الثناء المفرط ، فتنساب إلى الوجه خجلاً قانياً ، وهو ما حدث لي عند ذاك الحوار وأكدته رشأ . لست أدري ما الذي جعل رشأ تترجمني لفتاة لا أعرفها ؟!! . وتتزيد قائلة : **« لقد سئم حياة الحفر ، وجاء يمتحن قدراته في حمل الصخور » !! .**

رشقتها بنظرة عاتبة ولعثمتُ قائلاً : **ولماذا التزيد في الجواب ؟ .**

تجاهلتْ سؤالي الغاضب ، ووقفت تومئ صوب الجنوب ، بمقدار كبير من الجدية تقول : **« انظري هناك ! . أترين ذلك الجبل الأشم ، الذي يبدو كغيمة مثقلة ، شامخاً وراء القمم ، لقد تسلقه هذا الفتى باحثاً عن زوجه تستحم في السحاب ، أيمكن أن تعتبرينه ناضجاً بهذا الأمل المغرور » ؟ .**

— هل وجدها ... ؟

سألتْ فتاة وادي الضباب بلهجة متحدث لا يعنيه الحديث وذراعاها تحوطان خاصرتيها ، وعيناها مسكوبتان على المرتفعات ؟ .

— كلما عانقت عيناه إحداهن ، قيل له « إنها مخطوبة » ، فهل أنت مخطوبة أيضاً يا أمة العليم !؟ .

كانت رشأ تتضاحك عبر كلماتها الساخرة ، وتلقي علينا نظرة دائرية .

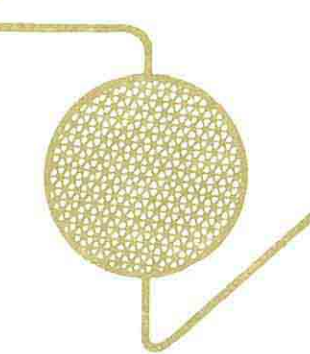
تقحمنا « حسان » وكان عائداً من مهمة ، بقوله : **(في وادي الضباب يخطبون المخطوبة ... فتبقى عانساً !!) .**

لكن أمة العليم ردت في عفوية مَن يجيب سائلاً جاء يسأل عن الطريق :

— كل فتاة — هنا — مخطوبة لخاطب يرحل لجمع المهر ثم لا يعود .

تدخل سائس البغال مرة أخرى : **« كل غياب أبدي يمتد من مهمة صغيرة .. ولكن . هل تجدينا هذه الثرثرة ، عن فطائر الذرة وجبن وادي الضباب وعليله المشتاء ... أين أمك المضيافة التي لا تنشغل بغير واجباتها » ؟ .**

غمغمت الفتاة تداري



ارتباكها : «**هذا رجل يحدث كل الناس ، كما لو كانوا جميعهم أفراد عائلته ، أمن حقه أن يمنعنا من أشياء بين الأشياء**» .

واتخذت سبيلها إلى الأشجار الكثيفة ركضاً .

سلخنا ساعات من النهار تحت شجرة لها شكل الشعر المستعار ، نمضغ شرائح الجبن مغموسة بالعسل . ونحتسي قهوة البن الطازج في علب صدئة ، ونقرأ في وجه أمة العليم تاريخ وادي الضباب ، مجداً رائعاً عبر صفحات مهترئة .

يلزمني أن أكون أكثر دقة فأقول : «عيناي – وحدهما – كانتا أكثر العيون محاصرة لذلك الوجه المتجدد في اطراد ، لكن رشا لا تدع الأمور تسير على علاتها ، أمعنت في إرباكنا معاً بقولها : «**لو أن مخطوب هذه الفتاة حاضر لحال بينها وبين عيون كثيرة !!**» ، وأضاف حسان : «**إنهم – هنا – يغارون كثيراً ، لكنهم يغيبون أكثر**» .

جارت امرأة قصيرة ممتلئة في غير تناسق ، كانت ترتق ثوباً زاهياً بعناء ملحوظ :

– **أستطيع الجزم بأن هذا الرجل معتوه ، نعم أستطيع الجزم بذلك .. لمَ لا تقال له هذه الحقيقة ، انظروا ! كيف يرخي شدقيه .. ألا يحس أنه يتقيأ الكلمات تقيؤاً مقرفاً .. لكم هو في حاجة إلى معرفة حقيقة نفسه ، لكي يعرف أن الذكاء ليس نعمة في كل الأحوال .. لماذا تتبسطين بالحديث معه يا أمة العليم !!** .

أُحرجت الفتاة ، استدارت إلى ناحية أخرى ، وهي تجاهد أن تكون أكثر تعقلاً من أمها ، أمي على حق يا رشا ، ليست هذه المرة الأولى التي يسيء فيها حسان إلى الوادي ، في كل مرة لا نسلم منه ، وفي آخر مرة جاء مرافقاً لعائلة محترمة ، أشعل في قلوبنا ناراً لا تنطفئ . لقد قال – يعرِّض بي – أمام الضيوف :

«**بنات وادي الضباب يجهلن مفاتنهن ، ويقهرن أجسادهن بالألوان المتنافرة ، أما الرجال فإنهم يغرقون النهر بالنفايات ثم يرفعون أكفهم ، طالبين نزول المطر !! أليس هذا تطفلاً مجنوناً ؟**» .

تصنعت رشا جدية فاترة وهي تزجر حسان : «**ينبغي ألا تتطاول أكثر من قامتك ولا تخاطب الناس بنفس اللهجة التي تصطنعها لبهائمك . أي ثأر لك في وادي الضباب ؟ ألم تقل يوماً إن جدك الأعلى ينحدر منه .. فما هذه السخرية إذن يا سائس البغال ؟**» .

أحسست أن رشا أرادت أن تدرأ الحد عن حسان بكلمات ملتهبة عبر نبرة لا تخلو من الود . على أنه كان راكد الوجه على نحو يؤكد ما جزمت به المرأة العجوز أو يكاد ، نطق في هدوء يفيض تعقلاً :

– **معظم الناس ، جذورهم مغروسة في أرض وادي الضباب ، ليس جدي الأعلى وحسب ، لكن الجذور النخرة لا تلبث أن تتسرب في الحقول المهملة ، فيما تكسب الأغصان خصائص مغارسها الجديدة ، أنت يا رشا – مثلاً – تقولين إنك من أصل فارسي ، فهل بقي من ذلك الأصل شيء غير العناد الصفيق ... ؟** .

هالني أن تُثار رشا من جديد ، فصرخت بحسان :

● **كفى عجباً وحذلقة ، فقد «أزف الرحيل»** .

كان على حسان أن يخرج من ردائه الفضفاض ويتذكر مهمته دائماً دونما تذكير . وحينما خرج مسرعاً ، راحت أمة العليم تردد في مرارة وتفرك كفيها :

– **الرحيل ... الرحيل ... الرحيل ... لشد ما تسحقني هذه اللفظة** .

قهقهتْ أمها وهي تستعرض الثوب المرفوء :

– **ولماذا المبالغة ؟ ألم يقل هذا الرجل المعتوه مرة «ليس في وادي الضباب إلا مَن هو مهاجر أو متاجر» ؟ حاسبه الله ، بمَ يتاجر المرء إن لم يجد شيئاً مألوفاً يتاجر به ؟ كلمات هذا المعتوه تزحلق عن النفوس عماياتها**

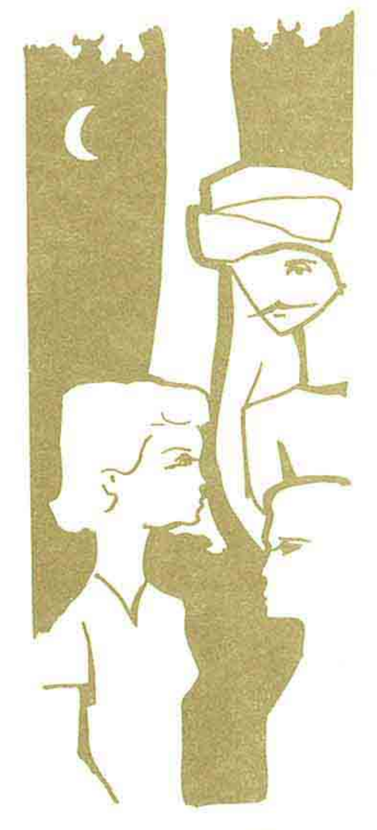
اللذيذة فليرحل ! دعيه يرحل لا أهلاً ولا سهلاً ، معذرة يا رشأ ، وأنت أيها الفتى الخجول مثل فتاة لا وجود لها ، وضجت في قهقهات منفلتة .

يعود حسان مهرولا : « لقد حان الرحيل حقاً ، هيًّا ، هيًّا ، لا تدعوه يتكرر ، أعني ما حدث في المرة الأولى ، إذ نسي مخدومي أن ينقد أهل « النزل » متاعبهم ، تذكري ذلك يا رشأ ، وادخلي يدك في جيبك » .

أقلقني ذلك الأسلوب الجاف الذي لجأ إليه حسان . فهل أمة العليم مجرد « خادمة » في مقهى ، هي أعز مكانة في نفسي في تلك اللحظات على الأقل ، كنت يافعاً تضيء عيني كل الأشياء .

قرأ الرجل اللسن في نظرتي الحيِّية ، معنى الاستياء . فرماني بقوله هامساً : « **يا لك من غر ، وقر في ذهنك ، إنها ملاك يحمل مصباح الضياء الحميمي إلى داخلك** » . لا ، لا ، كن رجلاً . أمة العليم ليست لأحد بوجه خاص .

قلت : حسان !! **أراك تزداد تمادياً ، كف عن هذا**



وهيا فقد ضج الدرب بالراحلين .

امتطينا الصهوات البطيئة ، ألهبناها جلداً ، وأعناقنا كانت ملوية إلى محطات الوداع المظللة بالعرائش ، الريح كانت تعبث برداء « أمة العليم » الأسود وقد ألقيت إلى الدرب « جيداً نافراً » أنا لا أزعم أنها كانت تودع شخصاً بذاته ، بل لا أزعم أنني رأيتها باكية ، لكن رشأ تقول : « **أهل وادي الضباب لا يلوحون بأكفهم ساعة الرحيل ، وقلما ينتحبون ، إنهم يتفجرون دمعاً داخلياً يتحجر على صفحات القلوب** » .

حسان صافحنا مودعاً دون أسى ، قائلاً : « **قد نلتقي ، أقولها تفاؤلا فقط ، فعندما يعود المرء ، يندر أن يحتاج إلى دليل** » .

قالت رشأ : « **إلا إذا كان عائداً إلى وادي الضباب** » .

غالب حسان رغبته في الحديث واستدار راجعاً ، بينما انحشرنا ـ نحن ـ في الجمع الذي يحث الخطى بمحاذاة النهر ، ويلوك ذكرياته في هياج . كنا نسير على النهر المنساب شمالا ، تمتد على يميننا ضفة أخرى من العيون المرخية في انكسار ، وكان ثمة نشيج مكتوم يتجاوب عبر الضفتين وشعت الكوى والأسطح بالأوجه البيضاء المدورة والعيون الجريئة في تحشم . كانت نسمات الأصيل ، مشبعة بعبق الأطيان المغمورة بالمياه ، وروائح الدور التي تترحل عنها . وكان قرص الشمس الباهت ينحدر وراء التلال الغربية في استسلام غرير .

وحينما عسعس الليل ، أخذ النهر يتفرع إلى قنوات صغيرة ، فيما راح موكبنا يتوزع مجموعات مجموعات ، عبر القنوات في صمت مخدر ، حتى بات كل منا يسعى بمفرده وراء مجرى مائي أصغر يلتمع كبطن الأفعى الوليد . لقد ضعنا في أحشاء الليل ، رغم توهج الأنجم القصية ، كان السكون مطبقاً كاللَّحد الكبير ، كدت التفت إلى الوراء ، لكن صرخة مولولة دوت تحت سقف الدجى (**لقد تمزقنا «كل ممزق» واضيعتاه !!**) ، كان صوت رشأ . . . يدوي مرجعاً عبر السفوح المتلفعة بالظلماء انسابت نبراته إلى داخلي ، فضج وجيب متلاحق في صدري ، وطافت نظراتي بالفضاء الرامش ،

وعجت بي الذكرى فإذا بالنسائم ، لا تزال محملة بشيء من ضوع وادي الضباب ، وإذا كل التلال المتوارية ، تستدير على الأرجاء مثل صدر أمة العليم ، وترامت على البعد حشرجات تتسارع معها ضربات القلب ، فترجلت أصيخ السمع ، كانت شيئاً بين نباح الكلاب وعواء الذئاب . تهاويت على الأرض متمتماً :

● **رباه . إن الصبر على ذلك «لمن عزم الأمور»** .

الخروج

بقلم:
هاجر حسين

تسللت من الفراش ، تلعثمت في ثوب نومي الطويل ، كدت أرتطم بالأرض . . انتقلت ببطء ، وحذر شديدين ، أفتح نافذة الحجرة .

نظرت . . السماء بها بعض الدوائر اللامعة الصغيرة ، صافية الزرقة ، عدا بعض تكتلات السحب البيضاء بلونها القطني البراق .

بين المساحات الشاسعة الخضراء ، عندما يتسلل رحيق الزهر إلى أنفي ، يحسسني بالأمان ، أخذني صوت حركة وجلبة أسفل الدار ، صوت «وابور الجاز» المشتعل ، ورائحة الشاي الساخن ، منطلقة قلت لنفسي : **لا زالت جدتي على عهدها منذ طفولتي ، تعد الفطور باكراً كل صباح .**

قبل أن تدرج جدتي إليَّ ، وحتى أتحاشى صوت خطواتها الشديدة ، رحت أنزل إليها في صمت رغم تجاوز جدي الخامسة والسبعين من عمره إلا أن ملامحه الجنوبية الطيبة ، وقوته ما زالت تصاحب راحة يده السمراء الخشنة تربت على شعري ، وعيناه السوداوان تبتسمان في ترحاب وحب . تذكرت : طفولتي التي عاشت بين ذراعيه الحانية ، كثيراً ما انتزع من أعماقي الخوف .

يخرجني من صمتي ، صوته وهو يقول لي : **لعلك ستمكثين معنا وقتاً يعوضنا افتقادنا إليك .**

ألمح اهتمام عينيه ، وكأنهما تتوسلان إليَّ بالبقاء .

أردت محاورته ، بشيء من المداعبة ، احتجز بفمي الكلمات ، لكني رأيته قلقاً ، حائراً . سرعان ما عدلت عن فكرتي ، أقول في عدم اكتراث : **خمسة عشر يوماً ، أيكفيك بقائي هنا ؟**

قلب شفتيه ، أرخى عينيه إلى أسفل ، قلت : **كنت أظنك راضياً بهذه الإجازة .**

تقول جدتي منشطة لحديث جدي معي : **إجازة لا تكفي ولا تفي بوعدك لنا وقد خلّى الدار علينا كما ترين هكذا !! .**

أحسست بعقاب الكلمات ، بالتقصير ، صمت ، ربما لشعوري بأنني محاصرة بين حبهما لي وبين احتياجهما لوجودي معهما ، كنا قد فرغنا من تناول فطورنا .

نظرت إلى جدي ، بادرني ضاحكاً ، كأنه أدرك ما أريد فعله ، وهو يقول : سوف آت إليك في فناء المعبد الشرقي ، أسرعت أعانق وجهه بملء كفي ، وقبلته .

ترمقني جدتي من خلف عدساتها الطبية ، السميكة ، المسنة ، العتيقة ، حتى هذا العمر لن أفهمك ، لكني لا أدري كيف يقرأ جدك ما يدور برأسك . . تشير بيدها تجاه جدي وهي تقول : **لعله ورثك المكر عنه ، وألبسك الدهاء طبعه .**

تصاحب ثلاثتنا نوبة ضحك ، تنتهي عندما ينصرف جدي خارج الدار .

بسرعة رحت أجمع أدوات مرسمي التي طالما هجرتها طيلة فترة انقطاعي عنها .

أمام عتبة الدار توقفت خطواتي ، قبلما تنطلق قدماي في السير ، لكني سرت في تمهل وبطء .

تعانق عيناي كل شيء حولي ، ارتبطت منذ طفولتي بكل شيء هنا ، أحببته ، لن تنسيني المدينة حبي للقرية .

مررت ببيوت القرية القصيرة ، تسكن أنفي رائحة جدرانها الممزوجة برائحة طين الأرض ، استعادت مخيلتي ملامح طفولتنا بالأمس .

في ردهة المعبد الخارجي ، كانت تضج بحركة الزائرين ، عيون ترقب هنا ، عيون ترصد هناك ، أفواه مفتوحة ، شفاه ترتعد ، تتحرك تارة مسرعة وأخرى متمهلة بطيئة ، أقدام

من دائرة الوهم

كثيرة تسير ، ثرثرات منتشرة كلمات غير مفهومة ، لكنات غير واضحة ، ببغاوات في صور آدمية مختلفة الملامح والوجوه .

أزعجني الزحام الشديد .

أسرعت خطواتي للداخل ، لعلّي أستطيع الحصول على مكان خال من الضجيج ، شحيح من الثرثرات هناك أمام الحائط الكبير ، وضعت الحامل الخشبي ، شبكت اللوحة الورقية ، سرعان ما وجدتني أهرب من الزحام الذي ملأ المكان .

قلت لنفسي : **لعل الزحام في المدينة يطاردني حتى في هذه البقعة النائية .**

هؤلاء أتوا لمتعة المشاهدة ، للترفيه ، وهؤلاء أتوا لدراسة الحضارات الفرعونية السالفة العتيقة ، وأنت أتذكرين لماذا أتيت ؟ .

تهزني الكلمات ، ترعدني ، تمر برهة صمت ، يعود الصوت ، يكرر : ألا تريدين تجسيد شيء من هذا على لوحتك ، هيا ، لديك وقت كبير ، وأمامك الكثير ، امسكي بريشتك ، حركيها .

حاولت أن أمسك بالريشة ، لكني توقفت ، وضعتها ثانية .

عاد الصوت يصرخ مرة أخرى : **لماذا تتبلدين هكذا ، لماذا توقفت ؟ .**

قلت إثر صرخاته بي : **إنني أهرب من الزحام من اللامحدودية في الأشياء .. أبحث عن شيء واضح يلائمني ، مميز .. ومحدود .**

يضيق بي الصوت ، يقول : **لك ما تشائين .. لكني أخشى أن تعودي ولوحتك بيضاء دون رتوش ، أو خطوط فيها .**

قلت بعدما كنت قد افتعلت غيظاً منه : **لا شأن لك بي .**

عدت أحمل الحامل الخشبي وباقي أشيائي ، هناك ، توقفت عيناي ، أسرعت بخطواتي للمكان لعل هنا قليلاً من المارة ، لا أصوات ، لا ثرثرات .

اندهشت لاختياري هذا المكان المحدود على خريطة المعبد الشاسع الأركان .

تذكرت : نعم كان جدي يصطحبني هنا ، يلاعبني في أحضان هذا المكان .

عندما استقرت أناملي بوجه اللوحة ، تحركت في انسيابية ، سارت في تمهل ، كنت قد بدأت أحدد الخطوط .

يستلفتني وجود الرجل الجالس أعلى الصخرة الحجرية المقابلة لمكاني ، اندهشت ، لعلّي لم أصدق عيني فيما ترى ، فركتها ، تقدمت بضع خطوات ، نظرت إليه أكثر ، قلت لنفسي : **من أين أتى هذا الرجل وكيف ؟ .**

جذبني الفضول إليه ، تأملته عن قرب ، إنه مطبق بشفتيه الرقيقتين الصغيرتين على مؤخرة السيجار الطويل ، وقد تحولت حمرة شفتيه إثر الضغط لزرقة داكنة ، تراءت لي رأسه الصغيرة





المتوجة بشعره الأسود الفاحم المنساب خلف أذنيه الصغيرتين في انسيابية براقة كرأس لإله فرعوني، حدقت إليه أكثر، اقتربت، خيل لي أنني أمام لوحة كلاسيكية تحمل خطوطها وجوانبها المعبرة، غموضاً عجيباً، صمتاً عميقاً، حزناً كبيراً.. أحسست بغبطة، قلت لنفسي: **لعل هذا الوجه هو ما أريده.**

حاولت.. تتبعني بعينيه، ارتعدت أجزائي، رأيته ينهض من مكانه، يتجه نحوي، تقصدني خطواته، توقفت عن متابعتي للوحة، رمقته بعيني، اقترب، أحسست أنني أنتظره من عهد بعيد. توقف، مرت لحظات صمت، عيناه تفتشانني، تسألانني في استمرارية ومواصلة، أتأمله بعمق، يضبطني، أسرق ملامحه، أطبعها على لوحتي الورقية.

اختبأ داخل نفسي، خجلت، ببطء أطللت من قوقعة نفسي، نظرت تدريجياً نحوه، رمقني يبتسم في دفء، اطمئنت اضطراباتي، هدأت، عندما تلامست يده أطرافي الباردة. وقد ألقى بريشة رسمي جانباً.

يقول: **كفى هذا اليوم، هيا نطوف أروقة المعبد.**

تجمدت الكلمات على حدود شفتي.. توقف النطق فيها، نظرت إليه، كنت قد بدأت الخروج من صمتي ودهشتي، وأنا أتبعه، أسير معه، تحتضن يده أناملي، لم أبد اعتراضاً.

مررنا بأروقة المعبد الفسيحة، أمام رأس لإحدى مليكات القصور الفرعونية يقول وهو يشير إلى الرأس: **هكذا كانتا عين نفرتاري تشعان بالحب، جميلتان، تحملان قوة عصرها، وعمق إرادتها الملكية. كلماتها جادة، رنانة النبرات حادة، وأحياناً أخرى، رقيقة، ناعمة، هادئة رزينة.**



قلت أستوقفه: **ألم يكن هذا طبع النساء دائم التقلب منذ العصور القديمة؟.**

ابتسم في صمت، راح ينتقل بي إلى مكان آخر، في هذا الركن المتطرف من المعبد، رفع عينيه إلى أعلى، أشار بيده قال: **في هذا الركن من القاعة الملكية كانت جلستنا بين حاشية القصر، تلفنا الأبخرة، تطربنا ترنيمات الكهنة.**

عندما صمت عن متابعته للحديث، رأيت وجهه يتجهم، يعلوه الحزن، يتوقف عن السير، ننظر للأفق سوياً، الشمس تختنق في لونها الوردي الممزوج بالزرقة الدموية، تعلن عن نحر فديتها اليومية.

وجدته ينظر في مأساوية، كأنه يزف في عرس جنائزي، نحيف، رتيب.

قال وقد ترقرقت الدموع في عينيه: **وداعاً زائرتي الأبدية.**

أفقت من صمتي على نداءات جدي المتكررة، تأتيني ضعيفة متباعدة، تلمست مكان الصوت، تعقبته، نظرت، كان المكان خالياً مقفراً، موحشاً، أسرعت أنفض عن جسدي الخوف!!.

على بوابة المعبد، كان جدي ينتظر قدومي، ملامحه حائرة، قلقة قال في إشفاقة: **أين كنت يا بنيتي؟.. لن تسعفني استجابتك.**

قلت أخلص الكلمات إثر تعثرها بفمي: **لعلك أخرجتني في اللحظة المناسبة.**

كانت عيناه تتبع كلماتي في صمت، نظراته تستفسر، لكنه قد عثر عليَّ، ضمني إلى صدره، وهو يقول في حنان وحب: بإمكان الوهم أن يستحوذك في قاعته القاتلة إذا ما استمريت في متابعته. كما يمكنك أن تخرجي من شبحه المظلم.. للنور.. للضوء، هكذا، وقتها كنا قد غادرنا المكان.





منامات الوهراني

ومقاماته ورسائله

للشيخ ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني المتوفي سنة ٥٧٥ هـ

تحقيق: إبراهيم شعلان ■ محمد تعش ● مراجعة: د. عبد العزيز الأهواني

● بقلم: خيري شلبي

عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، وفي سلسلة المكتبة العربية، صدر كتاب (منامات الوهراني ومقاماته ورسائله) للشيخ ركن الدين محمد بن محمد بن محرز الوهراني المتوفي سنة ٥٧٥ هـ، تحقيق كل من الأستاذ «إبراهيم شعلان»، والأستاذ «محمد تعش»، ومراجعة الأستاذ الدكتور «عبد العزيز الأهواني».

وفي المقدمة يؤكد الدكتور الأهواني أن ركن الدين الوهراني (القرن السادس الهجري) يكاد يكون مجهولا بين جمهرة المتأدبين والمثقفين في العصر الحاضر، ذلك أن ما وصل إلينا من نصوصه الأدبية قليل، وهناك من أقبلوا على محاولة تحقيقه ونشره، لكنهم تراجعوا بعد فترة من العمل أمام صعوبة تحقيقه من ناحية، وأمام النسخ المتعددة التي تحفل بها مكتبات العالم، والتي تضم بين دفتيها عشرات من منامات الوهراني ومقاماته ورسائله. ثم إن الوهراني يستخدم كلمات عامية في بعض الرسائل يصعب فهمها، ولا توجد فيما بين أيدينا من معاجم.. «ثم هو يشير إلى كثير من أسماء معاصريه إشارات لا تعرف معها شخصية هذا المعاصر، مما يجعل تحقيق بعض الحوادث والتواريخ التي تعين على فهم النص عسيراً، وفضلاً عن ذلك فقد وضح أن المؤلف قد أجرى قلمه مرة ثانية فيما كتبه، وخاصة في المنام الكبير، فغير وبدل وقدم وأخر مما جعل مراجعة النص في المخطوطات عملاً في غاية المشقة بحيث تطول الهوامش وتكثر التعليقات التي تثبت الخلاف طولا وكثرة لا نظير لها فيما يعرف من تحقيق النصوص المخطوطة. وقد اضطر المحققان إلى أن ينشرا نصاً واحداً مرتين نظراً للاختلاف الواسع بين روايتيه، وهي المقامة البغدادية».

ويعود الدكتور **الأهواني** فيؤكد أن المحققين لم يدخرا جهداً في مراجعة كتب الأدب والتاريخ والجغرافيا والطب والفلك وغيرها، لتوضيح غامض واكتشاف مجهول ومعرفة مغزى إشارة. والمثير للإعجاب حقاً أنهما قد جمعا كل ما هو معروف من مخطوطات تشتمل على هذه النصوص وقارنا بينها وبين النسخة المخطوطة **بدار الكتب المصرية**. ثم يقول:

«إن هذه المجموعة من النصوص تمتاز في تاريخ النثر الفني في الأدب العربي بميزات ترفعها إلى مقام عال، ولا نكاد نجد في النثر العربي القديم نصوصاً فيها ما في كتابات الوهراني من حيوية وذكاء، ولمحات تعبر عن شخصية الكاتب، وتصور في دقة وبلاغة بعض جوانب الحياة الفكرية والاجتماعية في عصر من عصور التحول في المجتمع العربي، وهو عصر الانتقال من **الدولة الفاطمية في مصر إلى الدولة الأيوبية**. وقد اعترف القدماء بفضل الوهراني

منامات الوهراني

ومقاماته ورسائله

وبراعته ، وخفة روحه ورشاقة أسلوبه ، وخاصة في المنام الكبير الذي أثنى عليه **ابن خلكان** ثناءً كبيراً . وفي الحق إن منامات الوهراني ومقاماته وأسلوبه يضيف إلى النثر العربي ثروة ، ويفتح للدارسين آفاقاً ، ويقدم للقراء مادة شيقة ممتعة لا تقل عما اشتهر من عيون النثر العربي » .

جمع المخطوطات

والمخطوطات التي جمعها المحققان هي :

(١) **مخطوط إستانبول** : وهو المخطوط الذي اتخذه المحققان أصلاً في التحقيق من مخطوطات **مكتبة أيا صوفيا** برقم ٤٢٩٩ ، واعتمدا على النسخة المصورة منه **بمعهد المخطوطات بجامعة الدول العربية** من ميكروفيلم ٤٠٥ . ويقع المخطوط في ٢٠٤ لوحات مقاس ٢٢,٦ × ١٧,٨ سم ، وهو بخط نسخي واضح مشكول .

(٢) **مخطوط القاهرة** : وهو مكتوب بخط نسخي واضح بقلم معتاد ، وهذا المخطوط ناقص وبه ترقيع ، وورقه سميك ، وبه بعض التآكلات البسيطة بالورقات أرقام ١ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، وهو بدار الكتب المصرية برقم ٢٤ أدب وعنوانه (**رسائل الوهراني**) ، وعدد لوحاته ٩٤ مقاس ٢٥ × ١٦ سم . وكان المحققان قد قطعا مرحلة كبيرة في تحقيق نصوص الوهراني معتمدين على هذا المخطوط غير أنهما وجدا به كثيراً من التصحيف والتحريف والنقص مما دعاهما للاعتماد في التحقيق على مخطوط إستانبول لوضوحه ودقته ، ولأنه أكمل النسخ التي عثرا عليها .

(٣) **مخطوط برنستون بأمريكا** : وعنوانه (**جليس كل ظريف للوهراني**) ويوجد هذا المخطوط في مكتبة برنستون **مجموعة جاريت** برقم ٩٧ وهو في ٥٢ لوحة مقاس ٢٠ × ١٠ سم وعدد السطور في الصفحة ١٧ وعنوان الكتاب حسبما هو مدون على اللوحة الأولى « جليس كل ظريف للوهراني » .

وقد لوحظ على هذا المخطوط :

★ أولا : الكتاب بخط نسخي واضح مشكول .

★ ثانياً : يكتب عناوين كتاباته بلون مغاير في حدود ما يبدو من الصورة الفوتوغرافية .

★ ثالثاً : لا يثبت الهمزات أحياناً كثيرة .

★ رابعاً : يثبت في آخر اللوحة الإحالة إلى ما يتلوها .

★ خامساً : يصدر الشعر في رسائله بكلمة « **شعر** » بخط نسخي واضح صغير ويضع نقطة في أول البيت ونقطة في آخره ونقطة أخرى بين الشطرين .

★ سادساً : في هامش المخطوط استدراكات لألفاظ قليلة في متنه أغلبها تصحيح لخطأ أو توضيح لكلمة مطموسة أو إثبات لفظ يبدو أنه رواية أخرى لما ورد بالمتن .

★ سابعاً : ذكر الناسخ في موضع واحد من المخطوط في اللوحة ١٦ في الهامش « **الحسن بن ضاحي البغدادي** » اسماً لشخصية أطلق عليها في المتن لفظ **ملك النحاة** .

★ ثامناً : في هذه النسخة نقص ناتج عن سقوط أوراق من آخر المقامة الصقلية التي تنتهي في هذا المخطوط بالعبارة الآتية : « **قلنا فما تقول في الفقيه ابن بقية قال لم يبق بعد موته من العلم بقية وكأنه . . .** » ثم يبدأ المنام الكبير ناقصاً من أوله . وقد رمز المحققان لهذا المخطوط بالحرف (ب) .

(٤) **مخطوط مجموع مقامات ورسائل** : وهو بمكتبة **أحمد تيمور** برقم ٤٩٢ بدار الكتب المصرية وقد عُثر في هذا المخطوط على عدد من رسائل **الوهراني** .

١ ـ المطبوع من ص ٦١ إلى ٧١ .

٢ ـ المطبوع من ص ٦١ ألى ٢٣٧ .

وهذا المخطوط يشتمل فضلاً عن الرسائل المذكورة **للوهراني** على رسائل أخرى منها :

١ ـ رسالة لصلاح الدين الصفدي .

٢ ـ مقامة في مدينة حماة لشهاب الدين كاتب الرق .

٣ ـ ومن رسالة للقاضي الفاضل .

ومما هو جدير بالذكر هاهنا أن المحققين حين أتما مراجعة نصه ومقابلته على ما لديهما من النصوص في نسخ أخرى أرادا العودة إليه لوصفه ، فوجدا أن المخطوط قد اختفى تماماً وليس لدى المسؤولين في الدار جواباً حول اختفائه . وقد رمزا لهذا المخطوط بالرمز « **مج** » .

(٥) **الكنز المدفون والفلك المشحون** : كتاب مجموع فوائد وحكايات ولطائف وأحاديث ألفه « **شريف الدين يونس المالكي** » وينسب خطأ **لجلال الدين عبد الرحمن السيوطي** المتوفي ٩١١هـ ، طبع في بولاق ١٨٧١م .



★ د. عبد العزيز الأهواني ★

نسخة أخرى طبع **المطبعة العثمانية** سنة ١٣١٣ هـ ، ونسخة أخرى طبع **مكتبة مصطفى الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٥٣٧ هـ** ، وقد وردت **بغلة الوهراني** بهذا الكتاب ص ٢٦٧ ــ ٢٦٨ بعنوان **« رسالة على لسان بغلة الشيخ ركن الدين الوهراني للأمير عز الدين موسك »** . ويسبقها في أول الصفحة سطران . قال بعض الحكماء : **« كن من الكريم حذراً إن هجرته ومن الفاجر إن عاشرته »** .

وقد رمز المحققان لهذا الكتاب بالحرف (ك) وليس فيه **للوهراني** غير بغلته .

محتويات الكتاب

ويقع الكتاب في ثلاثمائة صفحة وثمان من القطع الكبير . تستغرق موضوعاته مائتين وثمان وثلاثين صفحة ، وأما الصفحات الباقية فقد خصصت للفهارس وهي في ذاتها فهارس مفيدة حتى لمن يتصفح الكتاب تصفحا عابراً . ونحن أمام مجموعة من المقامات والمنامات والرسائل وهي أشكال أدبية بينها اختلاف طفيف . **في المقامة الأولى** واسمها **« المقامة البغدادية »** يصف الوهراني بغداد وسفرته إليها ويمدح الخليفة ، ثم تتابع الموضوعات على النحو التالي : وكتب كتاباً وفيه المنام . . وله نسخة رقعة على لسان **جامع دمشق** . . وكتب إلى القاضي الفاضل **عبد الرحيم بن علي البيساني** رحمه الله . . وكتب إلى **الأمير نجم الدين بن مصال** . . وإلى **القاضي الأثير بن بنان** . . وكتب رقعة على لسان بغلته إلى الأمير **عز الدين موسك** وربطها في معرفتها ووقف له في الميدان . . وله خطبة على لسان المئذنة . . وله أيضاً مقامة في شمس الخلافة . . وكتب إلى **تقي الدين** . . وإلى **أبي القسم الأعور** الملقب بالعون . . وإلى **ابن الحليم الواعظ** على لسان الفقهاء . . وكتب إلى **التاج الكندي** جواباً عن رقعة . . وله نسخة يمين كتبها إلى **ابن مسلم** الشاهد . . وله نسخة يمين أخرى كتبها يستحلف بها **ابن النقاش** على ذهب كان له عنده . . وله في صفة شربة لأهل الهوى . . وكتب إلى **مجد الدين عبد اللطيف وزير تقي الدين** . .

وإلى **شمس الدين بن البعلبكي** . . وكتب رقعة إلى **شمس الدين بن منقذ** . . وكتب أيضاً إلى **البدر** صاحب **ضياء الدين بن الشهرزوري** . . وله نسخة إجارة . . وكتب إلى **الملك الناصر صلاح الدين** . . وكتب إلى صديق له بدمشق . . وكتب فصلاً إلى نجم الدين بن مصال وهو على عسكر صلاح الدين على حصار **الكرك والشويك** . . وكتب بعض المدابير إلى أمه . . كما كتب يشكو توقف الجاري . . وكتب رقعة إلى القاضي الفاضل . . وإلى القاضي **الأثير بن بنان** يتعلل عليه لئلا يفطر عنده في شهر رمضان . . وقال في **ابن الحكيم** لما تاب عن المعاشرة نصباً على القضاء . . وكتب إلى **ابن المطلب** (وسبب ذلك أنه كان قد عزم على تطهير ولده فعول عليه في شيء يأخذه له من المولى **تقي الدين** وكان مستقره بالشام فوصله جواب الكتاب بالإنعام ، وكانت عشرة دنانير وعشرة خراف ، فكتب إليه هذه الرسالة بعد الدعاء) . . وكتب مقامة عن **صقلية** . . وكتب إلى بعض أصدقائه بسبب قصيدة **التاج الكندي** التي يفتخر فيها . . وكتب رسالة في الطير .

تعريف المقامة

كانت هذه قائمة بعناوين الموضوعات التي كتب فيها الوهراني والتي ضمتها دفتا هذا المجلد . وربما كان من الضروري أن نقف على تعريف للمقامة كشكل أدبي عربي النشأة ، وحينئذ نقتبس ما كتبه الأستاذ « طاهر أبو فاشا » في تعريف المقامة ضمن دراسة له لمقامات بيرم التونسي حيث يقول :

« المقامة كلمة مشتقة من مادة « ق . و . م » وهذه المادة تدل ــ فيما تدل عليه ــ على القيام والوقوف والإقامة . وهي ــ كما ترى ــ معان تقتضي المكانية . فليس من المستغرب أن تطلق المقامة على المكان ، فيراد بها المجلس . ثم لنفس العلاقة المكانية ، تطلق على ما يدور في المجلس من الكلام بعامة ، ثم يأتي التخصيص الاصطلاحي ، وتقتصر دلالة الكلمة على ذلك الكلام الذي يتخذ ذلك الشكل البياني المعروف بالمقامة . وللمقامة خصائص فنية تميزها وتضعها في حدود الاصطلاح الأدبي لكلمة « مقامة » فهي عرض قصص قصير ، يقوم على الراوية والبطل .

والبطل ــ عادة ــ أديب أدركته الحرفة فهو مكد يتسول ويستجدي الناس الذين يبهرهم



منامات الوهراني

ومقاماته ورسائله

بفصاحته وقوة عارضته وسرعة بديهته وتمكنه من الصناعة . ولهذا كانت المقامة معرضاً لغوياً وبيانياً نضدت فيه الألفاظ ، والأساليب مزوقة بالحلي اللفظية والمعنوية مسرفة في ذلك إلى الحد الذي نستطيع ـ مع شيء من التجوز ـ أن نطلق عليها اسم الأقصوصة اللغوية . **والمقامة بهذا المعنى وبهذا الشكل فن أدبي مستحدث له بداية معروفة . فقد نشأ في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري على يد أبي الفضل أحمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان الهمذاني (٣٥٨ ـ ٣٩٨ هـ) ».**

ثم يعود الأستاذ « **أبو فاشا** » فيقول :

« وظلت مقامات البديع عملاً فرداً كالشمس التي ليس لها نظير ، حتى جاء الحريري (**أبو محمد القاسم بن علي** ٤٤٦ ـ ٥١٦ هـ) ووضع مقاماته الخمسين ، فكسفت شمس البديع ، وتركت مقاماته وراءها ، وسارت مسار الكلمة العربية فشرقت وغربت وأقبل الدارسون على كتابتها ، والعلماء على قراءتها ، والتفكه بها ، وشرحها ، وتقليدها أيضاً » .

وهذا التعريف العلمي الدقيق للمقامة كشكل أدبي إذا ضاهيناه على مقامات الوهراني لوجدنا اختلافاً كبيراً لعله التطور الذي أدخله الوهراني على فن المقامة .

ويطيب لنا مع ذلك أن نأخذ نموذجاً من مقامات الوهراني أو آخر من مناماته أو ثالث من رسائله . لنأخذ سطور من المقامة البغدادية ، التي يصف فيها بغداد المحروسة وسفرته إليها ويمدح الخليفة .

قال الوهراني : « لما تعذرت مآربي ، واضطربت مغاربي ، ألقيت حبلي على غاربي ، وجعلت مذهبات الشعر بضاعتي ، ومن أخلاف الأدب رضاعتي ، فما مررت بأمير إلا حللت ساحته ، واستمطرت راحته ، ولا وزير إلا قرعت بابه ، وطلبت ثوابه ، ولا بقاص إلا أخذت سنيه ، وأفرغت جيبه . فتقلبت بي الأعصار ، وتقاذفت بي الأمصار ، حتى قربت من العراق ، وسُحت من الفراق . فقصدت مدينة السلام ، لأقضي حجة الإسلام . فدخلتها بعد مقاساة الضُر ، ومكابدة العيش المر . فلما قر بها قراري ، وانجلى فيها سراري ، طفتها طواف المفتقد ، وتأملتها تأمل المنتقد ، فرأيت بحراً لا يعبر زاخره ، ولا يبصر آخره ، وجنة أبدع جنّانُها ، وفاز باللذة سكانها ، لا يميل عنها المتقون ، ولا يرتقي إلى صفتها المرتقون » .

هذا نموذج من المقامة البغدادية ، ويليها ما يسميه بالمنام وهو طويل إلى حد لا يمكن المغامرة بنقله . والواقع أن « المقامة » عند الوهراني لا تكاد تختلف في كثير أو قليل عن « المنام » ، كلاهما شكل أدبي قصصي يستوعب الحكي والوصف الأدبي اللامع البرّاق ، وتصل اللغة فيه إلى حد عظيم من القدرة على اشتقاق المعاني العميقة واستبطان الأشخاص الذين يتكلم عنهم أو يلتقي بهم .

ولكننا إذا بحثنا فيه عن شكل « المقامة » كما نعرفها عند الهمذاني والحريري واليازجي وغيرهم ممن كتبوا المقامة ، لوجدنا أن الوهراني قد تجاوز هذا الشكل بخطوات كثيرة ، كل ما هنالك أنه لم يجد شكلاً يدرج تحته ما كتب سوى شكل « المقامة » باعتباره الشكل المستقر والمتعارف عليه في الأوساط الأدبية ، خاصة أن « المقامة » بطبيعتها كتبت أصلاً لتلقى على مجلس ما ، فهي حديث المقام ، وضعت نصب أعينها هدف التسلية والتسرية والإمتاع بما تحققه من تحريك للذهن وإيقاظ للمشاعر .

وإذا كان « الحريري » قد تربع على عرش « المقامة » في عصره وفي العصور التالية له ، إذ أوجد منها شكلاً أدبياً فنياً ، فتحولت على يديه إلى قصة موقف ، تتعرف خلاله على شخصيات حية نابضة تكاد تصادقها أو تنفر منها ، إلى جانب ما فيها من إعجاز لغوي وتركيب فني يتمثل في إمكانية قراءة المقامة أو الجملة من آخرها كما تقرأ من أولها وما شابه ذلك من التحديات الفنية التي اشتهر بها رجال الأدب واللغة في ذلك الزمان . أقول إذا كان الحريري قد فعل ذلك فإن الوهراني كان في الحق أوسع أفقاً ، وأنضج



★ بيرم التونسي ★

موهبة ، حتى أن « المقامة » صارت قصة وربما « رواية » قصيرة ،أي أنه اهتم في الدرجة الأولى بالرواية ، يليها الشخصية ، يليها الموقف .

نراه قد خرج عن الإطار المعهود ، فليس عنده شخصاً مستعاراً يحكي نيابة عنه ، فإذا كان ذلك الشخص المستعار مطلوباً في العصور الماضية فإنه لم يعد كذلك في عصر الوهراني ، بمعنى أن الحريري ومن قبله الهمذاني كانا يبدعان من منطلق طبقي ، أي أن كل واحد كأديب موهوب يعتبر من علية القوم ولا بد من أن يظهر كوجيه من الوجهاء ، خاصة وأنه يجالس أعلى المراكز وأرفع القوم ويبهجهم بحسن تعبيره وبقدرته على رسم الأشخاص وتلخيصهم وتلخيص حياتهم في عبارات حافلة بالمعاني مشبعة بالحكمة .. مثل هذا الوجيه لا يصح أن يحكي عن نفسه مواقف قد تحط من كرامته أو تقلل من شأنه في نظر مجالسيه ، أو تسيء فهمه على حقيقته في نظر قارئ له لم ير منظره ؛ فكان لا بد له إذن من شخصية يستعيرها من الحياة ويرسمها بدقة ، ليجعلها تخوض كل التجارب وتندب في كل المواقف ، وليتمكن ككاتب مبدع من ممارسة حريته في الإفضاء وفي التعبير عن مكنون صدره ، وقد يكون الموقف الذي وقفته الشخصية المستعارة هنا أو هناك قد وقفه الكاتب نفسه .

الوهراني لا يتذرع بهذه الشخصية المستعارة ، إنما هو الذي يروي عن نفسه وعن الآخرين ، بكل صراحة وبساطة ووضوح ، فليس يعيبه من الأحاسيس ما كان ضعيفاً لأنه أفرغه في تعبير طهر نفسه منه ومن ثم سيعمل على تطهير الآخرين . ربما كانت ثقافة الوهراني واتساع أفق العصر وانفتاحه على الثقافات الأخرى هو الذي جعل منه أديباً يعتمد الصدق وحده في نقل ما يحس به تجاه الحياة والأشياء والآخرين ، وفوق ذلك فقد نزل من التعابير الأرستقراطية المفخمة التي تليق بمجالس علية القوم ، إلى التعابير الحية التي تسير على أقدامها في شوارع الحياة وأماكن لهوها ومواطن ضعفها وقسوتها وبؤر آلامها ، فليس بمستغرب إذن أن نجد في أسلوبه ألفاظاً تبدو غريبة أحياناً وعامية أحياناً أخرى . لكنك إن دققت في تعابيره وفي قاموسه لوجدته من أصل فصيح ، إلا أن الألفاظ اكتسبت عنده ألواناً جديدة وإشعاعاً جديداً لأنه جاب الآفاق وراءها .

وإذا كانت المقامة بمعناها التقليدي تعتبر لوحة أدبية تزداد جودا كلما تقادم بها العهد ، فإنها عند الوهراني تعتبر صوراً حية دافقة ، إذ هي تقدم الناس والحياة وتقدمها بفن خلاق ..

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الوهراني يجعل من التاريخ المعاصر مادة قصصية له . وكتابه الذي نحن بصدده يشتمل على أصول أصيلة لمجموعة من الفنون المعاصرة ، نرى فيها مثلاً أصل اللقاءات الصحفية والأدبية والتاريخية التي نقرأها في صحفنا اليوم ، فهو يقدم لقاءات مع ناس لامعين في عصرهم بل ومسؤولين ومن هم فوق المسؤولين ، ويجري معهم حوارات غاية في الطرافة والصراحة والصفاء ، تبلغك عنه المعلومة كأنها سلوك إنساني حي . ونرى فيها أيضاً شكل التحقيق الأدبي وشكل المقالة الاجتماعية ، كذلك نرى فيها شكل المواقف المسرحية التي لا تجيء إلا من خلال عين لاقطة ، فضلاً عن قليل من القصة القصيرة . فللكتاب إذن قيمته الفنية والتاريخية ، إذ هو فضلاً عن إمتاعه الفني والأدبي يصلح أن يكون مرجعاً تاريخياً هاماً لدراسة تلك الفترات الهامة من تاريخنا .



عن فكرة لشاعر الهند الكبير "رابندرانات طاغور"

أمنيتان لطفل

شعر: عبد العليم القباني

(١) بائع الأساور

إذا دقَّتِ الساعةُ الثامنه وَغادَرْتُ بيتي إلى المدرسه
يقابلني بائعٌ في الطريق تضيءُ أساوره المؤنسه

★ ★ ★

يسير كما شاءَ في أيِّ دربٍ ينادي وليس يملُّ النداء
وألمح في وجهه بسمةً تضيء فما ثَمَّ من أوصياء

★ ★ ★

ألا ليتني مثله ، دائماً أنادي ، أَيا مَنْ يريد الأساور ؟
أنادي كما شئتُ ، أمضي بلا رقيب ينادي : تَمهَّل وحاذر

(٢) الخفير

وإن حَوَّمَ الليلُ فوق البيوتِ ولفّ المدينةَ ثوبُ الظلام
دعتني أمي إلى مخدعي .. وأن ألزمَ الصمتَ حتى أنام

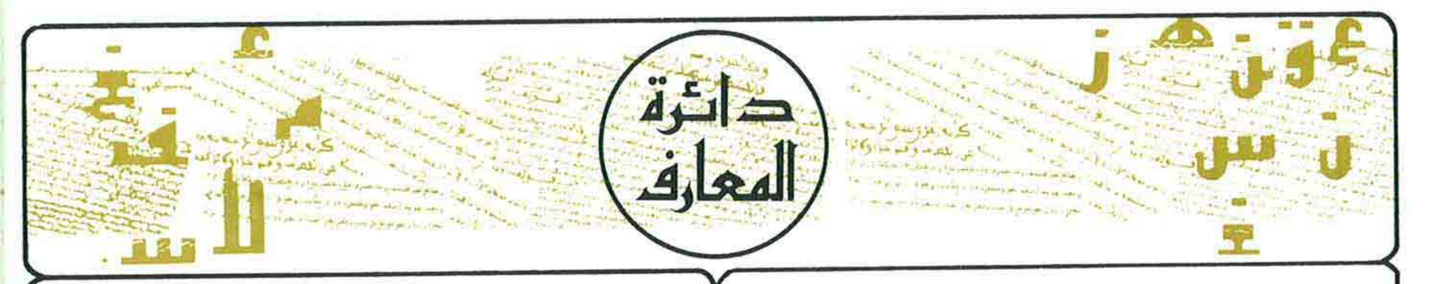
★ ★ ★

ولكن عيناي لمَّا تزلْ تطلُّ على جَنَبَاتِ الطريق
وألمحُ طيفَ «الخفير» الذي بيمناه مصباحه ذو البريق

★ ★ ★

يسير يميناً ويمضي شمالا وليس يخاف عصا أمِّهِ
فأهتف ، يا ليتني مثله جميع الأزقّة في حكمه





في الرياضيات



أس :

عدد أو رمز يوضع فوق عدد أو رمز آخر يسمى **القاعدة**، ويدل **الأسُ الموجب** على عدد المرات التي تتخذ فيها القاعدة معاملاً . في المقدار ($٤^{٢}$) العدد (٢) هو الأس الذي يعني تربيع العدد (٤) ، وفي التعبير ($ص^{٤}$) يعني ص × ص × ص × ص .



بديهية :

حكم في العمليات الرياضية يُقبل ويُسلَّم بصحته دون برهان ، **ويستخدم في حل المسائل** وفي البرهنة على أحكام أخرى . ومن البديهيات الرياضية المهمة : إذا أضيفت كميات متساوية إلى أخرى متساوية فإن النتائج تكون متساوية .



تناظر :

مقابلة أو علاقة بين مجموعتين يرتبط كل عنصر في واحدة منها بعنصر فرْد مناظر له في المجموعة الأخرى .

تبديل :

ترتيب مجموعة ما من عناصر ترتيباً معيناً ، وكذلك إحلال فرد مكان فرد آخر من مجموعة ما داخل هذه المجموعة عينها ، أو تنظير هذه المجموعة من التباديل : أ ب جـ هو أ جـ ب أما بقية التباديل الممكنة فهي أ ب جـ ، ب أ جـ ، ب جـ أ ، جـ ب أ ، جـ أ ب .

ثنائي :

صفة لما يعتمد على اثنين وصفة لما يتكون من شيئين أو جزءين وصفة لما يستخدم شيئين أو عنصرين أو يضمهما ولما هو مرتب اثنين اثنين . . الجمع عملية ثنائية تعطينا قاعدة لضم عددين لكي نحصل منهما على عدد واحد يسمى المجموع .



جذر :

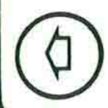
أحد الأعداد أو العبارات الجبرية المتساوية الذي إذا ضُرب في نفسه عدداً من المرات مساوياً دليل الجذر نتج عن ذلك عدد أو مقدار معين كالعدد (٢) الذي يمثل الجذر الخامس للعدد (٣٢) لأن ٢ × ٢ × ٢ × ٢ × ٢ = ٣٢ .



حد :

العدد (أو النقطة) الذي تقترب منه متتالية أو متسلسلة ، وتعني كذلك القيمة التي يقترب منها المتغير التابع في دالة ما عندما يقترب المتغير المستقل من قيمة معينة .

المتسلسلة ٠,٣ + ٠,٠٣ + ٠,٠٠٣ + ٠٠٠٠ + ٣ (١٠)$^{-ن}$ + ٠٠٠ نهايتها العدد المُنْطَق ١/٣ .





خارج قسمة :

النتيجة التي يحصل عليها عندما يقسم عدد أو مقدار ما على عدد أو مقدار آخر . . خارج قسمة ٢٤ على ٣ هو ٨ .



دالة :

مجموعة من أزواج عددية مرتبة بحيث لا يتزاوج فيها طرفان ثانيان مع الطرف الأول نفسه .

الدالة « د » التي تعرفها المعادلة :

ص = ٥ س + ٢ أو د (س) = ٥ س + ٢ هي دالة خطية لأن رسمها البياني خط مستقيم .



ذات حدين :

عبارة جبرية تتكون من مجموع حدين أو من الفرق بينهما مثل (أ + ب) أو (أ ـ ب) . . في المعادلة الجبرية كثيراً ما توضع المقادير ذات الحدين بين قوسين : (   ) .



رسم بياني :

رسم يبين علاقة بين أعداد وهو كذلك سجل لهذه العلاقة يسجله جهاز آلي مثل المرسام الحراري الذي يسجل درجات الحرارة خلال مدة من الزمن .



زوج مرتب :

عددان يوضعان عادة بين قوسين يوصفان بأنهما مرتبان لأن ترتيب وضعهما في قوس مهم فمثلاً (س ، ص) لا تساوي بصفة عامة (ص ، س) .



سالب :

صفة لمقدار أقل من الصفر أو لكمية اتجاهها يضاد الاتجاه الذي يُعد موجباً . العدد (ـ ٣) عدد سالب .



شُعَاع :

المستقيم الممتد من مركز الدائرة أو الكرة إلى أية نقطة على محيط الدائرة أو سطح الكرة (وهو ما يسمى نصف القطر) .



صفر :

العدد العادّ الذي يعني العد ، وهو أيضاً الشيء أو العدد الذي إذا ما أضيف إلى عدد معلوم ما كان حاصل الجمع مساوياً لهذا العدد المعلوم . حاصل ضرب أي عدد في الصفر يساوي صفراً .



ضرب :

عملية أو قاعدة تستخدم لإيجاد حاصل ضرب عددين أو عبارتين رياضيتين ، وفي **نظام الأعداد الطبيعية** يمكن تصور الضرب بأنه تكرار للجمع ، أما في حالة الأعداد الأخرى فإن فكرة الضرب تكون مستمدة بوجه عام من الفكرة المنطبقة على حالة الأعداد الطبيعية (الأعداد الصحيحة الموجبة) .



طَرَف :

الحد الأول أو الأخير في متوالية أو نسبة رياضية وهو أحد جزءي معادلة تفصل بينهما علاقة تساوي = ويقال للجزءين الطرف الأيمن والطرف الأيسر . . الطرف الأيمن للمعادلة ٥ س + ٣ = ٢ س ـ ٦ هو ٥ س + ٣ .



ظل الزاوية :

دالة في **حساب المثلثات** وظل الزاوية الحادة في مثلث قائم يساوي النسبة بين الضلع المقابل للزاوية وبين الضلع المجاور لها .



عدد أولي :

عدد صحيح موجب لا يمكن قسمته إلا على نفسه أو على الواحد

الصحيح مثل ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٧ ، ١١ ، ١٣ ، ١٧ وجميع الأعداد الأولية فردية ما عدا (٢) .



غلاف :

منحن أو سطح يمس جميع أفراد مجموعة من المنحنيات أو السطوح .



فاصل :

كل النقط أو الأعداد التي تقع بين نقطتين قصويين ، وقد يشمل الفاصل النقطتين القصويين (**فاصل مغلق**) أو لا يشملهما (**فاصل مفتوح**) . . ويمكن أن نرمز للفاصل المغلق الذي يشمل جميع الأعداد الحقيقية من ١ حتى ١٠ بالرمز [١ ، ١٠] .



قاسم مشترك :

عدد أو (مقدار جبري) يمكن أن يُقسم عليه قسمة صحيحة عددان أو (مقداران جبريان) أو أكثر . أو هو واحد من العوامل لجميع هذه الأعداد أو المقادير الجبرية . . والقاسم المشترك للأعداد ٨ ، ٣٢ ، ٦٤ هو (٨) .



كمية مجهولة :

حرف أو رمز يمثل قيمة عددية يُطلب إيجادها بشروط معينة وهي كذلك متغير يوجد في المعادلات الرياضية . في المعادلة ٥ س + ١٢ = ١٧ تكون الكمية المجهولة هي (س) .



لا تمركز :

في القطع المخروطي : النسبة بين نقطة ما على المنحنى عن إحدى بؤرتيه وبين بعد هذه النقطة عن دليل البؤرة . وهذه النسبة هي ثابتة تبين كيف يختلف القطع المخروطي عن شكل الدائرة . . وفي الدائرة اللاتمركز يساوي دائماً صفراً .



متتالية حسابية :

مجموعة من الأرقام تتزايد أو تتناقص على التتالي بمقدار ثابت كالمتسلسلة ٣ ، ٦ ، ٩ ، ١٢ ومقاسات الملابس الجاهزة تتزايد في الغالب طبقاً لمتتالية حسابية كالأحجام ١٠ ، ١٢ ، ١٤ ، ١٦ ، ١٨ .



نظرية :

مقولة تتطلب برهاناً وهي أيضاً مقولة أو عبارة يمكن استنتاجها من مجموعة تعريفات ومسلمات ومن نظريات سبق إثباتها . ومنطوق إحدى نظريات الهندسة إنه إذا تساوى ضلعان في مثلث فإن الزاويتين اللتين تقابلانهما تكونان متساويتين .



هندسة مستوية :

فرع الهندسة الذي يتناول بالمعالجة المنطقية خصائص الأشكال المستوية مثل الخطوط المستقيمة والزوايا والدوائر ومتعددات الأضلاع كما يتناول مميزاتها والعلاقات بينها .



وحدة :

أصغر عدد صحيح موجب وهو الواحد وهو كذلك معيار للقياس أو كمية يمكن تعيينها مثل اللتر أو المتر . والسنتيمتر المربع وحدة قياس مساحة السطوح .



ياردة :

وحدة طول تساوي (٣) أقدام أو (٣٦) بوصة أو ٠,٩١٤٣٨٣ من المتر . . وتستخدم الياردة في قياس القماش في بعض الدول .



العيادة النفسية والاجتماعية





حالة انطواء

● القارئ (م . م . عبد اللطيف) من طنطا في مصر يقول: إنني شاب في الخامسة والعشرين من عمري، أعمل محاسباً في إحدى الشركات الخاصة.. كنت أثناء دراستي، وحتى تخرجي من الجامعة متفوقاً، ولا يصرفني عن طلب العلم والمعرفة أي شيء... ولكن لم يكن لي أصدقاء كثيرون، كما كنت أميل إلى الوحدة والتأمل في أمور الحياة. وفي الآونة الأخيرة. خيم الحزن والاكتئاب على حياتي، وأصبحت أشعر أن روحي المعنوية قد انخفضت لدرجة أكاد أستسلم معها للبكاء، كما أصبحت أحس أن ليس لحياتي أي قيمة أو أهمية.

●● يفهم من حالتك أن اهتمامك الزائد بدراستك، وحرصك على التفوق العلمي قد حجبك عن إقامة صداقات مع الآخرين، وهذا ما جعلك تنزع للوحدة والتأمل، فتحول إلى شعور بالحزن والاكتئاب، ننصحك بالانفتاح على الحياة، ومحاولة إقامة علاقات مع الأشخاص الطيبين، ووضع أهداف معقولة لحياتك تسعى لتحقيقها، وتشغل نفسك بها وبأمور إيجابية ونافعة في الحياة، ولتنظر للحياة على أن لها قيمة وأهمية في بناء مستقبلك ومستقبل أسرتك.. وانظر إلى نواحي النجاح في حياتك، وهذه الأمور كفيلة بأن تبعث فيك روح الأمل والرجاء والتفاؤل.. ولا تنس علاقتك بربك، وعمل الخير، والإحسان للآخرين بالكلمة الطيبة، والتعامل الحسن.. ونحن على ثقة أنك ستتجاوز هذا الشعور، لأن قيمة الإنسان في ما يعمله.. وحب الناس جزء من سعادة الإنسان.. والله يوفقك.



أم غير عادلة

● القارئة (خ . ت . ك .) من الجزائر ـ تقول: أنا طالبة جامعية، أبلغ من العمر خمسة وعشرين عاماً، وأعتبر بالنسبة لأخواتي البنات الأخت الكبرى، ولي أخت أصغر مني بثلاثة أعوام فقط لكنها متفوقة عني في الدراسة، لذلك أحس دائماً ومنذ الصغر بتميزها عني في المعاملة من قبل أمي، حتى إذا تشاجرت معي، وكانت هي الغلطانة فإن أمي كانت تنهرني أنا فقط. ونتيجة لذلك أصبحت أكره أختي وأكره نفسي وأصبحت أميل إلى العزلة وينتابني أحياناً شعور باللاكتئاب والحزن والبكاء.

●● لا شك أن الأم مطالبة بمعاملة جميع أبنائها على قدم المساواة، وهي مدعوة لتوزيع عطفها وحنانها ورعايتها عليهم بالعدل، ومن الخطأ التفرقة أو التمييز في المعاملة، أو معايرة الطفل برسوبه، والمفروض أن لكل فرد من أفراد الأسرة قدراته الطبيعية التي تختلف عن غيره.

وأنت يا عزيزتي لا تشجعي في نفسك مشاعر الكره نحو أختك، فإذا كانت أمك قد أخطأت في رأيك فلا ينبغي أن تخطئي أنت أيضاً. فليس هناك في الواقع أكثر حناناً عليك من أمك وأختك مهما حصل.. وأرجو أن لا تكوني مبالغة في شعورك.. وحاولي التفاهم مع أمك بالحسنى وتوضيح الأمور مع الصبر، لأن الحياة الأسرية لا تخلو من المشاكل التي لا تؤثر كثيراً إذا قوبلت بالحلم والصبر والحكمة.



شرود الذهن والسرحان

● القارئ (ع . م . ط . من القصيم) يقول إنه يشعر بحالة غريبة، فذهنه دائماً شارد، وهو في حالة سرحان وتشتت، ويجد صعوبة كبيرة في التركيز وجذب الانتباه، ويشعر أنه

●● من أجل أن نزرع وردة في جفاف صحراء النفس .. ونرسم فجراً مشرقاً في مواجهة الظلمة والعتمة الداخلية والخارجية .. و نمد جسوراً من الآمال أمام النفوس المحبطة والمتشائمة والمعقدة اجتماعياً ونفسياً .

من أجل كل هذه الأهداف والمعاني الإنسانية النبيلة تطل مجلة « الفيصل » من خلال هذه النافذة « العيادة النفسية والاجتماعية » على قرائها أملاً في الإسهام بإيجاد الحلول الصادقة المخلصة لكل صاحب مشكلة نفسية أو اجتماعية والله الموفق .

عاجز عن تحصيل دروسه العلمية ، وخاصة بعد أن عرض عليه والده المسن الزواج ، والاشتغال ، وترك الدراسة وإكمال تعليمه منتسباً ... إلخ .

●● يبدو أن مشكلتك ناتجة عن كثرة تفكيرك في الزواج وترك الانتظام في الدراسة ، الأمر الذي وضعك في حالة صراع دائم للاختيار بين هدفين : هما الزواج أو الدراسة . ننصحك بإقناع والدك بتأجيل فكرة الزواج ، والاستقرار في دراستك حتى تكملها . وبعد الخلاص من هذا الصراع ستجد نفسك ـ بعون الله تعالى ـ أكثر قدرة على تركيز الانتباه ، وعلى الفهم والتحصيل والاستيعاب . إن إبعاد مشاكلك يساعدك على صفاء الذهن ، والاستغراق في الدراسة التي يتعين أن تكون هوايتك ، وأن تجد فيها متعتك ومستقبلك . ويمكن استخدام أكثر من حاسة من حواسك أثناء الدراسة كأن تقرأ وتكتب ما تفهمه ، أو ترسم الخرائط والصور والأشكال التوضيحية .



تعثر في نطق بعض الحروف

● الأخ (ع . ا . من الجزائر) يقول : أنا شاب ما زلت في مقتبل العمر ، أعاني من صعوبة بالغة في نطق بعض الكلمات التي تحتوي على حرف « الراء » ، وقد جعلتني هذه الحالة مثاراً للسخرية والتندر بين زملائي ، رغم ما أتمتع به من مركز أدبي وعلمي ، وأشعر بأنني في دوامة مستمرة من هذه « العاهة » .

●● هذه ليست عاهة كما تتصور ، لكنها مجرد عادة بسيطة ، وإن كانت عادة غير محبوبة ، وهي بالقطع ترجع لأسباب نفسية محضة ، ولعلاجها عليك أن تعد قائمة من العبارات التي تتضمن حرف « الراء » ، ثم تأخذ في قراءتها عدة مرات وأنت تحت تأثير ما يعرف باسم الغطاء أو المأوى Shelter ، بحيث تقرأ بصوت مرتفع ولا تسمع صوتك ، فلا تشعر بالحرج وفقدان الثقة الذي تشعر به حين تسمع عيوب نطقك . وقد يكون هذا المأوى صوت موسيقي أو غناء مرتفع من تسجيل أو مذياع أو من التليفزيون . وبعد تكرار هذه المعالجة تستطيع أن تلغي المأوى تدريجياً حتى تسمع صوتك بنطقه الصحيح .

ابني يمص أصابعه

● القارئة (سلوى ع . م . من الإسكندرية) تقول إن نجلها الأول اعتاد على ممارسة عادة مص أصابعه بصورة مستمرة ، سواء أكان جائعاً أم شبعاناً .. وأصبح أخيراً يبالغ في هذه العادة لدرجة أنه يضع كلتا يديه في فمه ، حتى يشعر بالقيء ، ولقد ظهرت هذه الحالة أخيراً بعد أن رزقت بطفلة أخرى كانت تتوق بشغف إلى إنجابها .

●● مص الأصابع من العادات السلوكية السلبية ، التي يتعين تخليص الطفل منها ، وخاصة إذا كان يمارسها بصورة مستمرة ، والطفل السوي يحتاج إلى ممارسة الامتصاص لمدة ساعتين يومياً ، ولكن ليس امتصاص أصابعه . ويبدو أن حالة ابنك الأول ترجع إلى تأزمه من وجود المولودة الجديدة ، التي يبدو أنك وجهت إليها كل اهتمامك ، وأهملت ابنك الأول . ننصحك بتوزيع اهتمامك ورعايتك وعطفك وحبك على ابنك وابنتك بالعدل والمساواة ، وبعد إشعاره بالعطف سوف يقلع عن هذه العادة .. والله الموفق .



مناقشات

وتعليقات

اللغة والتطور والمنهج المعياري

هذه هي المرة الأولى التي أكتب فيها «للفيصل» الغراء، وإن كنت من الحريصين على قراءتها؛ فـ«الفيصل» - ولست في هذا الرأي بواحد ولا أول - هي من معالم الحركة الثقافية العربية المعاصرة وقسماتها المضيئة. وندعو الله لها بالثبات على نهج الجدية والرصانة فيما تأخذ وما تدع، وفيما تقدمه لقرائها من زاد.

هذه العلاقة الحميمة بين المجلة وقرائها جديرة بالرعاية والحياطة من كليهما. وهذا ما حفزني - على كره مني في اللدد والخصام - إلى أن أكتب بهذه المراجعة لموضوع سبق الأخ الأستاذ **الدكتور صلاح الدين صالح حسنين** إلى الكتابة فيه في العدد الثمانين من «**الفيصل**» تحت عنوان «اللغة والتطور.. المنهج المعياري في الدراسة اللغوية»، وكاتب المقال مشكور مأجور على كل حال. بيد أن أكثر ما جاء بالمقال في حاجة - من وجهة نظري - إلى إعادة نظر.

إن أول ما يبدهنا في المقال هو عنوانه الذي صيغ على نحو غير مفهوم. هكذا جاء العنوان: «اللغة والتطور. المنهج المعياري في الدراسة اللغوية». **ومعلوم أن القول بالتطور اللغوي يطرح فكرة مخالفة للمنهج المعياري إلى حد النقيض.** فالأول يؤمن بحركية اللغة وتغيرها ويعنى برصد ما يطرأ على ظواهرها من تطور، والثاني يرفض هذه الحركية ويتغيا تثبيت قواعد اللغة، ويدين كل خروج عن إطارها واصماً إياه باللحن والتحريف. وصياغة العنوان على هذا النحو قد تجعل بعض القراء يلجون إلى فحوى المقال وهم معتقدون أن النظريتين مترادفتان أو أنهما من قبيل اختلاف التسمية ووحدة المسمى. وهذا غير مراد للكاتب ولا شك. أضف إلى ذلك أن المنهج الذي جاء في العنوان ثانياً هو سابق في الزمن، والذي سيق في صدر العنوان لاحق. وهذا الوضع المعكوس يمكن أن يؤدي إلى لبس لا يتسنى رفعه بسهولة. وقد كان من الممكن أن تستقيم الأمور على الجادة لو أن الكاتب اكتفى بالعنوان الأول «**اللغة والتطور**»، وجعل من الثاني «**المنهج المعياري في الدراسة اللغوية**» عنواناً جانبياً يكتب بحروف من جنس حروف المقال. وهنا يكون العنوان مدخلاً يتخذ فيه الكاتب من بيان النظرة المعيارية عند القدماء مقدمة منطقية وتاريخية لعرض فكرة التطور. ولعل ذلك هو ما أراد الكاتب ولكن سبق القلم بما كان.

وإذا انتقلنا من عنوان المقال إلى صلبه وجدنا الكاتب قد ربط بين المنهج المعياري - القائم على تحديد معايير الخطأ والصواب في اللغة - بالمنطق. بيد أن ما هو معلوم للكافة بالضرورة هو أن النظر المعياري للغة أسبق من تأثر النحاة بالمنطق؛ فقد كان **النحو الهندي السنسكريتي** منطلقاً من أساس معياري يتغيا الحفاظ على لغة كتاب الهنود المقدس، وكذلك كانت نشأة النحو العربي تلبية لحاجة ملحة هي حياطة النص القرآني، وحفظه من التشويه والتحريف حتى لا تلتوي به الألسنة العجماء. وقد كان ذلك كله ولم يكن منطق. وليس في مقالي هذا نفياً لتأثر النحو العربي بالمنطق، لكن ذلك كان في القرون اللاحقة، ثم إنه امتد ليشمل جميع جوانب الدرس اللغوي غير مقتصر على تأسيس الجانب المعياري وحده. وهمُّنا هنا هو فك الجهة بين نشأة النظرة المعيارية والمنطق.

على أن الكاتب بعد أن أكد ارتباط المنهج المعياري بالمنطق قرر أن هذا المنهج «انقسم كما **تنقسم أبحاث المنطق** إلى قسمين»، وجعل القسم الأول يعتمد على **القياس**، والثاني يعتمد على **السماع**. والحق أني لا أعرف أحداً قبل الكاتب قسم أبحاث المنطق هذا النحو من التقسيم، بل إنه يستخدم في ذلك صيغة المضارعة «تنقسم»، ليقول إن هذا التقسيم هو العرف العلمي الجاري بين العلماء إلى يوم الناس هذا. **فهل يمكن للكاتب أن يدل قارئه على مرجع واحد، قديم أو حديث، عربي أو أجنبي أو معرب يقسم أبحاث المنطق إلى قياس وسماع ؟!**.

عدِّ عن ذا، وانظر بعد أن عرض للمنهج المعياري كيف تحول إلى معالجة المنهج الآخر، واضعاً له عنواناً بارزاً في وسط السطر هو «**المنهج العلمي**». وسؤالنا هنا هو: **هل يمكن بمفهوم المخالفة الذي ذكره أسلافنا من علماء الأصول أن نعتبر المنهج المعياري بناء على ذلك «منهجاً غير علمي»؟!**.

إن كان ذلك مراداً للكاتب، فالأمر من الخطورة بمكان؛ إذ إنه يعني أن علينا جمع التراث النحوي العربي كله ووضعه في سلة المهملات. وما كذلك يكون النظر في الأمور. **إن المنهج المعياري له مجاله، والمنهج التطوري له مجاله، ولا غنى عن الأول في باب التعليم والتلقين، ولا غنى عن الثاني في باب العلم والفقه بظواهر اللغة**. وما يزال للمنهج المعياري - في بابه - سلطان لا يتحلحل؛ وإلا لكان جميع ما تفعله الأمم وما تصطنعه من وسائل لتعليم اللغات لأبنائها ولغير أبنائها عبثاً في عبث. ومعلوم بالضرورة أيضاً أن مثل هذا

مناقشات وتعليقات

التعلم لا يمكن أن يقوم إلا على أساس معياري هو وجوب التمييز بين الخطأ والصواب، وضرورة الإعراض عن الأول والاستمساك بالثاني.

ثم نرى الكاتب تحت عنوان «المنهج العلمي» يلخص آراء **دي سوسير** بوصفه واضع المنهج الحديث في دراسة اللغة فيجعلها ثلاثة آراء، حدد أولها وثانيها بقوله:

(١) اللغة كائن حي.
(٢) اللغة ظاهرة اجتماعية.

وسؤالنا هنا أيضاً: كيف لم يفطن الكاتب إلى تناقض المقولتين بحيث إن القائل بالأولى لا يمكن أن يكون هو عينه القائل بالثانية، وإلا وقع في الإحالة والتناقض؟. إن هذا التلخيص ينكره **دي سوسير** نفسه أشد الإنكار، وما ينبغي بحال من الأحوال أن يحمل عليه؛ ذلك أن المقولة التي تصف اللغة بأنها «كائن حي» هي مقولة ولجت إلى دراسة اللغة في القرن التاسع عشر من خلال **شليخر** وأتباعه ممن فتنوا في ذلك الحين بنظرية **دارون** في «أصل الأنواع». وقد أصبحت اللغة في نظريتهم كائناً حياً يولد ويحيا ويتناسل ويموت ويتصارع، وهو في ذلك كله محكوم بقوانين ونواميس من داخله ذات طبيعة حتمية صادقة، ومن ثم فاللغة كائن حي مفارق في نشأته وتطوره لإرادة الفرد والجماعة. وقد تبين للعلماء خطأ هذه المقولة وخطرها، وكانت **مدرسة شتنتال النفسية** ومدرسة النحويين المحدثين رداً علمياً مغايراً لمقولات اللسانية الدارونية. أما دي سوسير فقد خرج فكره من تحت عباءة النحويين الشبان وخالفهم في كثير، ولكن نظرته إلى اللغة لم ترتد إلى الدارونية بحال. فالنظرة الدارونية أصبحت وقد تجاوزها الزمن، وثبت خطؤها بيقين. وذلك أمر واضح بأيسر النظر، فتأكيد دي سوسير للطبيعة الاجتماعية لظاهرة اللغة متأثراً بأستاذه **دوركايم** لا يجعل للغة كياناً مفارقاً لإرادة البشر بل يجعلها ظاهرة محكومة بقواعد الاجتماع البشري.

وعلى الرغم من وضوح ما سقناه من حديث نجد وصف اللغة بأنها «كائن حي» يجري على أقلام كثير من المتخصصين العرب ــ ومن بينهم علماء أجلاء ــ ربما بحسن نية، أو على سبيل المجاز، وربما كانوا في ذلك متأثرين ببعض من كتب في الموضوع من أمثال **جرجي زيدان** في كتابه المعنون «**اللغة العربية كائن حي**». بيد أن جرجي زيدان لم يكن ساذجاً، ولم يستخدم العبارة على سبيل المجاز بل كان يعني ما يقول. وما ينبغي ــ في ظني ــ لعلمائنا أن يقعوا في شرك هذه العبارة الخطيرة؛ لأنها أثر من آثار الغزو الفكري أولا، ولأنها محض خطأ ثانياً.

حقاً إن فكر دي سوسير يؤمن بأن اللغة تتغير، وإن له رأياً ومنهجاً معروفاً في دراسة هذا التغير، ولكنه ينكر أشد الإنكار أن يكون تغيرها من قبيل تطور الكائن الحي. ذلكم أمر يعرفه كل من اتصل بفكر دي سوسير وهو فكر مشهور ذائع في الناس. فكيف إذن بالكاتب يجعل هذه المقولة أساساً من أسس البحث عن دي سوسير؟.

أما حديث الكاتب عن أسباب التطور اللغوي ومظاهره ففيه قدر لا يستهان به من العجلة وأخطاء التصنيف. مثال ذلك أنه يضع تغير حرف المضارعة بين الفتح والكسر تحت التطور الصوتي. وليس ذلك تطوراً صوتياً بحال، بل هو اختلاف في الصيغ ينبغي عزوه إلى الجانب الصرفي.

كذلك اعتباره ما سيق من فرض حول تطور «لأن» إلى «لعل» من قبيل التطور في البنية الصرفية، ولا صلة لما ذكر بالبنية الصرفية من قريب أو بعيد إلا إذا كان لهذا المصطلح لديه مفهوم يغاير ما عليه الناس. كما تجد الكاتب إذ يشير إلى التطور ينص على الأصل والفرع جاعلاً ما شاع من سنن الفصحى أصلاً بالضرورة، وما خالفها في اللهجات القديمة فرعاً بالضرورة. وهذا أمر لا يستقيم في كل حال؛ فقد يكون ما عده أصلاً هو الفرع، وما ظنه فرعاً هو الأصل. وهذا أمر معروف أيضاً لكل من شدا طرفاً في علم اللغة التاريخي. وغير ذلك كثير مما يطول بنا القول إذا أردنا له تتبعاً واستقصاء.

وبعد؛ فإني أقول قولي هذا آملاً ألا يقع من نفس الكاتب الفاضل موقعاً لا أرضاه فإن بيني وبينه صلة واشجة، ومودة قديمة هي عندي حقيقة بالرعاية. بيد أن لمجلة «**الفيصل**» وقرائها، وللعلم وطلابه عندي أيضاً حقوقاً رأيتها أولى بالقضاء.

د. سعد مصلوح

☆ ☆ ☆



شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

أ ـ الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي)، وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي).

٢ ـ المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز.

٣ ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب (٣) المسابقة).

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج.

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها.

٥ ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

٦ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن جميع الأسئلة مأخوذة من الموضوعات المنشورة بالمجلة.

السؤال الأول :

ما الاسم الحقيقي للمؤسسات العالمية التي يرمز إليها اختصاراً بـ : اليونسكو ـ اليونيسيف ـ ناسا ؟

السؤال الثاني :

في أي عام صدرت طوابع البريد لأول مرة .. وأين ؟

السؤال الثالث :

لماذا سميت قبيلة «قريش» العربية بهذا الاسم ؟

السؤال الرابع :

لماذا يتعلم الصغار العلوم الصعبة، بسهولة وبكثرة أكثر من الكبار ؟

السؤال الخامس :

ما اسم أول معجم أُلِّف في اللغة العربية .. وما اسم صاحبه .. وفي أي قرن من القرون الهجرية ؟

★ ★ ★



قسيمة مسابقة مجلة الفيصل
العدد (٨٩)

الاسم : --

المهنة : --

العنوان : --

● أجوبة مسابقة العدد (٨٢) ●

ج ١ مؤلفا الكتابين التاليين هما :

● إحكام الأحكام : أبو محمد علي بن أحمد بن حزم القرطبي الأندلسي .

● مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر الخوارزمي ، المعروف بالسكاكي .

ج ٢ أشهر عالم اخترع المجهر « المايكروسكوب » هو العالم الهولندي « أنتوني فان ليوفينهوك » . . وقد كررنا السؤال في مسابقتين ، وأشرنا في إحداهما أنه ألماني وذلك لكي نلفت نظر بعض الكتّاب (مع الأسف الشديد) وبعض القرّاء إلى الخلط الذي يقعون فيه بين مفهوم الكلمتين DUCH (بمعنى هولندي) و DEUTSH (بمعنى ألماني) . . مع الاعتذار للجميع .

ج ٣ صدرت مجلة « العروة الوثقى » في عام ١٣٠١ هـ ، الموافق لعام ١٨٨٤ م ، في باريس ، وقد أصدرها جمال الدين الأفغاني ، بالتعاون مع الشيخ محمد عبده . صدر منها ١٨ عدداً ، ثم توقفت . وكانت لسان حال « جمعية العروة الوثقى » في فرنسا ، التي دعت إلى نصرة الإسلام ، وحرية المسلمين .

ج ٤ ممر « رونسفال » الذي يطلق عليه العرب « باب شزورا » أو « باب الشزري » الذي اشتهر بإحدى معارك العرب القديمة في الأندلس ، يقع في طرف جبال البرنيه الغربي ، شمال شرقي بنبلونة ، على بعد عشرين كيلومتراً منها ، وهو أحدث ممرات عدة كانت تستعمل منذ عهد الرومان لاختراق البرنيه من الشمال أو الجنوب للعبور إلى « غاليس » .

ج ٥ السورة الوحيدة من سور القرآن الكريم التي لا تبدأ بها البسملة هي سورة « التوبة » .

★ ★ ★

● نتيجة مسابقة العدد (٨٢) ●

● فازت بالجائزة الأولى ، وقيمتها (٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي ، الأخت **لطيفة محمد بن خاي** ، عين قادوس ــ المغرب .

● وفاز بالجائزة الثانية ، وقيمتها (١٥٠٠) ألف وخمسمائة ريال سعودي ، الأخ **حسن خليل مصطفى الكاشف** ، ديوان عام محافظة شمال سيناء ، العريش ــ مصر .

● وفاز بالجائزة الثالثة ، وقيمتها (١٠٠٠) ألف ريال سعودي ، الأخ **سلطان أحمد عبد الله ثابت** ، صنعاء ص . ب (١٠١٩٦) اليمن .

وهناك **سبع جوائز** ، قيمة كل جائزة (٥٠٠) خمسمائة ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من الباكستان ــ لاهور ، كلية K.E.M. ، الأخ منير عبد الرحيم محمد الدحيّات .

● من الأردن ــ إربد ، الأغوار ، المشارع ، ص . ب (٦) ، الأخ محمد أحمد سعيد إبراهيم .

● من السودان ــ كسلا ، ص . ب (١١٧) ، الأخ أحمد محمد عثمان .

● من الجزائر ــ العاصمة ، القبة ، الأخت نصيرة قديدح .

● من المملكة العربية السعودية ــ الأحساء ، القارة ، الجمعية التعاونية ، الأخ عبد الله أحمد محمد العلي .

● من سورية ــ حلب ، الأخت ماجدة عرب عرب .

● من مصر ــ المنصورة ، الأخت أشجان زكي علي إبراهيم .

بالإضافة إلى **عشر جوائز** ، قيمة كل جائزة (٢٠٠) مائتا ريال سعودي ، فاز بها الإخوة والأخوات الآتية أسماؤهم :

● من الكويت ــ الرميثة ، الأخ أحمد رامي القطان .

● من البحرين ــ المحرق ، ص . ب (٢٢١١٤) ، الأخ يوسف عبد الله الشبعان .

● من العراق ــ البصرة ، عشار ، محلة التميمية ، رقم ١٩١/٥٣ ، الأخ عبد الزهرة عبد الجبار علي .

● من الجزائر ــ قسنطينة ، ٢٢ نهج قديد صالح ، الأخ درويش محمد بن أحمد .

● من الإمارات العربية ــ أبو ظبي ، الأخت رجاء سليم عدي .

● من أندونيسيا ــ جاوا الوسطى ، كلوراهان ، الأخت زهيرة محمد أوليا .

● من موريتانيا ــ نواكشوط ، ENS, BP 629 الأخ يسلم بن حمدان .

● من المملكة العربية السعودية ــ حائل ، بقعاء ، الأخت إيمان رجب السرحان .

● من سورية ــ دمشق ، جامعة دمشق ، كلية الآداب ، قسم اللغة العربية ، الأخ توفيق علي خليفة .

● من تونس ــ جندوبة ، مركز التكوين المهني ، الأخ منجي الهادفي عبد الجليل .

كتب وردت إلى المجلة

«وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شانه أن يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى».

تيسير سبول العربي الغريب

تأليف **فايز محمود**، ويضم بعض المقالات والدراسات التي سبق أن نشرها المؤلف عن **الأديب الأردني الراحل تيسير سبول**. يقع الكتاب في (٨٠) صفحة من القطع الصغير. صدر عن **دار الكرمل للنشر والتوزيع بالأردن**.

المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري

تأليف **الدكتور محسن عبد الحميد**. تناول فيه المذهبية الإسلامية بمعناها الشمولي كدستور للوجود كله، ودورها في إحداث التغيير الحضاري بانتشال الحضارة من واقعها المادي وصولا إلى مناهج فلسفات وعلوم إنسانية إسلامية. يقع الكتاب في (١٥٤) صفحة من القطع الصغير، وترتيبه السادس ضمن **سلسلة «كتاب الأمة»** التي تصدرها **رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية بدولة قطر**.

تاريخ طب الأطفال عند العرب

دراسة من تأليف **الدكتور محمود الحاج قاسم محمد**. تناول فيها تاريخ طب الأطفال عند العرب وإسهاماتهم الطبية الرائدة في هذا الحقل. هذه هي الطبعة الثانية من الكتاب حيث صدرت الطبعة الأولى في عام ١٩٧٨م. يقع الكتاب في (١٧٦) صفحة من القطع المتوسط.. الناشر مطبوعات **تهامة ـ جدة**.

فن الكتابة الصحفية

دراسة من تأليف **الدكتور فاروق أبو زيد** حول فن الكتابة الصحفية وتطورها. وقد اشتملت الدراسة على مباحث عدة عن فن الحديث الصحفي، والتحقيق الصحفي، والتقرير الصحفي، والمقال الصحفي، مع تقديم نماذج تطبيقية لفنون الكتابة الصحفية في بعض الصحف العربية والأجنبية. يقع الكتاب في (٣٥٠) صفحة من القطع المتوسط. صدر عن **دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة بجدة**.

العقوبات المقدرة وحكمة تشريعها في ضوء الكتاب والسنّة

بحث قيِّم من تأليف **الدكتور مطيع الله دخيل الله الصرهيد اللهيبي**. اشتمل على شرح للجرائم والعقوبات المقدرة لها في الشريعة الإسلامية، ثم بيان حكمة مشروعيتها في ضوء الكتاب والسنّة. يقع الكتاب في (١٩٢) صفحة من القطع المتوسط، ويأتي ترتيبه العشرون ضمن **سلسلة «رسائل جامعية»** التي تصدرها **تهامة بجدة**.

رحلتي إلى إفريقيا العربية: الجزائر

تأليف الأستاذ **ناجي جواد**. استعرض فيه أحداث فترة هامة من **تاريخ الجزائر** الحديث منذ **الاحتلال الفرنسي** في عام ١٨٣٠م، إلى اندلاع وانتصار الثورة الجزائرية العارمة. يقع الكتاب في (١٢٤) صفحة من القطع المتوسط، وصدر ضمن **منشورات مجلة «الضاد» بحلب ـ سورية**.

تحفة اللطائف في فضائل الحبر ابن عباس ووج الطائف

تأليف العلامة الشيخ محمد المدعو **جار الله بن عبد العزيز بن عمر بن فهد الهاشمي**، ويشتمل على ذكر تاريخ مدينة الطائف، أخبارها وآثارها المباركة. نقلت من نسخة مخطوطة **بمكتبة الحرم المكي بمكة المكرمة** تحت رقم ١٥ دهلوي وهي بخط **الشيخ عبد الستار بن عبد الوهاب الدهلوي المكي الكتبي الصديق** وكذلك من نسخة مصورة **بمكتبة الأوقاف ببغداد**. قام بالتعليق على الكتاب ومراجعته كل من **محمد سعيد كمال ومحمد منصور الشقحاء**. يقع الكتاب في (١٦٨) صفحة من القطع المتوسط.. الناشر **نادي الطائف الأدبي**.

الرموز السرية في المراسلات المغربية عبر التاريخ

دراسة من تأليف **الدكتور عبد الهادي التازي** حول استعمال الرموز السرية في المخاطبات المغربية وهي ما تعرف في الوقت الحاضر **بالشفرة**. تناولت الدراسة الرموز السرية عبر التاريخ المغربي مع إلقاء الضوء على وثيقة مغربية تتعلق بموضوع المخاطبات السرية وجدت محفوظة بخزائن بعض موظفي الدولة في النصف الثاني من القرن الماضي. يقع الكتاب في (١٢٨) صفحة من القطع المتوسط، وصدر عن **المعهد الجامعي للبحث العلمي بالرباط**.



سيكو غالاكسي الجديدة
مجموعة ساعات الكوارتز العصريّة الأكثر جاذبيّة

سيكو ، ساعات العصر الحقيقية .
اناقة ، رهافة ، دقة متناهيه .
يمكنكم الاختيار من بين مجموعة
واسعة من الموديلات الانيقة
العصرية الطراز .
مجموعة سيكو غالاكسي الجديدة
انها حقاً مجموعة فريدة .





سيكو
SEIKO



المستقبل

والنمّو الوظيفي

في صناعة الزيت والغاز

توفره

أرامكو

لخريجي الجامعات ✕ **والمدارس الثانويّة السّعوديّين**
« الأفضلية للقسم العلمي »

"من حديثي التخرج وممن تتوفر لديهم خبرات سابقة"

التخصّصات الجامعيّة المطلوبة:

- هندسة البترول.
- الجيوفيزياء/ الجيولوجيا.
- هندسة كيميائية.
- هندسة كهربائية.
- هندسة ميكانيكية.
- هندسة أساليب ونظم /علوم الكمبيوتر.
- كيمياء صناعية.
- علوم (كيمياء - فيزياء - رياضيات).
- هندسة مدنية.
- هندسة صناعية
- محاسبة/ إدارة مالية، وإدارة صناعية.

يحصل الجامعيّون على الميزات التالية:

- برامج لتطوير الكفاءات.
- راتب مغر- حسب التخصص.
- إضافات في الراتب للشهادات العليا والتفوق والخبرات.
- راتب إضافي كل سنة.
- سكن بإيجار رمزي، أو راتب شهرين بدل سكن.
- برنامج تملك البيوت.
- أجازة سنوية مع ٥ ٪ من الراتب السنوي.
- عناية طبية للموظف وعائلته.
- برنامج للإدخار بالإضافة إلى نظام التأمينات الاجتماعية.
- ميزات عديدة أخرى.

يحصل حاملو الشهادات الثانوية على الميزات التالية:

- برامج ابتعاث للثانويين "علمي" المتفوقين للدراسة في جامعات المملكة والولايات المتحدة.
- برامج ابتعاث أخرى.
- برامج تدريب وتطوير في مجالات العمل.
- الراتب ابتداءً من ٣٩١٥ ريالاً.
- راتب شهرين كبدل سكن. أو سكن للأعزب حسب النظام.
- راتب شهر إضافي كل سنة.
- برنامج تملك البيوت.
- عناية طبية للموظف وعائلته.
- برنامج للإدخار. بالإضافة إلى نظام التأمينات الاجتماعية.
- أجازة سنوية.
- ميزات أخرى عديدة.

مجالات العمل المتاحة لخريجي الجامعات والمدارس الثانوية:

- التنقيب عن الزيت وهندسة البترول.
- تطوير حقول الزيت.
- إنتاج الزيت والغاز وأعمال التكرير.
- أعمال صيانة معامل الزيت والغاز ومرافق أخرى.
- تشغيل الحاسبات الألكترونية (الكمبيوتر).
- إدارة المشاريع والإنشاء
- والخدمات الهندسية.
- مجالات فنية وإدارية أخرى.

المناطق الرئيسية التي تتوفر فيها فرص العمل

- بقيق
- العضيلية
- المبرز
- شدقم
- العثمانية
- رأس تنورة
- الجعيمة
- الظهران
- جبل بري الجبيل
- السفانية
- ينبع

مكاتب التوظيف التابعة لـ "أرامكو"

الظهران : مبنى الإدارة الجنوبي. غرفة ٢٥٥. الظهران ت ٨٧٦٢٠٧٣ (الجامعيين)
الظهران : قرب مدخل حي شمال الظهران. على طريق الظهران الدمام ت ٨٧٦٠٤٢٠٥
الدمام : مبنى الشركة العقارية السعودية. مقابل بلدية الدمام ت ٨٣٤٦٦١١
الخبر : بناية عبد الهادي القحطاني. الدور العلوي شارع الظهران/الخبر ت ٨٦٤٨١٢٣
القطيف : شارع المحيط. تليفون ٨٥٥٢٤٤٦
رأس تنورة : مبنى الإدارة الجنوبي. المبنى رقم ٣١١. تليفون ٦٧٣٧٧٤٤
عرعر (مدينة) : التابلاين. بجوار المستشفى. تليفون ٦٦٢٠٤٩٢
الأحساء : مجمع مكاتب أرامكو. منطقة محاسن. قرب مستشفى أرامكو ت ٥٩٢٦٩٠١

الرياض : الناصرية. مقابل مستشفى الملك فيصل التخصصي ص. ب ٣١٩. تليفون ٤٦٤١٠٥٥
الدوادمي : عمارة الصعب. مقابل بلدية الدوادمي شرقاً. تليفون ٦٤٢١٦٠٩
بريدة : شارع الخبيب. عمارة العليان والجربوع. تليفون ٣٢٣٢١٧٦
حائل : شارع المطار. مقابل إمارة منطقة حائل عمارة العقيل شقة رقم ٨. ت ٥٣٢١٧٣٠

هيوستن، تكساس (أمريكا)
ARAMCO SERVICES COMPANY SAUDI COLLEGE RELATIONS P.O BOX 53620
HOUSTON TEXAS 77052-1620 USA TELEPHONE (713) 750 5855 (713) 750 6664
(713) 750 5900 OR TOLL FREE 1-800-231 7577 EXT 5855 6664 5900

جدة : شارع محمد حسن عواد. الشرفية. بناية الهدى. ص. ب ٧٣٧. ت ٦٥٣٤٦٥٥
الطائف : شارع العزيزية. عمارة الراجحي. ص. ب ٩٤٢. ت ٧٣٦١٨٦٤
أبها : الشارع العام المؤدي إلى خميس مشيط. ص. ب ١٥٥. ت ٤٥٩٨٢
نجران : شارع الفيصلية. عمارة الجنوبي. ص. ب ٧١. ت ٥٢٢١٧٨٢
ينبع : ص. ب ٣٠٠٠٥. العلاقات الحكومية. تليفون ٣٢١٤٦٣٠
الباحة : الشارع العام. ص. ب ١١٤. تليفون ٧٢٥١٢٠٤
المدينة المنورة : شارع العوالي (قرب مستوصف العوالي) ص. ب ١٧١١. ت ٨٣٦٤٢٨٣

(E-2-84)